مبادرة

القراءة بالمجان

ليان
للنشر
والتوزيع

الكتاب: طلب صداقة
الكاتب: كُتَّاب المعتكف الكتابي
رقم الإيداع: 23149 /2021
ISBN: 978-977-800-125-9
تصميم الغلاف: أحمد الصباغ

دار ليان للنشر والتوزيع
مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وأي محاولة للطبع أو النشر بأي طريقة دون موافقة كتابية يعرِّض صاحبها للمساءلة القانونية

طلب صداقة

قصص

كُتَّاب المعتكف الكتابي

ليان للنشر والتوزيع

هل لي من رجوع؟

بقلم: ريم نور

في إحدى ليالي العشر الأواخر من رمضان؛ ليالي الطاعة والدعاء والقرب الحقيقي من الله، في أحد المساجد جلست عيشة بنت الـ 24 عامًا تفكر وتناجي ربها وهي تبكي بكاءً حارًّا: هل لي من رجوع؟ هل ستقبلني بعد كل ما فعلت؟ وكل ما لا أستطيع تركه؟.. يا رب ليس لي أحدٌ سواك.. يا رب لا تتركني.. افتح لي باب الرجوع إليك.

فإذا بسيدة عجوز تجاوزت الستين عامًا ذات ملامح عذبة ووجه يشع طيبة، تأتي فتجلس بجوارها وتربِّت على كتفها وتقول لها: «ربنا يبارك فيكي يا حبيبتي وينولك كل اللي في بالك.. «فردت عليها عيشة وهي تبكي كأنها قد فقدت شخصًا عزيزًا: «أنا مستهلش.. أنا غلطت كتير ولسه بغلط ومش عارفة أبطل».

ردت عليها السيدة العجوز: «انتي مش عارفة إن ربنا رب قلوب وإن مجرد وجودك هنا ودعائك لي ورغبتك إنك ترجعيله أكبر دليل إنه عايزك ترجعي ومستنيكي».

توقفت عن البكاء لحظة وهي تنظر لها في حيرة: «مستنيني؟!!»

«آه حبيبتي مستنيكي.. هو كل ليلة بيتزل للسماء الدنيا ويستنانا

ويقولنا: من يدعوني فأستجيب له؟، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»

استطردت السيدة العجوز: «عارفة أبونا آدم اللي خرج من الجنة؟»

عيشة وهي تمسح دموعها من على وجنتيها: «آه عارفاه».

«عارفة إنه بعد ما سمع للشيطان وأكل هو وستنا حوا من التفاحة ونزلوا الأرض، ربنا بقى كان عايز يغفرلهم.. هداه للدعوة اللي يقولها عشان يغفرله مع إنه عصاه، بس ربنا كريم أوي يا بنتي.. هو سبحانه خلقنا عشان يدخَّلنا الجنة وعشان كده بيفرح بتوبتنا حتى لو إحنا منستاهلش.. فهمتني يا بنتي؟»

«آه بس حضرتك متعرفيش أنا عملت إيه؟!»

«حبيبتي أيًّا كان اللي عملتيه أو اللي حتعمليه ربنا رحمته وسعت كل شيء.. كل شيء؟

ربنا قال لو بلغت ذنوبك عنان السماء واستغفرتني غفرت لك ولا أبالي..

يعني لو ذنوبك اتكومت كده فوق بعض لحد ما وصلت للسما واستغفرتيه بقلبك هينسى كل ده لأنه ميهموش إنك عصيتي.. الأهم إنك رجعتي.

طب هسألك سؤال

«إنتي قتلتي حد؟»

«مش فاهمة؟»

«قتلتي شخص؟ .. موِّتي روح؟»

عيشة اعتدلت في جلستها وأجابت بابتسامة خفيفة: «لا الحمدلله.. لسه».

ليان للنشر ولتوزيع

«طيب لو قلتلك إن في نبي قتل.. وربنا خلاه نبي».

«نبي الله موسى قتل واحد غصب عنه، وعشان ربك عارف إنه معملش كده عن عمد أو لأنه ظالم خلاه نبي عليه الصلاة والسلام».

عيشة تنظر إليها باستغراب.

ابتسمت السيدة العجوز وأمسكت بيد الفتاة وقالت لها: «طب عندي فكرة، ماتحكيلي حكايتك ونفكر مع بعض ممكن تعملي إيه».

نظرت عيشة للسيدة العجوز وقالت لها: «خايفة».

تحركت العجوز لتجلس أمام عيشه مباشرة وقالت لها: «متخافيش مهما كان اللي هتقوليه أنا مش هسيبك وهساعدك عشان توصلي لحل يريحك.. إلا لو انتي مش عايزاني أسمعك».

عيشة أمسكت بيد العجوز بشدة وقالت لها: «لا طبعًا أنا ما صدقت ألاقي حد أتكلم معاه».

«أنا اسمي عيشة من المنوفية والدتي ماتت وأنا عندي 10 سنين، كل اللي فاكراه عنها إنها كانت ست غلبانة أوي زي ستات كتير عايشة لبيتها وجوزها وأهم حدث في يومها لما كنا بنخلص أنا وهي شغل البيت وتفتح إذاعة القرآن الكريم وأحط راسي على حجرها وفي إيدها سبحتها وابتسامة خفيفة على وشها، وكنت لما أسألها «بتبتسمي ليه؟»

تقولي «بطمن لما بسمع كلام ربنا بحس بقربه» ولما سألتها على السبحة قالتلي: «يعني هو يكلمني وأنا مذكرهوش».

مكنتش فاهمة برضو قصدها إيه وإيه العلاقة اللي رايحة

جاية دي بس كنت زيها بطمن لما بسمع إذاعة القرآن الكريم مع إني مش فاهمة القرآن نفسه.

لما ماتت صوت القرآن اتقطع من البيت وبقى البيت موحش، افتقدت حضنها وافتقدت إحساس السكينة اللي كان بيجيلي لما بسمع القرآن.

بعدها بفترة والدي اتجوز ومراته قالتله يوديني عند عمتي عشان يبقوا براحتهم، وفعلًا رحت قعدت عندها.

عمتي كانت طيبه جدًا هي وجوزها وكنت مرتاحة جدًا عندهم، بالذات إنهم مكنش عندهم أولاد، عمتي عوضتني عن أمي وجوزها كان مسميني وش السعد عشان من أول ما دخلت بيتهم، ربنا أنعم عليهم بخير كتير ومرتبه زاد.

فجأة تغيرت ملامح عيشة وكادت أن تشرع في البكاء مرة أخرى لولا تدخُّل السيدة العجوز:

«وبعدين يا بنتي إيه اللي حصل؟»

تنبهت عيشة ونظرت للعجوز وأخذت نفسًا عميقًا استعدادًا لأن تحرر ما كانت تحمله بداخلها من آلام وخيبة أمل طوال هذه السنين.

«أول ما تميت 16 سنة، لاقيت أبويا جاي عند عمتي يشوفني مع إنه مكنش بيجي غير كل عيد يديني العيدية ويقعد معايا شويه ويمشي، لاقيته بيقولي كلمة مفهمتهاش غير بعدين.. والله انت اللي باينك حتأكلينا الشهد..

راح أخد جوز عمتي من إيده ودخلوا غرفة الضيوف، مكملوش نص ساعة وبعدها طلع جوز عمتي وشه متغير ولقيت أبويا سلِّم عليا وقالي شوفي جوز عمتك حيقولك

إيـه وأنـا هاجـي آخـدك كـمان يومـين.. وبـص لجـوز عمتـي وقالـه متنسـاش يـا عبـد الكريـم كـمان يومـين.. يـلا سـلاموعليكو.

وبعديـن عمتـي راحـت سـألاه هـو في إيـه يـا عبـد الكريـم؟ قالهـا مفيـش يـا هنيـة، أخوكـي عايـز ياخـد عيشـة عشـان جالهـا عريـس.. عمتـي ردت عليـه باسـتغراب.. عريـس مـين ده؟

قالهـا راجـل غنـي ومقتـدر حيعيِّشـها في مـصر، عمتـي راحـت مصوتـة.. مـصر!!! حياخـد بنتـي بعيـد عـن حضنـي، عيشـه دي بنتـي وراحـت واخـداني في حضنهـا وقعـدت تعيـط.

وأنـا لسـه مـش فاهمـة المفـروض أتبسـط عشـان هبقـى عروسـة وهعيـش في مـصر ولا أتضايـق عشـان حسـيب حضـن عمتـي الـلي مـا صدقـت لقيتـه بعـد أمـي.

جـوز عمتـي طبطـب عليهـا وقالهـا: «اهـدي يـا هنيـة مـا كل بنـت آخرهـا الجـواز والبنـت كـبرت».

قالتله: آه كبرت بس متسيبنيش وتسافر.

قالها: ودي رغبة أبوها.

وراح واخـدني مـن إيـدي وقـالي: «عيشـه يـا بنتـي أنـا ميهمنيـش غـير سـعادتك ورضاكـي، إنتـي إيـه رأيـك؟ موافقـة تتجـوزي ولا أقـول لأبوكـي ينسـى الموضـوع؟

أنـا لحظتهـا كنـت عاملـة زي الـلي مضروبـة عـلى دماغـي مـا بـين بـكا عمتـي ونظـرة عـين الأسـتاذ عبـد الكريـم الـلي كلهـا حنيـة وكلمـة أبويـا «إنتـي الـلي حتأكلينـا الشـهد» واكمنـي مدخلتـش مـدارس مكنتـش أحلـم أتجـوز وأروح مـصر، تخيلـت نفـسي لابسـة لبـس بنـات مـصر الـلي بشـوفه في التليفزيـون وأتـزوق زيهـم.

قلتلـه موافقـة، مـا كل بنـت آخرهـا الجـواز وجريـت عـلى عمتـي

وقلتلهـا متخافيـش يـا عمتـي أكيـد هاجـي أزورك، صـوت عياطهـا زاد والأسـتاذ عبـد الكريـم قـالي: «عـلى خـيرة الله الـف مـبروك يـا بنتـي واعـرفي إن البيـت ده دايـمًا حيفضـل مفتوحلـك».

وفعـلًا أبويـا جـه أخـدني بعـد يومـين وقـالي مـبروك يـا بـت عريسـك حيكتـب عليكـي كـمان أسـبوع وياخـدك ويـروح مـصر قلتلـه يابـا هـو أنـا مـش حشـوفه.

«حتشوفيه ليلة كتب الكتاب».

ووصلنـا البيـت ومراتـه الـلي مشـوفتهاش مـن سـاعة مـا اتجوزتـه راحـت واخـداني في حضنهـا كأني بنتهـا وقالتـلي مـبروك يـا عيشـة والله وكـبرتي يـا بـت وحتتجـوزي.

معرفتش أقولها إيه

وجـه ميعـاد كتـب الكتـاب لقيـت راجـل كبـير شـكله أكـبر مـن أبويـا راكـب عربيـة فخمـة كـده بسـواق وأول مـا نـزل أبويـا قعـد يرحـب بيـه قلـت ده أكيـد أبـو العريـس.

رحـت سـألت مـراة أبويـا هـو فـين العريـس راحـت ضاحكـة وقالتـلي مـا هـو ده يـا عبيطـة.. ده تيسـير بيـه ده مـش هيخليكـي محتاجـة حاجـة ولا إحنـا كـمان يـا بـت دانتـي حتتجـوزي جـوازة محـدش في البلـد اتجوزهـا وراحـت مزغـردة.

وعرفـت سـاعتها غلطتـي وقلـت لنفـسي: انتـي قبلتـي ومينفعـش تصغَّـري أبوكـي قُـدام النـاس وإيـه يعنـي كبـير شـوية بـس شـاريكي متضيعيـش عـلى نفسـك جـوازة زي دي عشـان السـن، يمكـن سـنه ده يخليـه حنـين عليكـي.

وفعلًا أخدني ورحنا مصر

وهناك شفت اللي عمري ما شفته

بيته كان في حتة معزولة فيلا بجنينة، وهناك شفت واحدة ست جميلة أوي ماسكة في إيدها كاس وبتقوله هي دي بقى عيشة؟ مش بطالة والله، وراحت مسكت إيدي ولفتني برويّة وقالت لتيسير بيه «بس عايزين نضبطها شوية».

ضحك تيسير بيه قالها ما كلهم بيحتاجوا شوية تضبيط

مفهمتش مين كلهم وإيه شوية التضبيط اللي يقصدوهم

بعدها أخدني تيسير بيه ودخلنا أوضة وقالي: مبروك يا عروسة. قرب مني.

بعدت عنه وبصيت في الأرض وأنا مكسوفة، قالي: لا لا لا.

عايزك تبقي حلوة كده وتسمعي الكلام ومتتعبينيش معاكي. فبعِدت تاني راح ضاربني بالألم وهجم عليا بعد ما قطعلي هدومي وعاملني زي الجزار ما بيعامل دبيحة وحسيت بألم شديد وقعدت أصرخ وهو يكتم نفسي لحد ما خلص.

وبعدين سابني ومشي وكنت منهارة من العياط.

قعدت أعيط لحد الصبح وقمت عشان أحاول أفتح الباب لاقيته مقفول من بره

عرفت ساعتها إني حبقى أسيرة في البيت ده

تاني يوم جه تيسير بيه وأخدني من إيدي ووداني لسِتّ غريبة كده اسمها مدام كريمان قالها: «ضبطيها بقى، مش هوصيكي».

وقالتله: هي أول مرة يعني متقلقش، جت في بالي ساعتها الكلمة اللي تيسير بيه قالها «ما كلهم بيحتاجوا شوية تضبيط».

فضولي خلاني أسألها هو تيسير بيه كان متجوز؟

رنت ضحكتها في أرجاء المكان: «آه يا حبيبتي تيسير بيه بيتجوز كل شهر وساعات كل أسبوعين؟!؟!؟»

بعد أن انتهت كريمان من «تضبيطي» أصبحت أشبه بنجمات السينما اللاتي كنت أتابعهن، وجاء تيسير بيه لاصطحابي مرة أخرى إلى الفيلا، ولكن هذه المرة كانت الفيلا مضاءة تمامًا تنبعث منها أصوات موسيقى وضحكات تشبه ضحكة مدام كريمان دخلنا أنا وتيسير بيه وجاءت السيدة الجميلة التي رأيتها بالأمس ونظرت إلي في دهشة وقالت لتيسير بيه: «لا المرة دي كريمان عملت شغل جامد فكرني أكلمها بكرة».

وأخذت بيدي وقالت لي: «تعالي معايا يا حلوة».

وقالت بصوت مرتفع: أحب أعرفكم على شوشو الوجه الجديد. وقام الجميع برفع كئوس بأيديهم: «أهلًا شوشو».

وقالت لي: «ده اسمك من هنا ورايح شوشو».

لم أعرف ماذا أقول وأين أذهب وكل هذه العيون تحدق بي كأنها تلتهمني.

حاولت الذهاب إلى غرفتي منعني تيسير بيه وقال لي: «لسه بدري، الحفلة لسه في أولها..» حاولت أن أنطق بكلمة أخرى.. راح تيسير بيه يذكرني بالذي حدث ليلة أمس عندما عصيته.

قدَّم لي تيسير بيه كأسًا وقال لي: «اشربي».

وعندما حاولتُ أن أزيح الكأس بعيدًا وضع الكأس على المنضدة وأخذ بيدي وقال: «تعالي معايا انتي شكلك كده محتاجاني أفكرك».

وأدخلني الغرفة وأخذ يضربني ضربًا مبرحًا حتى تعب وقال لي: «ده جزاة اللي ميسمعش الكلام هنا انتي فاهمة، أنا كل ده مقدر إن الجو لسه جديد عليكي بس واضح إنك مش فاهمة

إنك من ساعة ما جيتي هنا وانتي بتاعتي، مِلكي، أعمل فيكي اللي أنا عايزه وتعملي زي ما بقولك.. فهمتي ولا لسه؟»

أنا من وراء سيل الدموع وبصوت متقطع: «فهممممممت».

«أيوه كده برافو عليكي تعالي بقى عشان تصالحيني». وأخذ بيدي حتى وقفت على قدمي ثم كرر كل ما فعله معي بالأمس ولكن بشكل أكثر عنفًا».

وعرفت في هذه اللحظة أني لست زوجة، ولكني أَمَةٌ اشتراها ليفعل ما يحلو له بها ورضيت بنصيبي.

بعد شهر من تاريخ دخولي إلى هذا السجن.. شهر من الاغتصاب والضرب والمعاملة غير الآدمية، قال لي تيسير بيه: «النهارده بقى يا حلوة هاخدك معايا مشوار مهم أوي الشقة الجديدة اللي هتعيشي فيها».

«هعيش فيها.. وانت هتيجي معايا؟»

«لا أنا خلاص بقى.. إنتي حيبقالك بيت تعيشي فيه وأنا هبقى أعدي عليكي كل ما أقدر».

«أمرك» شعرت بفرحة عارمة، ولكني أخفيتها حتى لا أنال نصيبي من الضرب والإهانة قبل ان أنال حريتي.

ووصلنا إلى مبنى سكني في إحدى المناطق الراقية، عندما رآه بواب العقار قام ورحَّب به ترحيبًا حارًّا.

صعدنا إلى الدور الثالث وقام تيسير بيه بقرع الباب وفتحت له سيدة شبه عارية وقالت: «أهلًا أهلًا تيسير بيه.. مين الأمورة؟»

قال لها وهو يزيحها بذراعه ليدخل الشقة: «فين كاريمان؟»

سرعان ما تذكرت الاسم، إنها السيدة صاحبة الضحكة الرنانة: «اللي ضبطتني».

قالت له: «جوه في أوضتها».

قال لها: «اندهيها بسرعة».

جاءت كاريمان ونظرت له بابتسامة سخرية وقالت: «إيه شهر العسل خلص كده».

قالها: «آه كفاية كده، أنا جبتهالك أهي، عايزك تاخدي بالك منها على الآخر عشان هي شكلها مطول معانا».

قالت له: «طبعًا طبعًا من إمتى وأنا مبخليش بالي، سيبهالي بس وهتشوف».

ونظر إليَّ وقال: «مش هوصيكي تسمعي الكلام وإلا إنتي عارفة أنا مش بعيد» وفي عينيه نظرة تهديد.

تركني وذهب ورغم فرحتي أني لم أصبح سجينة الفيلا، اعتراني شعور بالقلق والريبة من هذا المنزل، ولم أفهم كيف تكون هذه الشقة شقته ولا يملك مفتاحًا لها ومَن هي كاريمان؟ وماذا كان يعني بـ «اسمعي الكلام».

وراحت كاريمان تأخذ بيدي حتى أوصلتني لغرفة قالت إنها غرفتي قالت لي: «استريحي دلوقتي يا حلوة عشان عندنا حفلة بالليل».

دخلت الغرفة وارتميت على السرير وأنا سعيدة أني لم أصبح سجينة لهذا الوحش تيسير بيه أو هكذا كنت أظن..

بعد ما استيقظت قامت كاريمان بإعدادي للحفل، قلت لنفسي يا ترى هل سيأتي تيسير بيه؟!

وفيما أنا غارقة في هذا التساؤل إذا بكريمان تعرِّفني على رجل

في سن في ال50 من عمره وفي عينيه نظرة ذكَّرتني بأول ليلة قضيتها مع تيسير بيه.

قالت له: «دي بقى شوشو اللي قلتلك عليها».

قال لي: «أهلًا شوشو إنتي مش هتشربي حاجة ولا إيه؟»

وأعطاني كأسًا به عصير وشربته ولم أشعر بنفسي حتى استيقظت في اليوم التالي في غرفة نوم لا أعرفها، لا يسترني إلا غطاء السرير ورحت أبكي وأصرخ: «أنا فين، أنا مين اللي جابني هنا؟»

ورحت ألملم ملابسي من على الأرض كأني ألملم بقايا جثة تناثرت في أرجاء الغرفة وقمت بارتدائها سريعًا، ثم حاولت أن أخرج من الغرفة وإذا بي عدت سجينة مرة أخرى، ولكن هذه المرة لا أعرف من السجان..

ظللت أطرق الباب بقوة وأصرخ: «خرجوني من هنا!!!،خرجوني من هنا!!!» حتى خرت قوايا وفقدت صوتي.

وهنا جلست على الكرسي المقابل للباب، أنتظر أن أرى السجان.

وبعد ساعات مرت كأنها سنين، فتح الباب ودخل منه تيسير بيه، وقال لي وهو ينظر إليَّ نظرة المنتصر: «طبعًا إنتي مش عارفة إنتي فين؟ ولا إيه اللي حصل إمبارح؟»

قلتله: «لا» قالي «تعالي وأنا حوريكي» وإذا به يفتح فيديو على جهاز المحمول..

رحت أصرخ وأغمض عيني وأشيح بوجهي بعيدًا وهو يمسك برأسي ويجبرني على المشاهدة كان فيديو لي مع هذا الرجل الذي عرفتني عليه التي تدعى كاريمان وهو يضاجعني مرارًا وتكرارًا.

وإذا بتيسير بيه يقول لي: «إنتي عارفة أنا لو بعت الفيديو ده لأبوكي في البلد حيعمل فيكي إيه؟»

رحت أبكي وأصرخ وأتوسل إليه: «أبوس إيدك متفضحنيش، أنا هعمل كل اللي انتي تقولي عليه».

قال لي: «برافو عليكي، من هنا ورايح حتسمعي كلامي أنا وكاريمان، زي ما بنقولك تعملي».

وحينها عرفت أني سأظل سجينة لهذين الشخصين، وعرفت أنني لست الوحيدة التي تم استدراجها بهذا الشكل، وإنما أنا واحدة من مئات الفتيات اللاتي خدعهن تيسير به وأصبحن سجينات له وهكذا أصبحت فتاة ليل رغم أنفي، منعني خوفي من الفضيحة، من الهروب والرجوع إلى أهلي وبدأت أستسلم للوضع، وظللت على هذا الوضع لسنين.

وفي يوم من الأيام وأنا ذاهبة إلى حفلة من الحفلات سمعت صوت الإمام وهو يقرأ القرآن من هذا المسجد وراح صوت القرآن يذكرني بأمي وشعوري بالسكينة، فإذا بشيء لا أعرفه يجذبني وكأن شخصٌ يناديني.

وقررت أني سألبي هذا النداء، وفي اليوم التالي افتعلت المرض ورحت أنازع وأنا أقول لكريمان: «مش قادرة أنا بموت مش حقدر آجي معاكم النهارده» وكانت كاريمان سجَّانة رحيمة وربما كان السبب في ذلك شعورها بتأنيب الضمير فوافقت على بقائي في المنزل.

وبعد أن ذهبوا قمت بارتداء ملابسي القديمة ملابس عيشة وتركت المنزل متجهة إلى المسجد وكأني سأعود لحضن أمي مرة أخرى

وبعد أن انتهت عيشة من رواية قصتها، راحت العجوز تحتضنها بقوة وعيشة تبكي بانكسار.

وقالت لها العجوز وهي تحتضنها: «متخافيش أنا معاكي وإنتي مش هترجعي هناك تاني ومش هيلاقوكي وعشان تتأكدي إن ربنا كان مستنيكي وبيفتحلك كل الأبواب، أنا ابني ضابط وأكيد له معارف اللي يقدر عن طريقهم يقبض على الشياطين دول وأي فيديوهات كانوا ماسكينها عليكم أكيد يقدروا يتحفظوا عليها، ربنا قدَّر إني أقابلك هنا ودلوقتي عشان أساعدك في حل مشكلتك».

وبالفعل تم القبض على تيسير بيه وأعوانه والحكم عليهم والتحفظ على كل ممتلكاتهم وأي فيديوهات تم تسجيلها وحكم لعيشه بالطلاق من تيسير بيه.

وانطوت هذه الصفحة من حياة عيشة، وعادت إلى عمتها وزوجها وقالت لهم إنها طلقت من زوجها ولم تذكر السبب، احتضنتها عمتها مجددًا: «وحشتيني يا بنتي، أخيرًا رجعتي لحضني تاني».

وفي أول ليلة لها في غرفتها التي اشتاقت إليها كان معها ضيف جديد؛ راديو اشترته من القاهرة أصبح لا يفارقها وفتحت عيشة إذاعة القرآن الكريم فإذا بالقارئ يقرأ هذه الآية:

«**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**» آية 119 سورة النحل

فسقطت دمعة تحمل كل معاني السَّكينة والطمأنينة، وتذكرت آخر كلمات قالتها لها السيدة العجوز في المسجد.

«ربنـا مبيقفلـش بابـه في وش حـد وهـو بعتنـي ليكـي عشـان يرجعـك

يرجعك لأهلك وناسك

يرجعك لروحك الحلوة

يرجعك لعيشة

يرجعك ليه

***

المنحة

بقلم الدكتورة: نادية عبد العال

دخلت الفندق الصغير الذي لا يبعد كثيرًا عن محطة جاردينور بباريس، كنت متجهمة وشاردة الذهن وكأنني في عالم آخر، توجهت إلى فتاة الاستقبال وكأنني إنسان آلي يمشى على الأرض بخطوات بطيئة.

وحادثتها وأنا أنظر بعيدًا، وطلبت منها حجز سيارة توصلني للمطار صباح اليوم التالي، فإذا بها تقول لي:

«يا مدام، أنا ملاحظة حضرتك على طول عصبية منذ وصولك باريس طوال الأسبوع الماضي، على فكرة أنا كنت كده زيك في فترة من حياتي لكن رُحت لاستشاري نفسي وبقيت مختلفة عشان كده أنصحك تعملي كده».

لم أستطع الرد و نظرت إليها، ولكن لم أكن أراها بل وجدت نفسي أستعيد الخمس الساعات الماضية عندما وقف أمامي صديق العيلة ببهو الفندق الساعة 8 صباحًا لاصطحابي لأكبر مستشفى للأورام بفرنسا لمعرفة نتيجة تحليل عينة الثدي.

وفي الطريق تحدَّث صديقي مستأذنًا في عدم البقاء: أنا لا أستطيع الدخول معك للدكتور فأنا مستعجل جدًّا عندى شغل مهم أوي وانتي في المرات السابقة عرفتي الدنيا هناك وبتتكلمي

إنجليـزي كويـس، ويـا ريـت تركـزي في الطريـق عشـان تعـرفي طريق العـودة للفنـدق.

نظـرت إليـه كالطفلـة التـي تريـد التعلُّـق بأبيهـا في أول يـوم للمدرسـة وهـي تقـول لـه: «لا تتركنـي يـا أبي، إني خائفـة لا تتركنـي وحـدي».

لم أظهـر لـه جانبـي الضعيـف بـل شـكرته عـلى كل مـا فعلـه معـي منـذ وصـولي باريـس وحاولـت التركيـز في الطريـق كـما طلـب منـي .

وبالفعــل تركنــي ودخلــت إلى المستشــفى بمفــردي لأســتفرد بمصـيري الـذي لا أعلمـه، وشـعرت وأنـا أقطـع الطرقـات بأننـي في طريقـي إلى حجـرة الإعـدام، وتملكتنـي الأفـكار السـوداء وزادت دقـات قلبـي علـوًّا وضجيجًـا، كان هنـاك شـعور قـوي اجتـاح داخلي لا أسـتطيع وصفـه.

لم أفـق إلا عـلى صـوت الممرضـة وهـي تقـول: أيـن أنـتِ يـا سـيدتي؛ دكتـور كلاودوا في انتظـارك.

وبمجـرد جلـوسي أمـام الطبيـب، بـدأ بطـرح العديـد من الأسـئلة تتعلـق بتفاصيـل كثـيرة عـن حالتـي الصحيـة وتاريـخ العائلـة وطلب منـي اسـتكمال ملـف دخـول المستشـفى ثـم انتظـاره لحـين اسـتدعائي مـرة ثانية.

كنـت أمـام أصعـب لحظـات عمـري، وأصعـب دقائـق مريـت بهـا في حيـاتي، كنـت أتمنـى أن أجـد مـن يمسـك بيـدي، ولكـن لم يكـن معـي غـير سـبحتي، فالتزمـت التسـبيح والدعـاء وأنـا أكتـم دموعـي بداخـلي كعـادتي، وأخـيرًا ظهـرت الممرضـة وطلبـت منـي التوجُّـه لحجـرة الدكتـور كلاودوا مـرة ثانيـة، وعندمـا دخلـت لم أجـده

بمفـرده بـل كان معـه طبيـب آخـر وهـو الدكتـور ريتشـارد جـراح الأورام..

لم أسـتوعب في البدايـة سـبب وجـود طبيـب الجراحـة إلا عندمـا تحـدث قائـلًا بـأن التحاليـل أظهـرت وجـود سرطـان منتـشر بالثـدي الأيـسر ولا يمكـن إبقـاء جـزء مـن الثـدي بـل سـيتم اسـتئصال الثـدي كلـه والغـدد الليمفاويـة أيضًـا وأنـه مـن سـيقوم بالعمليـة.

ثـم استرسـل في الـكلام شـارحًا مـا سـيتم عملـه وكيفيـة تجهيـزي للجراحـة وعـلى أهميـة وجـود أحـد مـن أقـاربي معـي لمـدة شـهر مـن تاريـخ العمليـة.

لم أحـاول البـكاء أثنـاء حديثـه كان عقـلي يحلِّـق بعيـدًا، انظـر لدوائـر تتشـكل أمامـي لوجـوه أُحبهـا، انتظـرا ردي طويـلًا وبعـد فـترة سـكوت تحدثـت بصـوت شـارد: يـا دكتـور، أنـا هنـا وحـدي في باريـس وغـير مسـتعدة ماديًّـا ولا بُـدَّ مـن رجوعـي لمـصر لتهيئـة أمـوري.

ردَّ ريتشـارد: حسـنًا ننتظـرك لحـين عودتـك في اقـرب وقـت، أطبقـت عـلى سـبحتى وحملـت حقيبتـي وخرجـت مـن المستشـفى كالهـارب مـن الجحيـم.

أكملـت طريقـي وأنـا أحـادث نفـسي: يـا تـرى إلى أيـن انـا ذاهبـة؟! ومـاذا سـأفعل؟ وكيـف سـأبلغ هـذا الخـبر لزوجـي وأولادي وعائلتـي؟!

أفقـت عـلى صـوت فتـاة الاسـتقبال: مـدام، حضرتـك سـاكتة ليـه؟!

فأخبرتهـا عـن السـبب الـذي جئـت بسـببه لباريـس ربـما لأننـي احتجـت لشـخص مـا أتحـدث إليـه.

ولكـن رد فعلهـا كان محبِطًـا لي حينـما قالـت: حسـنًا يـا مـدام هنـاك تاكـسي متـاح في الموعـد المطلـوب بتكلفـة قدرهـا خمسـون يـورو وسـوف يـأتي فجـرًا ليأخـذك إلى مطـار شـارل ديجـول.

فعـادت الدوائـر ترتسـم أمـام مخيلتـي مـن جديـد تحمـل وجوهًـا أحبهـا وتحبنـي..

ولم تتـلاشَ تلـك الوجـوه مـن مخيلتـي طـوال ركـوبي التاكـسي وهـو متجـه للمطـار بـل ظلـت ابتسـامتهم ترافقنـي طـوال الطريـق، فأمسـكت بهاتفـي وكتبـت «بوسـتا» عـلى صفحتـي بالفيـس بـوك: «لقـد جاءتنـي منحـة وليسـت محنـة وأننـي تعـودت عـلى الضحـك والابتسـام، ولكننـي الأن أطلـب مـن كل أصحـابي وأحبـابي الدعـاء لي والابتســام في وجهــي، ولا تقلقــوا فلســتُ حزينــة، ولســوف أعتبرهـا منحـة وليسـت محنـة «

قاطعنـي صـوت السـائق معلنًـا وصولنـا وركبـت الطائـرة، كـي أبـدأ رحلـة مختلفـة في حيـاتي، بعدمـا أكـدت لي الأيـام أن مـا حـدث لي هـو بالفعـل كان «منحـة».

يا حلاوة الدنيا

بقلم: نيفين الحسن

كالعادة أحب أن أكون متألقة ومميَّزة وأثبت وجودي.

ذات مرة وأنا خمسة عشر عامًا كنت مشاركة في كورال نادي بوبيان بالكويت وهذا حفل سنوي يحضره أمير من أمراء الكويت وهو المسؤول عن قطاع البترول الذي يعمل به والدي.

والحفل متكلف ماديًّا وبه العديد من المغنيين ومنظمين وعمال ومسرح مليء بالجمهور والشباب والبنات وأغاني أشكال وألوان ومن ضمن الأغاني يا حلاوة الدنيا يا حلاوة لسيد مكاوي.

والجمهور في قمة الانسجام والحفل رائع وكل الحضور في قمة السعادة.. ونغني (يا حلاوة الـ...) وهُ أغمى عليا ووقعت على ظهر الفتاة اللتي أمامي وعم الهلع والاضطراب لغرابة ما حدث.

وكان والدي من منظمي الحفل ووجدني على الأرض وإذ به يجري بسرعة يسحبني.. وأقفلت الستائر.. وإذا بهم يسكبون المياه على وجهي كبًّا... وأنا كنت عند مصفف الشعر قبلها بيوم ومتكلف وأضع المساحيق بألوانها على وجهي... ففتحت عيني وفُقت على تلك المياه التي تسكب على وجهي وأقول (كفاية أنا كويسة.. أنا كويسة) وتفكيري كله في شعري الذي خرب وسوف أتحول من جميلة الجميلات لأمنا االغولة.

وهنا صمم الأمير ألَّا يكملوا الحفل إلا عندما يطمئن عليَّ وأظهر على المسرح مثل الناس الهامة وأقول إنني بخير.

وفعلًا خرجت على المسرح يسحبني والدي من يدي.. ويدي الأخرى أسلم على الجمهور وألملم في شعري المتكهرب أحاول أن أهدِّئ من روعه..

وانتهى اليوم على خير بتلك الأغنية التي لن أنساها.

إلا أن أمي..

وبعد هذا الموضوع صممت أن تعمل لي تحاليل كاملة ورسم قلب ورسم مخ.. للاطمئنان وكان رسم المخ ساعتها متوفرًا فقط في مستشفى المجانين..

وإذ بنا ندخل ذلك المبنى الكبير.. نمسك في أبي أنا وأمي والجو مش طبيعي، وإذ البنات والسيدات من الدور الثاني خلف القضبان ينادين على والدي ولم أفهم ماذا يقولن... غير أن والدي قال لهن وبدون سابق إنذار: (سمية آهيه معايا)... وشاور على أمي.. وإذ بهن جميعًا ينادين: «ياسوميا.. ياسوميا» مثل زفة العروسة، حتى أنهينا الممر وأمي تختبئ خلف والدي خائفة منهن..

وعملت رسم المخ والدنيا الحمد لله تمام..

.. كل الحكاية إن أنا لم أتناول طعامًا في ذلك الوقت قبل الحفل، وكنت مشغولة بتجهيزات الحفلة ولست جوعانة... فأنا من الناس الذين إن فرحوا لا يأكلون...

طبعًا الآن لن أخبركم عن وزني معدي الكام من السعادة..

وكانت هذه... ياحلاوة الدنيا يا حلاوة.. من إغماء ومستشفى المجانين..

***

شراب زوجي

بقلم: نيفين الحسن

كنت أجلس مع صديقتي (الفقرية)

وكانـت تحكـي لي عـن موقـف مـع زوجهـا حيـث أنهـا كانـت تحـضر لـه (ساندوتشـات) عـادة للفطـور صباحًـا ليأخذهـم معـه للعمـل.

وكل طلباتـه بسـيطه فقـط (جبنـة)، وفي مـرة.. وإذ بـه ينهـي القطعـة الأولى ويضـع يـده بالكيـس الأسـود لتنـاول القطعـة الثانيـة ويخـرج يـده ويشـعر بـشيء يمـشي عـلى يـده!!!

فيخـرج يـده مـن الكيـس ويمسـح نظارتـه.. ويضغـط عـلى عينيـه... فيفاجـأ بـدود.. دود.. بداخـل ذلـك الكيـس الأسـود مع طعامـه.

فـما كان منـه إلا أنـه ألقـاه بعيـدًا وأصيـب بالوهـن، والتقلـص في البطـن.

وعندمـا عـاد للبيـت سـألها.. كيـف حـدث هـذا... فأخـذت تضحـك وتقـول لـه: نسـيت أن أنظـر في ذلـك الكيـس الـذي كان بـه خضـار سـابقًا..

وطبعـا صدمـت وسـكتّ.. ولـن أقـول إلى أيـن وصلـت ضحكتنـا . .

وأخذت أنصحها بها أني أكثر وعيًا وتركيزًا منها.

فقلت لها: يجب أن تحرصي على جمال شكلك أمامه وصففي شعرك بشكل جيد!!!

فكيف تلبسين هذه الملابس التي ضاع عنها أزرتها وتضعين دبوسًا؟؟

وما هذه الألوان التي لا تليق مع بعضها؟؟

وكيف أن تضعي له الطعام بهذه الأطباق البلاستيك؟ مثل الأطفال؟

ألا تخشين أن يهملك أو ينظر لأخرى أو يحضر لك ضُرة؟

وإذ بها تنهرني.. وتقول:. هو لا يركز أصلًا..

ثم إن قال شيئًا سوف أطالبه بتلك الأطباق الصيني التي تكسرت

أو يعطيني أموالًا أشتري بها ملابس.. أو يدفع لي المبالغ التي يطلبها المصفف للشعر..

أجلسي أنت (بجانب الحائط)

فقلت: حائط ماذا؟ أنا أخاف عليك، اهتمي بملابسه.. بشراباته...

وهنا عادت ذاكرتي لذلك اليوم..!

عندما عاد زوجي من العمل وكان في منتهى العصبية..

وأنا كسيدة مهتمة لا ينقصني شيء وأبنائي هادئون ويلعبون بعد الغداء والبيت هادئ ونظيف.. وغداء زوجي جاهز وكل شيء تمام..

فينادي عليه بحدية وعصبية: نيفين.. نيفين...

أتدري ماذا حدث اليوم؟

قُلت: خيرًا؟

قال: كنت أجلس مع زمايلي بالعمل ونتحدث... وأنا بمنتهى الأناقة وأضع قدمًا على قدم و(متأنتك) وإذ بي أجد شرابي لونه كحلي... وأنا على يقين بأني ألبس شرابًا أسود حتى يناسب البدلة.. فأنزلت قدمي لأتأكد وإذ أفاجأ بأن واحدًا كحلي والآخر أسود!!!! وطبعًا أنزلت قدمي وخبأتها تحت الطاولة وأنا بمنتهى الحرج: (عاجبك كده ياست هانم)؟

طبعًا لا.. لا يعجبني وأنا أنفطر من الضحك..

ومن ساعتها وأصبح لا يطمئن لي ويركز في أغراضه.. ولا يثق بي..

ومن هنا وجدت أن لا أنصح صديقتي فهي أدرى بأمورها.. ولأترك النصيحة لنفسي لأعمل بها أولًا وإذ بها تنادي عليه: أين أنتِ؟ نيفين..

***

الكمين

بقلم: أحمد محروس

ولد صاحبنا (خميس سالم أبو المعاطي) في قرية (بردونه الأشراف) إحدى قرى مركز (بني مزار) بمحافظة المنيا.. كان وحيدًا على ثلاث بنات.. وكان كما يقال عندنا بلغة أهل الصعيد الجميلة (حيلة أبوه).. كان والده من كبار تجار الأخشاب بالمنيا.. وكان لديه (مَغْلَق خشب) يقال إنه كان الأكبر والأكثر تعاملًا على مستوى محافظة (المنيا) إن لم يكن على مستوى (الصعيد بأكمله.. كان أبوه يطمح أن يجعل من وحيده (خميس) طبيبًا جراحًا.. جرَّاح قلوب على وجه التحديد.. وكان يناديه منذ الصغر بلقب (يا دكتور) جيئة وذهابًا حتى تعتاد أذنه على سماع اللقب.. بل إنه أجبر أهل البيت كلهم على مناداة ابنه بلقب (دكتور).. بل زاد عن ذلك بشراء قطعة أرض كبرى على أطراف مدينة (بني مزار).. كان ينوي أن يبني بها أكبر مستشفى في عروس الصعيد كلها (أي محافظة المنيا).. إن لم يكن أكبر مستشفى في الوجه القبلي كله.. كان الوالد الحاج / سالم أبو المعاطي ينوي أن يخصص هذه المستشفى لجراحات القلب (سواء جراحات القلب المفتوح أو تركيب الصمامات والدعامات).. وكان أملُه أن يطلق على هذه المستشفى اسم (مستشفى أبو المعاطي لجراحات القلب) حتى يخلد من خلال هذه المستشفى اسم

وذكـرى (عائلـة أبـو المعاطـي) في محافظـة المنيـا.

كان عـين الشـيخ (سـالم أبـو المعاطـي) وذهنـه كلـه مركـزًا عـلى هـدفٍ واحـدٍ، هـو أن يأخـذ (مستشـفى أبـو المعاطـي لجراحـات القلـب) نفـس مـكان ومكانـة (مستشـفى الدمـرداش بالقاهـرة) التـي تـبرَّع بأرضهـا وبناهـا الشـيخ/ عبـد الرحيـم مصطفـى الدمـرداش ابـن الشـيخ / مصطفـى الدمـرداش شـيخ الطريقـة الدمرداشـية.. لم يكـن الشـيخ / سـالم أبـو المعاطـى ينـوى أن يبخـل عـلى المستشـفى بـأى تكاليـف أو إمكانيـات كائنًـا مـا كانـت.. لهـذا أقبـل أو خطـط للحصـول عـلى أهـم صفقـة أخشـاب في حياتـه قيمتهـا 6000000 جـم (سـتة ملايـين جنيـه).. والتـي لم يكـن يحتكـم في البنـك عـلى أكثـر مـن ربـع قيمتهـا فقـط وهـو مـا يـوازي مبلـغ 1500000 جـم (أي مليـون جنيـه ونصـف فقـط لا غـير).. كان قـد رتـب حسـاباته عـلى أن هـذه الصفقـة مـن الأخشـاب سـوف يبيعهـا بـما يـوازي مبلـغ 25000000 جـم (حـوالى مبلـغ خمسـة وعـشرون مليـون جنيـه).. سـيضع منهـم مبلـغ 18000000 جـم (ثمانيـة عـشر مليـون جنيـه مـصرى) في بنـاء المستشـفى وتجهيـزه بكافـة التجهيـزات المطلوبـة مـن أجهـزة وخلافـه.. ويـرد مبلـغ الأربعـة ملايـين جنيـه ونصـف المبلـغ التـي سـيقترضها لإكـمال الصفقـة.. ولا يسـتبقى لـه مـن أربـاح الصفقـة سـوى مبلـغ 2500000 جـم (اثنـان ونصـف مليـون مـن الجنيهـات) يضعهـم في حسـابه بالبنـك.

فذهـب إلى اثنـين مـن تجـار الأخشـاب مـن معارفـه في كار تجـارة الأخشـاب.. ذهـب إلى المعلـم (حنيـش الجرنـوسي) وأخيـه المعلـم (جابـر الجرنـوسي).. مـن أعيـان قريـة (جرنـوس) أصـلًا إحـدى قـرى مركـز (بنـي مـزار) وهمـا في ذات الوقـت أصحـاب ثـاني أكـبر مَغْلَـق خشـب في محافظـة المنيـا بعـد مَغْلَـق (الحـاج سـالم أبـو

المعاطي).. ذهب يطلب منهم قرضًا بقيمة أربعة ملايين جنيه ونصف (4500000 جم) ولكنه لم يكن يعلم أنه دخل إلى وكر الأفاعي برجليه.. وافق كل من المعلم (حنيش الجرنوسي) وأخوه المعلم (جابر الجرنوسي) على قيامهم بإقراض الحاج (سالم أبو المعاطى) مبلغ أربعة ونصف مليون جنيه على أن يكتب شيكًا لكل واحد فيهم بمبلغ اثنان مليون ومائتان وخمسون ألف جنيه (2250000 جم).. وقالوا له: هنساعدك أكتر وأكتر يا حاج مادام عرفنا نيتك الطيبة دي وإنك عامل الصفقة دي كلها علشان فعل الخير.. إحنا اللي هنستوردلك الخشب بنفسنا من التجار اللي بنتعامل معاهم بره.. هي الصفقة هتكون باسم حضرتك بس إحنا هنعرف نجيب لك فيها خصم كويس.. ويا سيدي إحنا مش عاوزين فلوسنا منك دلوقتي خالص.. إحنا عاوزين بس نكسب ثواب معاك وبسببك.. بيع براحتك ولما تخلص الخشب اللي عندك خالص ابقى اطلبنا إدينا فلوسنا.. ومش بس كده.. ده إحنا هنجيب لك كل التجار القطاعي وتجار الأثاث وأصحاب الوِرَش اللي بيتعاملوا معانا علشان ياخدوا خشب منك علشان تقدر تخلص الخشب اللي عندك بسرعة.. وربنا يكرمك ويكرمنا معاك وتبني المستشفى اللي إنت عاوز تبنيها بأقصى سرعة وكلنا ناخد ثواب المستشفى دي..

ذهب الحاج (سالم أبو المعاطي) لينام قرير العين.. وهو واثق إن ربنا مسهل له كل شيء لأنه يعلم بنيته الطيبة في عمل الخير وأنه يريد هذا المال لغرض بناء مستشفى (جراحات القلب) لخدمة أبناء مركز (بني مزار) وخدمة أبناء (الوجه القبلي) كله.. قام الحاج (سالم أبو المعاطي) لينام في هذه الليلة وهو قرير العين للغاية بعد أن وقَّع الشيكين لكل من (حنيش

الجرنـوسي) وأخيـه (جابـر الجرنـوسي).. كان يحس مـن داخلـه بـأن الله راضٍ عنـه تمامًـا وإلا ماكانـش يـسر لـه مسـاعدة المعلـم (حنيـش) والمعلـم (جابـر) في بنـاء المستشـفى.. دخـل ليتوضـأ الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي) وصـلى صـلاة العشـاء ثـم ركعتـي الشـفع والوتـر ونـام وهـو في قمـة السـعادة هـذه الليلـة.. لدرجـة أنـه مـن شـدة سـعادته رأى رؤيـا قـرب صـلاة الفجـر.. رأى نفسـه وهـو يفتتـح مستشـفى (أبـو المعاطـي لجراحـات القلـب) ورأى ابنـه يقـف إلى جـواره في الرؤيـا - وهـو يرتـدي البالطـو الأبيـض بعدمـا أصبـح طبيبًـا جرَّاحًـا لجراحـات القلـب - وكان واقفًـا عـلى يسـاره في افتتـاح المستشـفى بينـما يقـف عـن يمـين الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي) كلا مـن السـيد اللـواء / محافـظ المنيـا والسـيد الدكتـور/ وكيـل أول وزارة الصحـة مـن القاهـرة يقصـون معـه شريـط افتتـاح المستشـفى.. وكل أعيـان مركـز (بنـي مـزار) ومحافظـة المنيـا يتسـابقون للتصويـر إلى جانبـه وإلى جانـب ابنـه الدكتـور الجـرَّاح (خميـس أبـو المعاطـي).. فأفـاق مـن النـوم وهـو يشـعر بكامـل الرضـا.. وقـام فتوضـأ وصـلى الفجـر حـاضرًا كعادتـه منـذ أن كان في العشريـن مـن عمـره وحمـد الله كثـيرًا وأثنـى عليـه.. ثـم نـزل ليبـاشر عملـه في المَغْلَـق.. ومـا هي إلا شـهور قليلـة وبـدأ يـرى حلمـه وهـو يتحقـق.. عـروق وألـواح الخشـب وصلـت عـلى المركـب المنتظـر إلى مينـاء (دمياط) وقـام المعلـم (حنيش الجرنـوسي) والمعلـم (جابـر الجرنـوسي) بنقلهـا بالتريـلات إلى مخـازن الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي).. وحصلـوا منـه عـلى (إيصـال اسـتلام وإبـراء ذمـة) يفيـد قيامهـم بتسـليم نقلـة الأخشـاب إلى مغلـق الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي).. وبـدأ الحـاج (سـالم) يعـد العـدة لتسـليم صفقـة الأخشـاب الهائلـة الموجـودة في مخازنـه.. ومـا هـي إلا أيـام حتـى وقعـت الطامـة الكـبرى.. اسـتيقظ الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي)

على وقع الخبر المشؤوم.. ألا وهو خبر اقتحام المَغْلَق الخاص به وسرقة كافة الأخشاب الموجودة بداخله.. سمع أن الحرامية واللصوص لم يتركوا عِرْق خشب واحد في مخازنه.. فأصاب الحاج (سالم أبو المعاطي) سكتة قلبية ومات على الفور.. كان هذا في صيف سنة 2005 ميلادية على وجه التقريب.

كان الفتى (خميس) ابن 14 عامًا عندما توفي والده الحاج (سالم أبو المعاطي).. وكان له أختان بنات تكبرانه هما (صفية) و(زبيدة).. الأولى تكبره بثلاث سنوات.. والثانية تكبره بسنة واحدة.. في حين أن أخته الصغرى (سعدة) كانت أصغر منه بثلاث سنوات.. أُقيمَ العزاء.. ووقف الفتى (خميس)؛ رجلًا مكتمل الرجولة ليأخذ عزاء والده.. وجاء غرابا البين المعلم (حنيش الجرنوسي) والمعلم (جابر الجرنوسي) ليقدما واجب العزاء.. وكانا مثل تطبيق حرفي (يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته).. بالطبع جلسا إلى جوار الفتى (خميس) حتى نهاية العزا.. وعرضا عليه أن يقوما هما بكل مصاريف الجنازة والصوان على أساس (إن أبوك الحاج سالم كان أخونا وحبيبنا.. وكان راجل بجد).. فشكرهما (خميس) كثيرًا وشد على يديهما وكان ما يزال يظن بهما خيرًا وردَّ جميلهما قائلًا: (شايلينكم لوقت عوزة).. فقام الاثنان بعدما انتهى المقرئ من قراءة القرآن وشدَّا على يديه قائلين: (شد حيلك يا خميس يا ابني بقى.. إنت البركة فيك.. وإنت مطرح أبوك دلوقتي في البيت).. ثم غادرا الصوان..

تركا المعلم (حنيش) والمعلم (جابر) الطفل (خميس) شهرين حتى انتهت السنة الدراسية.. ثم استدعياه فور توقُّف الدراسة لمقابلتهما في المغلق.. ودار بينهما الحوار التالي:

– طبعًا إحنا سيبناك ياخميس يا ابني لغاية ما أخدت إجازة الصيف.. وكان الله في عونك إنت والست والدتك الكريمة.. أعانكما الله على التلات بنات إخواتك لغاية ما توقفهم على رجليهم وتجوزهم.. لكن إحنا كمان يا خميس يا ابني ما تآخذنيش لينا ديون في ذمة والدك الله يرحمه..

– كام الديون دي يا عمي حنيش؟!!

– إحنا لينا أنا واخويا المعلم (جابر) أربعة مليون جنيه ونصف في رقبة أبوك الحاج (سالم) والدك الله يرحمه.. الفلوس دي ثابتة عندنا بشيكات كان هو ماضيها بإيده الله يرحمه.. تمن أخشاب كان هو جايبها علشان يبيعها ويبقى يسدد لنا الشيكات بعد كده.. لكن طبعًا زي ما إنت عارف السرقة اللي حصلت في المغلق عندكم يوم وفاة والدك رحمة الله عليه.. الحرامية ولاد الحرام منهم لله ما سابوش عرق خشب واحد في مغلق والدك رحمة الله عليه!!

– طيب كويس.. وانتوا إيه رأيكوا يا عمي حنيش؟!! أنا أقدر أرد الفلوس دي ازاي؟!!

– بص ياعم (خميس) إنت قُدامك سكة من اتنين!!.. إما إنك تفضل في المدرسة زي ما إنت.. وتكمل دراسة عادي خالص.. بس في الحالة دي إحنا هنحط إيدينا على المغلق بتاع والدك الله يرحمه والبيت بالأرض اللي حواليها اللي انتوا عايشين فيها.. دول كده كلهم على بعض يجيبوا حوالي تلاتة مليون ونص من فلوسنا.. ويا سيدي هيبقى فاضلنا مليون جنيه من فلوسنا عند والدك.. مش عاوزينهم ياسيدي رحمة ونور على روحه الطاهرة رحمة الله عليه.. بس كده يا ابني إنت هتبقى فضحت أبوك في تربته وجرست عيلة (أبو المعاطي) كلها في

الوحل.. ما تآخذنيش يا (خميس) يا ابني هتروح بأمك الغلبانة والتلات بنات فين؟! ما انتم مالكمش متوى غير هنا!! وإحناماينفعش نسيبك تفضح أمك واخواتك البنات الغلابة بالطريقة دي!!.. ده كده إنت هتخلى رقابينا إحنا قد السمسمة!!.. بس هنعمل إيه مضطرين علشان فلوسنا.. طيب هنجيب فلوسنا ازاي؟!!

- طيب والحل التاني يا عمي (حنيش)؟!!

- شبه الأولانى يا (خميس) يا ابني بس أرحم شوية!! هنحط إيدنا على المَغْلَق برضو وهاحسبهولك باتنين مليون ياعم مع إن تمنه في السوق مايجيبش أكتر من مليون ونص ورب الكعبة.. وهاسيب أنا وأخويا المعلم (جابر) نص مليون جنيه من حقنا رحمة ونور على روح والدك الكريم الطاهرة عمدة سوق الخشب اللي علمنا الشغل والتجارة الحاج (سالم أبو المعاطي) الله يرحمه.. والاتنين مليون الباقيين هتشتغل بيهم معانا يا عم (خميس) بقى.. بس طبعًا الشيكات هتفضل معانا لغاية ما تخلص المديونية اللي عليك.. وطبعًا لو وافقت على الحل التاني يا عم (خميس) يبقى هتسيب المدرسة من بكرة!!.. وهاعملك مرتبك يا عم (خميس) 20000 جم (عشرون ألف جنيه) في الشهر.. مع إن أتخنها (كومانضه) في الشهر عندى بأديله (15000) جنيه في الشهر بس وبيكون خدم معايا أقله 10 سنين.. بس أنا مكارمك علشان انت ابن الغالي الله يرحمه!!.. وهناخد منك في الشهر 10000 جم سدادًا لديون الوالد الكريم.. والعشرة آلاف التانيين هسيبهم لك تستر بيهم امك واخواتك البنات !!.. إيه رأيك ياواد يا (خميس) في عمك

(حنيـش) وقلبـه الطيـب ده بقـى!!

هنـا تدخـل الحنـش الآخـر (جابـر الجرنـوسي) في الـكلام صارخًـا مجلجلًا :

- 10000 جـم إيـه في الشـهر يـا حنيـش يـا أخويـا؟!! وهيسـد لنـا الاتنـين مليـون إمتـى يـا أبـوووي.. بعـد عشريـن سـنة ياولـد!!!

- الرحمـة حلـوة يـا معلـم جابـر.. وبعديـن برضـك ماتنسـاش إن ده ابـن الغـالي الـلي ربانـا ووقفنـا عـلى رجلينـا في السـوق في بدايتنـا.. وآدي إحنـا قاعديـن في مَغلَـق والـده الله يرحمـه سـد لنـا الفلـوس بعـد 10 سـنين مـاشي.. بعـد 20 سـنة مـاشي.. بعـد 30 سـنة مـاشي.. ماسـدهاش خالـص سـاعتها نحـط إيدينـا عـلى بيـت العيلـة بالفلـوس الـلي باقيالنـا.. وأهـو هـو راخـر يكـون سـتّر اخواتـه البنـات.. والـلي باقـي لـه مـن بيـت والـده يبقـى يتجـوز بيـه ويفتـح بيـت.. ويبقـى إحنـا كـده عدانـا العيـب وقـزح يـا معلـم (جابـر).. ولا إيـه يـا (خميـس) يـا ابنـي؟!!

- (مـوت ياحمـاااار!!!!!).. قالهـا المعلـم (جابـر) وهـو يغـادر الجلسـة مفتعـلًا غضبًـا أجـوف لم يفهمـه الفتـى الغـض (خميـس) في حينـه..

هنا التفت المعلم (حنيش) إلى الفتى (خميس) وقال له:

- ههههه.. استبينا يا (خميس) يا ابني!!

- استبينا يا عمي (حنيش)!!

- طيـب.. إنـت تتـوكل عـلى الله.. وتيجـي تسـتلم الشـغل مـن بكـرة الصبـح في مَغْلَـق أبـوك الله يرحمـه.. تصـلي الفجـر وتَنَّـك جـاي عـلى المغلـق عـلى طـول.. تفتحـه وتروقـه.. وأنـا هابعـت عمـك المعلـم (جابـر) هـوا الـلي هيديـر المغلـق بالصـلاة عـلى النبـي لأن أنـا

مـا أقـدرش أسـيب شـغل المَغْلَـق بتاعنـا هنـا!!.. وآدينـي فتحـت لـك صفحـة أهـو باسـمك في الدفـتر عندنـا.. كتبـت اسـمك في نـص الصفحـة (خميـس سـالم أبـو المعاطـي).. وكتبـت تحتهـا إنـك مديـون لنـا بمبلـغ اتنـين مليـون جنيـه.. وعاوزيـن إمضـاءك الكريـم يـا (خميـس) يـا ابنـي تحـت المبلـغ علشـان دي حقـوق نـاس وأمـوال نـاس.. وكل شـهر هانـزل لـك 10000 جـم مـن أصـل المديونيـة وتمـضي جنبهـا لغايـة مـا تخلـص المديونيـة الـلي عـلى أبـوك الله يرحمـه.. توكلنـا عـلى الله..

- استبينا ياعمي..

تـاني يـوم الصبـح توجَّـه الفتـى (خميـس) إلى مَغْلَـق أبيـه الحـاج (سـالم) بعـد صـلاة الفجـر مبـاشرة ليفاجـأ بالمعلـم (جابـر) جالـس عـلى مكتـب والـده المرحـوم الحـاج (سـالم أبـو المعاطـي) وهـو يدخـن الشيشـة الموضوعـة إلى جـواره.. عندهـا أصابـت الفتـى (خميـس) غصـة في حلقـه عندمـا رأى لأول مـرة في حياتـه المعلـم (جابـر) يجلـس مـكان والـده عـلى المكتـب الـذي اعتـاد أن يـأتي ليـزور والـده فيـه مـرات عديـدة.. وكان الجميـع يدللونـه في المـرات السـابقة ويمدونـه بأطبـاق الـرز باللبـن والمهلبيـة حتـى يقـوم والـده في نهايـة اليـوم ويفتـح بـاب الخزانـة الحديديـة الضخمـة إلى جـوار المكتـب ويسـحب منهـا مبلـغ (100) أو (200) جنيـه ثـم يداعـب ابنـه (خميـس) بعبارتـه المعتـادة: (خـد شـبرق نفسـك)!!.. مـرت كل هـذه الذكريـات السـعيدة بخاطـر الفتـى (خميـس) لعـدة لحظـات.. قبـل أن يبـادر المعلـم (جابـر) الجالـس وراء المكتـب بالتحيـة:

الفتى: صباح الخير يا عمي جابر..

المعلـم جابـر: نعـم يـاروح أمـك.. عمـك ده إيـه.. اسـمي المعلـم (جابـر) يـا واد!!

ثم قذف مبسم (الشيشة) الذي كان ممسكًا به من يده وقام من وراء المكتب ثم صفع الفتى (خميس) صفعة مدوية على وجهه.. ثم بدأ صراخًا زاعقًا في وجهه:

المعلم: اسمع ياروح أمك إنت.. إوعى تكون فاكر إنك لسه هتدلع وتتهنن في مغلق المرحوم الله يرحمه.. لا يا حبيبي الأيام دي ولّت خلاص.. إنت دلوقتي زيك زي أقل صبي عندي هنا في المغلق.. ورحمة أبوك الحاج (سالم) ما أسمعك بتقول لي كلمة (ياعمي) دي تاني إلا وراح أمسح بيك بلاط المَغْلَق ده كله.. النوبة الجاية لو سمعتك بتقولها تاني هتلاقي البُلغة اللي أنا لابسها في رجلي دي هتنزل تتقطع على نافوخك.. فاهمني ياواد!!

الفتى خميس: فاهم يا معلم!!

هنا أدرك الفتى (خميس) أي وهدة عميقة تلك التي ألقت به في جبها الأيام.. وعرف معنى الذل والانكسار لأول مرة في حياته.. لقد تحوَّل من صاحب مِلك في مَغْلَق أبيه إلى أجير ذليل فيه!! هنا فقط أدرك لأول مرة معنى البيت القائل: (لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن).. طوى قلبه على أحزانه ووضع همه في الشغل.. ومرت الأيام ثقيلة كئيبة حزينة متهادية.. كان المعلم (جابر الجرنوسي) يتعمد مرة أو مرتين في الأسبوع على الأقل إهانته أمام كل صبيان المغلق.. كأنما يريد إيصال رسالة إلى الفتى (خميس) بالأساس وإلى كل صبيان ورجالات سوق الأخشاب بالمنيا بأن أيام الحاج (سالم أبو المعاطي) قد ولَّت إلى الأبد.. وأنه هو وأخوه الأكبر الشيخ (حنيش الجرنوسي) أصبحا هما كبارات سوق الأخشاب في محافظة المنيا.. إن لم يكن في وجه قِبلي كله.. مرت ستة سنوات كاملة على هذا المنوال.. كبر الفتى (خميس) خلالها ليصبح في سن العشرين..

ليان للنشر ولتوزيع

وكان قد وفَّقَه الله وساعد أمه في تستير أختيه (صفية) و(زبيدة) ولم يكن قد بقي في البيت سوى أخته (سعدة).. كان ينزل إلى المَغْلَق يوميًّا من بعد صلاة الفجر حيث يقوم بفتح أبواب المغلق وتنظيفه وترتيب الأخشاب فيه بداية من الساعة الخامسة والنصف صباحًا ويظل مستمرًا في العمل مقهورًا مظلومًا حتى الساعة السابعة مساءً كل ليلة.. حيث يعود إلى بيت والدته وهو مُرهَق مكدود من التعب.. فلا يجد سوى حضن أمه الصابرة المحتسبة ليلقي رأسه فيه فيتوسد حضنها ويبدأ في نوبة البكاء شبه اليومي لمدة ساعة على الأقل.. بكاء على الحظ العاثر والمستقبل الذي ضاع وحلم الطبيب الذي تبخر والوالد الظهر الذي انكسر والإهانات والإذلال الذي يتجرع كأسه يوميًا على يد المعلم (جابر الجرنوسى).. وما إن ينتهي من نوبة البكاء شبه الهستيري اليومية حتى يذهب إلى العشاء فيأكل من يد والدته طبق العشاء السخن الوحيد الذي كان يدخل جوفه طوال اليوم ثم يستلقي في سريره قتيلًا من التعب فينام حتى موعد صلاة الفجر فيستيقظ ويذهب إلى المَغْلَق مرة أخرى ليفتحه مع صلاة الفجر.. وهكذا دارت به سبحة الأيام حتى أتى اليوم الموعود أو المشئوم الذي كشف الله له بصره وبصيرته.. كان المعلم (جابر الجرنوسي) قد ترك المَغْلَق بعد صلاة العصر وذهب لزيارة أخيه المعلم (حنيش الجرنوسي) في مَغْلَقه.. وكان قد ترك موبايله الخاص به في المَغْلَق.. وفجأة جاءته مكالمة هامة من أحد كبار عملائه يطلب فيه تبكير موعد تسليم (لوط) الأخشاب الخاصة به على وجه السرعة إلى ظرف أسبوع واحد فقط بدلًا من شهر كامل نظرًا لحدوث ظرف هام لدى العميل جعله يحتاج كمية الأخشاب المطلوبة على وجه السرعة.. ولما كان (الفتى خميس)

هو الذي تلقَّى المكالمة وكان عليه أن يبلغها للمعلم (جابر) على وجه السرعة خشية أن يبيع المعلم (جابر) الأخشاب الموجودة بالمخزن أو يتصرف فيها.. لذا قرر الفتى (خميس) أن يترك المَغْلَق على وجه السرعة ويذهب إلى مَغْلَق المعلم (حنيش) - الذي كان قد توقف عن زيارته نادرًا منذ تاريخ الزيارة المشؤومة إلى هذا المَغْلَق حين أجبره المعلم (حنيش) على التوقيع على مديونية قيمتها اثنان مليون جنيه في أحد صفحات الدفتر الأسود الكبير الموجود في خزانة المعلم (حنيش الجرنوسي).. ودخل الفتى (خميس) متسللًا ولم يكن أحدٌ من صبيان المعلم (حنيش) موجودين بالمَغْلَق حيث أنها كانت حصة غذاء وكان جميع الصبيان قد رحلوا لتناوُل طعام الغداء من أحد محلات الكشري القريبة من المَغْلَق.. وبدلًا من أن يبادر الفتى (خميس) المعلم (جابر) بالحديث، شيء إلهي أمره أن يصمت في ذلك اليوم ويستمع إلى الحوار الدائر بين المعلم (حنيش) والمعلم (جابر)..

المعلم جابر: هنعمل إيه في الواد ابن الحرام ده يا معلم حنيش؟

المعلم حنيش: تقصد مين.. الولا خميس.. ما هو ماشي حاله يا معلم جابر.. وأهي العجلة دايرة وبيسدد مديونية أبوه لغاية ما تخلص.. وأنا ما باسمعش عنه إلا سمع خير يا معلم جابر!!

المعلم جابر: سمع خير إيه بس يا معلم حنيش!! أنا نِفسي أخلص من أمه بقى وأحط إيدي على المَغْلَق بتاع أبوه.. طب ما تيجي نعمل فيه زي ما عملنا في أبوه قبل كده!!

المعلم حنيش: ده إيه الجنان ده يا جابر.. دي ظروف وعدت أيامها بقى الله لا يعيدها.. خلينا في حالنا يا معلم جابر والنبي!!!

المعلم جابر: اسمع بس!!.. ده أنا موضب للواد خازوق مُكن.. وما فيش غيرك إنت اللي هتساعدني في تنفيذ المغرز في الواد (خميس)!!

المعلم حنيش: سمعني يا فالح!!

المعلم جابر: أول ما أسيبك وأتكل على الله أروح المَغْلَق.. هاتخانق مع الواد (خميس) خناقة مكن لرب السما وهارقعه علقة متينة على صداغه قدام صبيان المغلق.. وهاطرده وهاقوله مالكش شغل عندى تاني في المَغْلَق ده.. هيروح لأمه ودمعته على خده ويقعد يعيط وينهنه زي النسوان طول الليل.. كويس!!.. أمه بقى ستي الحاجة هتبعته على مين؟!!.. مافيش غيرك إنت يا معلم (حنيش).. الصدر الحنين اللي شبكتنا الشبكة السودا دي مع الواد (خميس).. هيقعد يعيط وينهنه ويشتكيلك منى ساعتين تلاتة.. تاخده على حجرك وتقعد تسمع له.. وبعدين تضحك في وشه الضحكة المتينة وتقول له طيب أنا عندي الحل اللي يخلصك من القرف ده كله!!.. طبعًا هو ما هيصدق يوطي يبوس رجلك ويقولك ناولني الحل يا معلم.. هاتروح قايله: صفقة حشيش يامعلم.. هتهرب كام طربة حشيش محترمين كده محشورين جوه عروق خشب مستوردين بعد ما نفرغهم زي ما عملنا مع والده المرحوم (سالم أبو المعاطي).. الفرق بقى ما بين الاتنين إن المرحوم (الحاج سالم) إحنا استكردناه وهربنا الحشيش جوه عروق الخشب اللي سرقناها من مخزنه من غير ما هو يعرف.. المرة دي بقى الواد (خميس) لازم يكون عارف إنه بيهرَّب حشيش هو بنفسه.. طبعًا هيرد ويقولك حشيش إيه يا معلم (حنيش)؟!! وأنا هاجيب تمنه منين وأنا حيلتي اللضا؟!!.. تقوله هاسلفك ياواد.. وتعرض عليه مبلغ سلف

(200000 جنيه مصري) وتمضيه على شيكات قصادهم علشان نقدمها للنيابة دليل إثبات ضده.. وتضحك عليه وتطمعه وتقوله (ياواد أنا هاشتري الحشيش ده منك بمليون أو مليون وميت ألف جنيه.. وإنت سددت سبعميت ألف جنيه لغاية دلوقتي.. وإنت إذا خدمتني في الموضوع ده أنا هاجبر أخويا المعلم جابر نتنازل عن المائتين ألف جنيه اللي فاضلين على أبوك.. وأهي علقة تفوت ولا حد يموت.. وتخلص بقى من المديونية على أبوك وتسترد المَغْلَق بتاعك وتتجوز بقى وتفوق لنفسك ونفرح بيك كلنا)!!

المعلم حنيش: طيب وإيه الفايدة يا فالح!! ما هي عروق الخشب الواد هيخزنها يا عندك يا عندي لأن الواد ما عندوش مخزن!! يبقى هنبلغ البوليس عنه إزاي؟!!

المعلم جابر: لأ يا كبيرنا مخك راح فين؟!! أنا هاكون طردته وهامنعه يعتب برجله عتبة مخزني!! وانت بقى سعادتك تزقه يخزن الحشيش في بيت أمه (علشان تبقى الفضيحة بجلاجل!!).. وتصدَّر له الوش الطيب والصدر الحنين اللي إنت دايمًا مصدرهوله ده وتقوله: (أنا بأخدمك بس يا خميس يا ابني كرامة لأجل أبوك المرحوم الحاج سالم أبو المعاطي.. أظن إنت ما ترضاليش الأذية وما ينفعش تحط البلوة دي في المَغْلَق بتاعي!!)..

لم تستطع نفسية الفتى (خميس) استيعاب أو تحمل المزيد من المؤامرة التي اكتشفها وسمعها للتو من فم المعلم (حنيش) والمعلم (جابر)، أنهما كانا السبب وراء ضياع ودمار ووفاة والده الطيب عميد تجار الخشب في بني مزار (الحاج سالم أبو المعاطي) وأنهما هما كانا السبب في ضياع حلم العمر في أن يكون

طبيبًا وجراحًا للقلوب كما تمنى له والده ذات يوم.. فخرج من مكمنه الذي لم يكونا يحسان بوجوده فيه وصرخ فيهما:

الفتى خميس: بقى انتوا بقى يا جوز أوساخ اللي كنتوا السبب في موت والدي الله يرحمه وكان ممكن تدمروا سمعته.. لا وما كفاكمش ده كله كمان عاوزين تخلَّصوا على بقيتي وتلبِّسوني قضية حشيش ترموني بيها بقية عمرى في السجن!!

المعلم جابر: إيه اللي جابك هنا يا ولد الحرام إنت!! أني مش سايبك متلقح في المَغْلَق!!

الفتى خميس: ربك اللي ساقني لغاية هنا يا معلم (جابر) لأن النهارده يوم نهاية ظلمكم وفجركم اللي مالوش آخر..

قالها الفتى (خميس) وهو يمسك بعرق خشب من العروق المتناثرة في مكتب المعلم (حنيش) في المَغْلَق لكي يعرضها على الزبائن.. أخذ (خميس) عِرق الخشب وهوى به بكل قوة على رأس المعلم (حنيش) فتوفى على الفور.. ثم أمسك به مرة أخرى حاول أن يهوي على رأس المعلم (جابر) فأخطأه وكان المعلم (جابر) قد أمسك عرق خشب آخر وحاول أن يضرب به الفتى (خميس) عدة مرات ولكن (خميس) كان متمرسًا على سرعة الحركة نتيجة كثرة العمل في حمل أخشاب المَغْلَق ولم تصبه أيٌّ من الضربات المتكررة التي وجَّهها له المعلم (جابر).. وإذ بالفتى (خميس) يجد سكينًا صغيرة على مكتب المعلم (حنيش) تستخدم في فتح الخطابات أخذها على الفور وسدد بها ضربة قاتلة إلى بطن المعلم (جابر) فانفجر الدم من أحشائه وإذ به ينظر إلى خزنة المعلم (حنيش) فيجد بداخلها مليون جنيه (أوراق ميتينات) أخذها الفتى (خميس) ووضعها في كيس أسود كان ملقى على الأرض في مكتب المعلم (حنيش) وانطلق ركضًا

من مَغْلَق المعلم (حنيش).. ذهب أولًا إلى الزاوية المهجورة في شمال (بردونة الأشراف) تلك الزاوية التي كان قد بناها جده الشيخ (أبو المعاطي) والتي كان يعمل مؤذنًا وشيخًا لها حتى وفاته.. تلك الزاوية التي أصبحت مهجورة مع الزمن حين اندثرت الغيطان والأراضي الزراعية التي كان يعمل بها الفلاحون بفعل زحف العمران على القرية.. فحفر حفرة كبيرة في الأرض وأخفى الكيس الأسود المحتوي على غنيمته من خزانة المعلم (حنيش) بقيمة مليون جنيه.. ثم ذهب إلى مَغْلَق والده (سالم أبو المعاطي) وكأنه لا يعلم عما حدث شيئًا فصرف الصبيان والعمال وأعطاهم يومياتهم باعتبار أن المعلم (جابر) أرسله بهذه اليوميات وأغلق المغلق وصرف العمال وقال لهم (أراكم في الصباح في الموعد المعتاد).. وأغلق المَغْلَق وذهب إلى بيت والدته للنوم.

ظلَّ مستيقظًا طوال الليل في السرير.. كان قد وطَّن النفس على الثبات.. وأنه قد اقتصَّ حق والده المرحوم (الحاج سالم أبو المعاطي).. وأن المعلم (جابر) ميت لا محالة من أثر الطعنة التي أعطاها له.. وأنهم حين يأتون ليستجوبوه سوف ينكر التهمة إنكارًا تامًا.. فهو لا يوجد شهود عليه ولم يرَ أحدًا.. والقتل تم بدافع السرقة بدليل أن البوليس سوف يرى الخزانة وقد تم تفريغها.. أما هو فقد عاد إلى صبيان المغلق بمنتهى الثبات والثقة وأعطاهم يومياتهم وصرفهم وأغلق المَغْلَق.. معنى هذا أن الجريمة قد وقعت بعد أن كان قد غادر مَغْلَق المعلم (حنيش) وهو لم يرَها ولا يعلم عنها شيئًا.. أما بالنسبة للمليون جنيه فهي أولًا أموال غير مرقمة ولا يستطيع أحد أن يستدل عليه بها.. وهو سيظل دافنها حتى ينام الموضوع وينساه الجميع

ساعتها بس هيخرج الفلوس ويبدأ في العيش بها وصرفها.. وعمومًا كان قد قر قراره أن هذا المال هو جزء بسيط من المال الذي كان سيرثه من ابيه لولا أن نهبه النهابون وطمع فيه الطماعون.. ولذا فهو حلال مائة في المائة بالنسبة له.. ولكن إذا كان هذا المال سيتسبب له في مشاكل أو كوارث من أي نوع فهو على استعداد شخصيًا أنه يولع فيه فحياته أولى بالحفاظ عليها.

استيقظ جميع من في البيت كلّه على صوت طرق شديد.. استيقظ (خميس) ليفتح لهم الباب ليجد قوة من النقطة الموجودة في بلدة (بردونه الأشراف) على رأسهم الرائد / عمران الجارحي..

سأله الفتى خميس: خير يا معالي الرائد؟

الرائد عمران: كنت فين إمبارح يا خميس من بعد صلاة العصر لغاية المغرب؟

الفتى خميس: أبدًا يا أفندم.. كنت في المغلق وبعدين جه تليفون مهم للمعلم (جابر) بيستعجله ضروري في طلبية أخشاب في ظرف أسبوع.. رحت لَمَغْلَق المعلم (حنيش) علشان أبلغ المعلم (جابر) لأنه كان ناسي الموبايل عندنا.. لاقيته فعلًا عند المعلم (حنيش) وبلَّغته بالخبر.. قال لي إنه مش راجع على المَغْلَق وإداني اليوميات وقال لي ارجع فرقها على الصبيان.. وإداني اليومية بتاعتي أنا كمان أخدتها وخرجت اتغديت وصليت العصر وبعدين رجعت على المَغْلَق فرقت اليوميات على الصبيان وقفلت المَغْلَق ورُحت..

الرائد عمران: صليت العصر جماعة في الجامع الكبير ورا عمك الشيخ / عبد اللطيف المناويشي؟!! عندك شهود على إنك صليت العصر؟!!

الفتى خميس: لا يا افندم!! صليت العصر لوحدي.. بره فرشت جرنالين على الأرض جنب مغلق المعلم (حنيش)!!

الرائد عمران: وما صليتش في الجامع ليه يا حبيبي؟!!

الفتى خميس: لأني لما وصلت لمغلق عمي المعلم (حنيش) كان المعلم (جابر) معاه مكالمة طويلة على الأرضي هو والمعلم (حنيش).. قعدوا يتكلموا حوالي تلات أرباع ساعة.. ما عرفتش أبلغهم إلا متأخر.. وكانت صلاة العصر فاتت عليَّا في الجامع!!

الرائد عمران: كانوا بيتكلموا مع مين؟!!

الفتى خميس: ما أعرفشي والله يا سعادة البيه!!.. ومن إمتى الصبيان اللي زيي بيسألوا المعلمين بتتكلموا مع مين أو بتعملوا إيه؟!!.. بس أنا ما أعرفش سؤالات حضرتك دي كلها على إيه؟!! هو حصل حاجة ولا مؤاخذة؟!!

الرائد عمران: يعني ما تعرفش إنت حاجة خالص!! بريء إنت ياوله نهائي!!.. ما تعرفش إن عمك المعلم (حنيش) اتقتل بضربة شديدة على راسه، وإن عمك المعلم (جابر) خد مطواة جامدة في بطنه تقريبًا نزف نُص الدم اللي في جسمه وإنه اتنقل إلى مستشفى مركز (بني مزار) العمومى بين الحياة والموت؟!!

الفتى خميس: الله طب وأنا هاعرف منين يا بيه!! ما سعادتك جيت لاقيتني في سريري!! بقى المعلم (حنيش) اتقتل رحمة الله عليه هو والمعلم (جابر)!!!

الرائد عمران: المعلم (جابر) لسه عايش قلنا!!

الفتى خميس: بس هيروحوا من ربنا فين اللي عملوا العملة

السودة دي!! أكيد ربنا مش هيبارك لهم في ولا جرش من مال الاتنين الغلابة دول المعلم (حنيش) والمعلم (جابر)!!

الرائد عمران: مال إيه؟!! طب وانت إيش عرفك إن فيه مال اتسرق؟!! هوا إنت تعرف إنه كان فيه فلوس في خزنة المعلم (حنيش)؟!!

الفتى خميس: أكيد يا بيك.. أومال الجتل هيكون ليه جولي إنت سعادتك!!

الرائد عمران: أنا هنا اللي باسأل يا حبيب والديك!!

الفتى خميس: أكيد اللي جتل المعلم (حنيش) والمعلم (جابر) كان عاوز يسرج المال اللي في الخزنة!! أومال هيعوز منيهم إيه برضك يعني؟؟؟ عمومًا أني البلد كلها تشهد إن المعلم (جابر) يا ما ترك مفاتيح الخزنة حدايا وكان فيها ملايين متلتلة وعمر ما نجص منيها جنيه أُحمر.. أجربها ليلة امبارح الخزنة كان فيها فوق الاتنين مليون.. آهي حداكوا أهيه في المغلق تجدروا تعدوا الفلوس اللي جواها!!

الرائد عمران: طب خش البس هدومك عشان عاوزينك حدانا في النقطة يا خميس.. وماتنساش تجيب بطاجتك!!

الفتى خميس: طب وأنا مالي أنا يابيه؟!! دَخْلي إيه أنا بالحكاية دي؟!!

الرائد عمران: إنت ناسي يا خميس إنك كنت آخر واحد شاف المعلم (حنيش) والمعلم (جابر).. بينا عشان نكمل المحضر والا تحبنى أجبض عليك!!

الفتى خميس: لأ.. وتجبض عليا ليه يابيه!! أني جاي معاك بخوطري!!

عند هذه الجملة بدأت والدة (خميس أبو المعاطي) وأخته (سعدة) في اللطم في البيت والولولة.. فأخرسهما بصرخة واحدة وقال لهما: (أني بريء يا أمه.. ما تخافيش من حاجة!!).. لبس هدومه على عجل ونزل لكي يصاحب الضابط لاستكمال المحضر في النقطة.. قرر الضابط أخذ أقواله أولًا ثم القبض عليه وإيداعه الحجز في النقطة.. ومن ثم ترحيله إلى سجن المركز في بَني مزار) للعرض على النيابة في خلال أربعة أيام.. كان الطريق طويلًا وشاقًا بين قرية (بردونة الأشراف) ومركز (بَني مزار).. قضاه الفتى (خميس) قلقًا مستوحشًا من مستقبل الأيام.. أول ما وصلَ إلى مركز (بنى مزار) تم ادخاله إلى الحجز فورًا بعد استيفاء إجراءات تسليمه.. كان الحجز غاصًا بالبشر والمتهمين.. حتى إن (خميس) لم يجد مكانًا يجلس فيه فنام واقفًا وهو مستند على الحائط من شدة التعب.. كان قد بدأ النوم في حوالي الساعة الثالثة عصرًا ولم يستطع الاستيقاظ حتى الساعة التاسعة والنصف مساء ليجد نفسه وهو محشور نائمًا على الأرض في أحد أركان الحجز.. وتحت منه عباءة مقطعة تحميه من برد الأرض.. وعليه ملاءة مقطعة مهلهلة أيضًا تحميه شر البرد في المساء.. وتتسلل إلى أنفه روائح أكياس إلى جواره بها رائحة الفول والفلافل والباذنجان والبطاطس المقليان تتسرب جميعها من أكياس موجودة إلى جانبه.. وهو لا يدري من أمره شيئًا من فرش الملاءات تحته وفوقه وأحضر له الطعام.. وما هي إلا قليلًا إلا وسمع صوتًا حادًا يصدر من الشخص إلى جواره..

الشخص: فقت يا صاحبي!!

خميس: مين يا ابن والدي؟!!

الشخص: الوش اللي جصادك ده ما بيفكرش بحاجة!!

خميس: الوش اللي أني شايفه ده عمره ما مَرّ عليا في حياتي!!

الشخص: طب ارجع بعقلك كده ورا قيمة 11 أو 12 سنة.. مدرسة (الأشراف) الابتدائية في (بردونة الأشراف).. ما انتاش فاكر صاحبك اللي كان بيقعد وراك بدرجين تلاتة.. مش فاكر واحد اسمه (غنيمة الأشوح)؟!!

خميس: غنيمة الأشوح!!.. طبعًا فاكره!! إيه اللي غيرك كده يا غنيمة؟!! ده إنت كبرت قيمة عشرين سنة!!.. وبتعمل هنا إيه يا ابني؟!!

غنيمة الأشوح: سرقة بالإكراه.. سمعت عن سرقة محل الصايغ (بطرس سمعان).. تاهمني فيها ظلم أنا وجماعتي.. وحابسني هنا علشان يحققوا معايا في سرقة الصايغ (بطرس).. ده اللي في الظاهر كده بس!!.. إنما في الحقيقة هما عاوزِنّي أدل البوليس على أسماء أفراد الجماعة بتاعتي لأن البوليس مش عارف عنهم أي حاجة.. عاوزين ياخدوا مني معلومات تفصيلية عشان يبقى عندهم عنهم ملفات منفصلة عن كل فرد من أفراد الجماعة في أمن الدولة.. وبعد كده إن شاء الله يفرجوا عني في قضية السطو على محل (الخواجة بطرس) لأنهم عارفين ومتأكدين انهم مش هيعرفوا يوصلوا معايا لحاجة فيها!!

خميس: جماعة!! جماعة إيه يا عم غنيمة؟!! وإيه الدقن اللي إنت مربيها دي كلها؟!! وايه الجلابية والتلفيحة اللي إنت حاططها على راسك؟!! فين العمة الصعيدى بتاعتنا؟!!

غنيمة: العمة الصعيدي!! إنت كنت عايش فين يا عم (خميس).. في المريخ؟!!.. أنا دلوقتي بقيت الأمير (غنيمة الأشوح) أمير جماعة (السائرون على طريق الحق)!! أنا اللي مدوخ الطواغيت والكفرة في محافظة المنيا كلها.. سرقة مواشي

وقتل رؤوس الكفر وسطو على محلات الدهب بتوع الكفار.. بقي من سنة 2009 لغاية دلوقتي داخل على تلات سنين اهه.. عملت فيها ييجي 16 عملية والبوليس ما عرفش يثبت عليا عملية واحدة منهم!!

خميس: طواغيت وكفار.. مين دول يا حاج غنيمة الطواغيت والكفار دول؟!!

غنيمة: أولًا أنا اسمي الأمير (غنيمة) مش الحاج (غنيمة).. أنا اللي حاميك فما تقلش مني.. تاني حاجة انت إيه اللي جابك هنا في الوحلة اللي إحنا فيها دي؟!!

خميس: أنا جاي في قتل نفس..

غنيمة: قتل نفس!! إزاي الكلام ده يا خميس ده إنت الأَلفة بتاعنا في ابتدائي!!

وهنا بدأ (خميس) يحكي (لغنيمة) المؤامرة البشعة التي تعرَّض لها هو ووالده من المعلم (حنيش الجرنوسي) وأخيه المعلم (جابر الجرنوسي).. وكيف أنهما وضعا طرب الحشيش في الأخشاب المستوردة باسمه من دون علمه ثم قاما بسرقتها مما أدى إلى وفاة والده الطيب (الحاج سالم أبو المعاطي) الذي رحمه الله من الفضيحة لو كان قد تم اكتشاف المخدرات في الأخشاب المستوردة باسمه على حد قول (خميس).. ثم استوليا بعد ذلك على مَغْلَق الخشب الخاص بأبيه ظلمًا وعدوانًا من دون وجه حقٍّ واستعملاه أجيرًا ذليلًا سبع سنوات في هذا المَغْلَق يسدد لهما ديونًا وهمية من حرام.. ثم أرادا بعد ذلك أن يورطاه في قصة شبيهة بالتي ورطا فيها والده بدون وجه حق ليسجناه إلى الأبد ويستوليا على مَغْلَق والده زورا وباطلًا.. مما استدعى قيامه بقتلهما بدون وجه حق، انتقامًا مما ارتكباه ظلمًا وعدوانًا

ضد والده المرحوم الحاج (سالم أبو المعاطي).. ثم أخبره بالنقطة الأهم وهي أنه وجد ثروة في خزانة المعلم (حنيش) تساوي مليون جنيه وأنه أخفاها في مكان (الجن الأزرق) لا يعرف أن يصل إليه.. وهنا زفر (غنيمة الأشوح) زفرة عظيمة سمعها كل من كان حولهما في الحجز ثم قال:

غنيمة: بقى كل اللي حصل لك إنت ووالدك يا خميس ده وما انتش فاهم يعني إيه طواغيت وكفار ولد كفار في الدنيا يعني إيه؟!!.. وهو لو كان فيه عدل في الدنيا دي كان حصل لك كده انت ووالدك يا ابني.. ده انتوا كنتوا اسياد الناس.. عمومًا ياابني انت براءة لغاية دلوكيت ياجدع انت!!.. انت ماحدش شافك وانت بتضرب المعلم (حنيش) ولا شافك وانت بتطعن المعلم (جابر).. ووكيل النيابة ما يعرفش بالتلفيقة اللي كانوا ناويين يلفقوها لك علشان كده ما فيش دافع للقتل عندك!!!

خميس: أيوه بس الكارثة كلها لو صحي (جابر) من الغيبوبة اللي هو فيها وشهد بإن أنا اللي ضربته هوا والمعلم (حنيش)!!!

غنيمة: ولا حتى دي كمان.. سيبني أنا أغطيها لك!!.. لكن المهم دلوقتي يا عم خميس إنك تحافظ على المليون جنيه اللي معاك دول زي عينيك!!!.. دول هما دول اللي هنبني علينا مستقبلهم أنا وانت!!!

فقال خميس باستهتار: مخدرات برضك؟!!

غنيمة: لا يا فالح!! سيناء!!!

خميس: وهنعمل إيه في سيناء ياوِلد المحروق انت!!!

غنيمة: هو انت في نومة ياض يا خميس ولا إيه؟!! ما انتاش داري باللي بيحصل في البلد!!.. إحنا في (إبريل) سنة

2012 والإخوان باين عليهم هما اللي هيمسكوا الحكم في مصر الانتخابات الجاية!!!! وكده الإخوان والتيار الإسلامي هيرعوا في سينا.. ودول اليومين بتوعنا يا خميس يا أخويا.. لو ما لحقناش نضرب ضربتنا في اليومين دول عمرنا ما هنعرف نعمل حاجة بعد كده.. المهم انت خليك ثابت على أقوالك اللي قلتها (لعمران بيك الجارحي) في النقطة.. انت ما شُفتش حاجة وما تعرفش حاجة وما عملتش حاجة!!!!

وما هي إلا أيام إلا وبدأت الأخبار تترى.. وحدث ما توقعه (خميس أبو المعاطي) حرفيًا.. أفاق المعلم (جابر) من الغيبوبة وكان (خميس) ما زال محبوسًا على ذمة القضية.. وطلبت النيابة سماع أقوال المعلم (جابر).. وهنا انقبض قلب الفتى (خميس) قبضة شديدة وأحسَّ أن حبل المشنقة قرَّب يلتف حول رقبته.. ولكن (غنيمة الأشوح) ثبته وأمنه وطلب منه أن يظل ثابتًا على موقفه من الإنكار لا يتزحزح.. وفي الليلة التي كان المعلم (جابر) سيذهب في اليوم التالي لأخذ أقواله في النيابة.. زاره في منزله نائب (غنيمة الأشوح) أمير جماعة (السائرون على طريق الحق).. وكان اسمه (سيف الإسلام الهمشري) ودارت بينه وبين المعلم (جابر) المحادثة التالية:

سيف الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله يا معلم جابر..

المعلم جابر: وعليكم السلام والرحمة يا أخويا.. أهلًا وسهلًا.. خير إن شاء الله.

سيف الإسلام: أنا (سيف الإسلام الهمشري) نائب الأمير (غنيمة الأشوح) أمير جماعة (السائرون على طريق الحق).

المعلم جابر: أنعِم وأكرم.. عاوز مني إيه يا سيف الإسلام يا همشري؟!!

سيف الإسلام: بقى شوف يا أخونا.. إحنا المعلم (خميس أبو المعاطي) دخل في حِمى أميرنا (الأمير غنيمة الأشوح) واحنا أجَّرناه!!

المعلم جابر: المعلم خميس!!.. لا هو الواد خميس بقى معلم!!

سيف الإسلام: معلم غصب عن عين أي كلب يعصى أميرنا!!.. وكلام أميرنا يمشي على كل موحد بالله يتنفس تحت سماء مركز (بني مزار)!!.. بقى (خميس) حكي لنا على كل اللي حصل بينه وبينك وبين المعلم (حنيش) الله يرحمه.. بقى انتوا اتسببتوا في موت أبوه المعلم (سالم أبو المعاطي) وهو كان السبب في وفاة المعلم (حنيش) الله يرحمه!!

المعلم جابر: تقصد إنه قتله يعني!!

سيف الإسلام: لكل أجلٍ كتاب يا معلم وما حدش بيموت ناقص عمر.. وانتوا كمان زوَّرتوا ودلستوا واستوليتوا على ميراثه من أبوه وهو قصادها أخد شوية الفلوس اللي كانت موجودة في خزنة المعلم (حنيش).. لغاية كده إحنا حبايب وصحاب.. والله عزوجل بيقول في سورة المائدة: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) (الآية 45)..

المعلم جابر: طلباتك يا سيف الإسلام؟!!

سيف الإسلام: أميرنا بيؤمر وأمره نافذ إن شاء الله.. بيقول تسيبوا (خميس) في حاله بقى بكفاية اللي حصل له من تحت راسكم.. ده إذا كنت عاوز تحافظ على عمرك وعافيتك وبناتك والمَغْلَق بتاعك والخشب اللي جواه.. إنما أسمع إن (خميس) جه

اسمه أو ذكره بكرة في تحقيق النيابة انت الجاني على نفسك يا معلم.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

وبالفعل حدث ما توقعه (غنيمة الأشوح) بالضبط.. لم يذهب المعلم (جابر) إلى تحقيق النيابة بدعوى أنه لم يتعافَ صحيًا بصورة كاملة من طعنة الخنجر التي أصابته ودمرت أحشاءه.. بديلًا عن ذلك أرسل محاميه بمذكرة مكتوبة تحتوي شهادته على الحادثة التي جرت له هو وأخوه المعلم (حنيش) وكانت المذكرة ممهورة بإمضائه وعليها ختمه الشخصي.. كانت فحوى المذكرة تقول:

(إنه قبل صلاة المغرب بحوالي عشر دقائق كان يجلس هو وأخوه المعلم (حنيش) في المَغْلَق وحدهما بعد أن غادر المدعو (خميس سالم أبو المعاطي) قبلها بنصف ساعة.. وكانا في انتظار أذان المغرب ليصلياه جماعة.. هجم أربعة ملثمون لم يستطع المعلم (جابر) تمييز أي من ملامحهم.. وكانت لهجتهم غريبة ليست لهجة سكان مركز (بني مزار) أو أي من قراها.. والأربع شبان كانت أعمارهم تتراوح بين 14 - 16 عامًا.. انتهزوا فرصة أن المَغْلَق كان خاليًا من الصبيان لأن كانوا كلهم في حصة الغدا.. دخلوا بسرعة إلى المَغْلَق وسحبوا عِرْقَين خشب واحد منهم نزل ضرب على دماغ المعلم (حنيش) فتوفي في الحال.. أما أنا ففضلوا يضربوني جامد على دماغي فبقيت مدروخ على الآخر والرؤية عندي بقت ضعيفة جدًّا، وحاولت أقاوم الواد اللي بيضربني راح شاقق بطني بسكينة الجوابات ما قدرتش أميز ولا أتعرف على واحد من الشباب دول.. كل اللي أنا لسه فاكره إنهم بعد ماضربونا جريوا على الخزنة اللي كان المعلم (حنيش) سايبها مفتوحة.. وفتحوا شنطة سفر قديمة جلد بني كانت معاهم

وعبوا فيها المليون جنيه اللي كانت في الخزنة وطلعوا جري بعد كده من المَغْلَق.. وسمعت صوت عربية نص نقل كانت معاهم بره سايبينها دايرة.. وصوت الموتور كان عالي قوي وهما داعسين بنزين على آخرهم وهما بيحاولوا يهربوا بيها.. أعتقد يومها بالليل كانوا سابوا محافظة المنيا كلها وهربوا على أسيوط أو على أسوان.

إمضاء

جابر عبد الستار الجرنوسي

بني مزار في 29 / 5 / 2012

بعد تسليم هذه المذكرة إلى نيابة (بني مزار) حدث ما توقعه (غنيمة الأشوح) بالضبط.. لم تستطع النيابة توجيه الاتهام بالقتل أو بالسرقة ضد (خميس سالم أبو المعاطي).. وظلَّ محبوسًا على ذمة القضية حتى شهر (يوليو) 2012 حين أفرجت عنه النيابة بضمان محل إقامته نظرًا (لعدم إمكان توجيه الدعوى الجنائية) ضده لعدم كفاية الأدلة.. فعاد إلى منزل والدته وترك المَغْلَق المملوك له الذي كان قد ورثه عن والده مغلقًا ولم يباشر أي تجارة فيه.. وظل كانن في بيت والده - وفقًا للهجة أهل قبلي - وسرعان ما لحق به زميله وصديق ليالي السجن (غنيمة الأشوح) حين أفرجت عنه محكمة جنايات المنيا هو وخمسة من أفراد جماعته (براءة) في قضية سرقة محل مجوهرات الصايغ (بطرس سمعان) أيضًا لعدم كفاية الأدلة في شهر أكتوبر 2012.. وسرعان ما التأم شمل الاثنين (غنيمة الأشوح) والفتى (خميس سالم أبو المعاطي) - وثالثهما النائب (سيف الإسلام الهمشري - حيث كانت قد نشأت بينهما صداقة متينة طوال ليالي السجن التي جمعتهما سويًا وكانا يناقشان القادم في مستقبل الأيام وكيف سينظمان

عملهما وعمل الجماعة في سيناء.. وبدآ وهما في السجن يخططان لعدد من الأعمال الإرهابية (اللي تسمع) على حد تعبيرهما لكي يلفتا نظر الجماعات الإرهابية الضخمة في سيناء إلى وجودهما.. وعند خروج (الأمير غنيمة الأشوح) من السجن هو ومجموعته فما لبثوا أيامًا قليلة حتى كانوا قد جمعوا كلَّ ما يحتاجون من ملابس وأثاث وكتب وسلاح ووضعوه في عربة نقل.. وفي الليلة الموعودة توجَّه كلٌّ من (غنيمة الأشوح) والفتى (خميس أبو المعاطي) بالعربة النقل والستة شباب - النائب الهمشري والخمسة المفرج عنهم في قضية الصايغ – يجلسون على الأثاث والملابس الموجود بصندوق العربة من فوق.. توجها إلى الزاوية المهجورة في (بردونة الأشراف) وحفرَا الحفرة الموعودة - حيث كان خميس أبو المعاطي تركَ المال سابقًا والذي لم يجرؤ خميس وحده أن يذهب لجمعة بدون الحليف الجديد غنيمة الأشوح، وعندما وجدا الكيس الأسود كما وضعَهُ (خميس) ووجدا فيه مبلغ المليون جنيه.. التقطاه ووضعاه إلى جانب السلاح في قاع صندوق العربة النقل وهو مغطى بالملابس والأثاث.. ويمم الجميع وجوههم شطر مدينة (الشيخ زويد) بشمال (سيناء).

في مدينة الشيخ زويد:

قامت المجموعة باستئجار بيت ضخم من طابقين.. الطابق الأعلى به 4 غرف نوم تتسع لنومهم جميعًا.. أما الطابق االسفلي فيه غرفتان كبيرتان للجلوس تكفيهما للاجتماعات والتخطيط للعمليات وغرفة طعام كبيرة.. وكان للبيت قبوٌ واسعٌ وضعَتْ فيه المجموعة الأسلحة التي هربوا بها من (بني مزار)..

كانت الاستراتيجية التي خطَّط لها كلا من الصديقين (غنيمة الأشوح) و(خميس أبو المعاطي) لعمل المجموعة وهما

في السجن هو أنهما يريدان فقط أن يكونا (سماسرة إرهاب).. يسرقان السلاح من مخازن الشرطة ومن مديريات الأمن وأقسام الشرطة في الصعيد ثم يقومان بتهريبه وبيعه إلى عصابات الإرهاب في سيناء.. كما يقومان بتهريب كل من يرغب بالالتحاق (بالمجاهدين) في سيناء من المجرمين الخطرين والمسجلين خطر ثم يبيعانه لمن يدفع ثمنًا أكثر فيهم من عصابات الإرهاب في سيناء.. واتفقا على ألا يقوما بعمليات إرهابية إلا العمليات الكبيرة الضخمة الاستعراضية التي لا يكون المقصود فيها إيقاع الكثير من القتلى، وإنما المقصود بها ازدياد شُهرة جماعة (السائرون على طريق الحق).. وكرَّت سبحة الأيام.. ونجحت الخطة في بدايتها أيما نجاح وِفْق النجاح الذي يحالف (حظ المبتدئين) وفقًا للمثل الشعبي المشهور.. ولاقت عمليات جماعة (السائرون على طريق الحق) شهرةً ونجاحًا بين عصابات الإرهاب في سيناء.. وازداد المال يجري بين يديّ كلّ من (غنيمة الأشوح) و(خميس أبو المعاطي) في السنتين الأوَّلتين من انتقالهما إلى سيناء.. فقررا أن يزيدا ارتباطهما ببعضهما فتزوج (خميس أبو المعاطي) من أخت (غنيمة الأشوح) وأنجبت له ابنه البكر (أبو البراء).. ثم أنجبت له في السنة التالية بنتًا هي (الخنساء).. وتنوعت عمليات المجموعة في تلك السنتين من وضع قنابل وألغام في طريق المدرعات وعربات الشرطة العسكرية التي تقوم بدوريات الحراسة في سيناء.. كما كانت من ضمن عمليات المجموعة مداهمة مخازن السلاح والذخيرة في الأقسام ومديريات الشرطة المختلفة في الصعيد والدلتا ثم القيام بتهريب السلاح وبيعه في سيناء، ومن ضمن العمليات النوعية التي قاما بها:

- المشـاركة في تفجـير العديــد مــن خطــوط الغــاز بــين مــصر وإسرائيــل.

- الهجوم على كمين شرطة في بني سويف في 23 يناير 2014.

- تفجـير انتحـاري اسـتهدف حاجـزًا أمنيًـا وحافلـة سـياحية في محافظـة جنـوب سـيناء بتاريـخ 2 مايـو 2014.

- اسـتهداف مقـر الكتيبـة 101 في العريـش، واسـتراحة الضبـاط قـرب قسـم شرطـة العريـش ليـلًا في 24 أكتوبـر 2014.

وفي يـوم مـن الأيـام الأولى مـن شـهر (ينايـر) لسـنة 2015.. دخل (غنيمـة الأشـوح) عـلى صديقـه (خميـس أبـو المعاطـي) ووجهـه يتهلل بـشرًا وإشراقًـا.. فسـأله (خميـس) عـن الـسر وراء فرحتـه وسـعادته الغامـرة تلـك.. فقـال لـه (غنيمـة):

غنيمــة: أبــشر يارفيــق الطريــق.. خطتنــا الــلي رســمناها ســوا نجحــت أيــما نجــاح!!

خميس: إزاي يا ولد العم؟!!

غنيمــة: القيــادة العليــا لتنظيــم (داعــش) قــررت تنظيــم كل الجماعــات الجهاديــة العاملــة في ســيناء والتــي تســمى (أنصــار بيــت المقــدس) في تنظيــم واحــد كبــير هيبقــى اســمه تنظيــم (ولايــة ســيناء).. واحنــا مدعويــن إلى اجتــماع ضخــم الأســبوع القــادم في (جبــل الحــلال) هيحــضر فيــه اتنــين مــن أكــبر قيــادات تنظيــم (داعــش) في بغــداد وهمــا: أبــو المقــداد المقــدسي، وأبــو حفــص أمــير الجيــوش.. وكل قيــادات (كتائــب بيــت المقــدس) مدعويــن إلى هــذا الاجتــماع بــما فيهــم أنــا وأنــت باعتبارنــا الأمــير ونائــب الأمــير لتنظيــم (الســائرون عــلى طريــق الحــق) وذلــك لغــرض وضــع الخطــوات

التنظيمية لإنشاء تنظيم (ولاية سيناء).. وفي نفس الوقت مطلوب مننا ضربة عسكرية على كمين تبع الجيش في منطقة (كرم القواديس) يكون قبل آخر يناير الشهر ده.. وإذا العملية كانت كبيرة والخسائر كتيرة (وسمعت) ففيه احتمال كبير يقع علينا (الاختيار) أنا وأنت علشان نمسك قيادة تنظيم (ولاية سيناء) كله.. ويبقى إحنا المنوط بينا تنفيذ سياسة (تنظيم داعش) على مستوى (مصر) كلها.. عرفت بقى أنا هاطير من الفرحة ليه؟!!

حضر كلٌّ من (غنيمة الأشوح) و(خميس أبو المعاطي) الاجتماع في جبل الحلال وحققا نجاحًا باهرًا فيه بالاستراتيجيات التي استعرضاها والتي تبيَّن تخطيطهما لنجاح تنظيم (ولاية سيناء).. وبدآ الاستعدادات لنجاح عملية ضرب كمين (كرم القواديس).. وزارا الكمين ثلاث مرات في أسبوع واحد قبل اليوم المستهدف للعملية.. وحدَّدا يوم العملية بتاريخ (29 يناير 2015).. ونفذت العملية بالفعل وكانت الخسائر فيها كبيرة حيث سقط فيها خمسة قتلى من العسكريين (2 من الضباط وثلاثة من الجنود).. أما على الجانب الآخر فإنه نتيجة لتبادل إطلاق النيران قتل (غنيمة الأشوح) ونائبه (سيف الإسلام) وكل مجموعة تنظيم (السائرون على طريق الحق) بالكامل.. لم يبقَ حيًا من المجموعة كلها سوى (خميس أبو المعاطي) مصابًا في ساقه اليُسرى بسبع طلقات من مدفع رشاش.. تم سحب (خميس أبو المعاطي) من منطقة تنفيذ العملية.. والتوجُّه به إلى أقرب مستشفى عسكري لاستخراج الطَّلَقات السبع من ساقه.. وتم استدعاء أحد أمهر جرَّاحي العظام الشباب العاملين في الجيش المصري لإجراء العملية له (الدكتور/ أسامة النرش)..

استغرقت العملية حوالي خمس ساعات احتاج خلالها الإرهابي إلى نقل حوالي ثلاثة ليترات من الدم رغم أن فصيلة دمه كانت من النوع النادر.. أفاق بعدها من البنج الكلي بحوالي سبع ساعات ليجد الممرضة (سنية) تصب عليه اللعنات وكانت تتمنى له الموت مع باقي أفراد التنظيم الذين ماتوا في العملية الإرهابية في الهجوم على (كرم القواديس)..

خميس: ما هو أكيد واحدة كافرة ومجرمة زيك تكون بتتمنى لي الموت.. ياريت يا شيخة كنت متّ واستريّحت من أشكالكم العلمانية الفاجرة!!

سنية الممرضة: أنا اللي علمانية فاجرة.. ولا انت يا كافر يللي سايب واد وبت في عمر الزهور.. عيل سنتين وبت سنة.. وداير تقتل في مخاليق ربنا.. شباب زي الورد راحت على إيديك النجسة.. ذنبهم إيه اللي انت قتلتهم انت وزمايلك الإرهابيين.. ذنبهم انهم نزلوا يحموك ويحموا مصر في عز التلج بالليل في الصحراء في برد يناير.. عشان ييجي حتة ابن كلب كافر ملعون زيك يقتلهم بدم بارد في عز التلج ده!!

خميس: ما هو طبعًا ما انتي بتقبضي من الحكومة وعايشة تتمرمغي في عز الحكومة.. عمرك عانيتي من حاجة!!.. عمرك اشتكيتي من حاجة!!.. هتحسي باللي زينا ازاي؟!!

سنية الممرضة: والنبي يا ابني انت كنت عاوز العملية دي تبقى في مخك مش في رجلك علشان انت عاوز يركبولك مخ جديد.. أنا عمري ما حسيت بحاجة ولا اشتكيت من حاجة.. انت عارف الدكتور (أسامة النرش) اللي عمل لك العملية ده.. بنته (بسنت) إمبارح كانت بتعمل عملية استبدال (صمام) في القلب.. سابها في أوضة الجراحة لوحدها وناقلينه بطيارة

(هليكوبتر) عسكرية من القاهرة إلى هنا في (سيناء) علشان يعملوا لك العملية في فخدك.. وأنا شخصيًا انكسر علينا في إيجار البيت 6 شهور.. إمبارح الصبح صاحب البيت طردنا.. سيبتهم في البيت محتاسين من إمبارح أمي وحماتي وجوزي وأولادي علشان يعزلوا وفضلت أفضل مرزوعة في (النباطشية) أكتر من 17 ساعة لغاية دلوقتي علشان أراعيك وأراعي رجلك علشان ما يجيلكش جلطة في الساق!!

خميس: إيه؟!! بتقولي إيه؟!! بقى الدكتور ضحّى بابنته الوحيدة (بسنت) وساب غرفة الجراحة اللي كان المفروض يقف جنبها عشان خاطري أنا؟!

سنية الممرضة: آه يا أخويا.. ومش بس كده.. كمين الجيش اللي بيحمي المستشفى هنا.. ألضابك في الكمين داخ بعربيته تلات ساعات علشان يلمولك التلاتة لتر دم اللي انت احتجتهم في العمليات.. لف على أكتر من 4 مستشفيات علشان يجمع لك الدم اللي انت محتاجه.. وكانوا مستعدين يتبرعوا لك بدمهم لو ما لاقوش دم يكفي لك مع إن انت ماعندكش دم من أصله.. كل ده عملوه علشان خاطرك رغم إن انتوا قاتلين زمايلهم في (كرم القواديس).

عندئذ أدرك فقط (خميس سالم أبو المعاطي) حجم الوهدة التي أوقعه فيها زميل السجن (غنيمة الأشوح).. عندها فقط بدأ شعور الندم يدق قلب (خميس) لأول مرة في تاريخه بدلًا من مشاعر اليأس والمرارة والإحباط التي كانت مسيطرة عليه طوال عمره.. اليأس والإحباط من ضياع الأب.. اليأس والإحباط من ضياع حلم العمر في أن يصبح طبيبًا جراحًا مدير مستشفى جراحات القلب الشهير بمركز (بني مزار).. أدرك

لأول مرة حجم نعمة الله عليه.. وأن الله خلصه من ظلم وغدر (حنيش الجرنوسي) وأخيه (جابر الجرنوسي) وردّ عليه مَغْلَق والده لتجارة الأخشاب وخلصه من مديونية ظل أسيرًا لها بالكذب والوهم سبع سنوات كل هذا في ليلة واحدة.. وأنه كان يجب أن يشكر الله على نعمته الحقيقية ويبدأ يلتفت لشغله الحقيقي في المَغْلَق ويناسب عيلة (عليها القيمة) من عوائل قريته في (بردونه الأشراف) بدلًا من أن ينزلق هكذا بدون داعي إلى الزواج من أخت (غنيمة الأشوح) التي أضافت قيدًا جديدًا إلى قيود علاقة الصديقين ببعضهما البعض.. بدأ يقتنع لأول مرة بفكرة أنه ليس هو المظلوم الوحيد في هذا الكون.. وأنه ها هي ممرضة أجبرت على ترك أبنائها في يوم عزاهم الإجباري وأجبرت على أن تواصل ورديتين في المستشفى فقط بهدف نجاة قاتل خسيس مثله في غرفة العمليات.. وها هو دكتور جراح يترك عملية ابنته الوحيدة لاستبدال صمام قلب ويتم نقله خصيصًا بهليكوبتر عسكري على حساب الجيش المصري فقط لإنقاذك أنت يا من تقتل ضباط وجنود الجيش المصري.. وها هم أفراد الكتيبة العسكرية التي تحمي المستشفى كانوا يسابقون الزمن للحصول على 3 لتر دم من نوع فصيلة دمك النادر فقط بل وكانوا على استعداد للتبرع بالدم في حالة ما لم يجدوا دمًا يكفيك فقط لإنقاذك وأنت في العمليات.. صنعوا هذا أداء لواجبهم مع أنك قتلت زملاء لهم منذ أقل من أسبوع في كمين عسكري لا يبعد عن هذا المستشفى أكثر من ثلاثين كيلومترًا بالسيارة.

ظلَّ أسبوعًا كاملًا وهو غارق في تأملاته هذه وهو يتعافى من أثر العملية الجراحية في فخذه.. وفي فجر اليوم السادس حين تقرر إخراجه من العناية المركزة إلى غرفة نقاهة عادية

بالمستشفى إذ بالنيابة العسكرية تطلب مثوله أمامها في ظرف 10 أيام لمحاكمته على الجرائم الإرهابية التي ارتكبها في سيناء، وصله هذا الاستدعاء من النيابة العسكرية في ظهر يوم الخميس بعد 6 أيام من إجراء العملية الجراحية له، وإذ بيوم الجمعة التالي قبل الصلاة، إذ به يعرف من إدارة المستشفى أن العقيد أركان حرب (يحيى حسن علي) - الذي أصبح فيما بعد الشهيد العظيم/ يحيى حسن الذي وضعته الجماعات الإرهابية على قوائم الاغتيال ورصدوا عشرة ملايين جنيه لاغتياله لمشاركته في مأمورية تصفية 37 من العناصر الإرهابية – يطلب مقابلته بعد الصلاة في المستشفى.. وصل العقيد أركان حرب / يحيى على في الموعد المحدد تمامًا الساعة الثانية ظهرًا وهو مرتدٍ البذلة العسكرية بذلة الشرف بذلة الجيش المصري ومعه جندي الحراسة المخصص لحمايته.. دخل وسلم على (خميس) وجلس على الكرسي المجاور له:

خميس: أهلًا وسهلًا بيك يا معالي العقيد.. خير حضرتك طلبت رؤيتي ليه؟!!

العقيد يحيى: أنا أخوك العقيد أركان حرب/ يحيى حسن.. طلبت رؤيتك لأن أنا اللي أسست كمين (كرم القواديس) وكمائن منطقة الجدي.. وكنت عاوز أتعرف على البطل الهمام اللي دمر كمين (كرم القواديس) !!

خميس: يا أفندم ما تضطهدنيش ولا تسخر مني.. بكفاية الظلم اللي أنا شفته من الزمن!!

العقيد يحيى: أنا صعيدي زيك يا خميس.. أنا من قرية معصرة نعسان – مركز اهناسيا – محافظة بني سويف فمش ممكني يدور في ذهنك إني باضطهدك.. وأنا كمان خريج دفعة 92 حربية.. زميلي

في الدفعة البطل العظيم العقيد أركان حرب أحمد صابر منسي.. أنا متأكد إنك ما سمعتش عنه ولا تعرفه.. مسيري في يوم أعرفك عليه.. ولد آية في الوطنية والبطولة والتدين والتضحية والفداء.. لكن عمومًا أنا عارفكم يا جيل يناير.. إنتوا جيل متدلعين.. فاكرين إن مبارك كان ضدكم.. وان الدولة ضدكم.. وان الجيش ضدكم.. الحقيقة عكس كده خالص.. يابني إحنا كنا خايفين عليكم وما احناش ضدكم.. الحقيقة اللي انتوا ما تعرفوهاش إن الرئيس محمد حسني مبارك ضحى بمنصبه علشان خاطركم.. استقال علشان يحميكم وعلشان يحافظ على وِحدة الجيش المصري وعلشان يمنع الصدام بين الجيش وثوار يناير اللي كان أكيد هيسقط فيه أبرياء منكم.. أنا شخصيًا العقيد (يحيى حسن) اللي قدامك ده.. شاركت أثناء ثورة يناير في تأمين المنشآت الحيوية بمدينة القاهرة اللي هي أصلًا المنشآت بتاعتكم ومخصصة لخدمتكم..

خميس: يا أفندم أنا ماليش علاقة بمبارك ولا بثورة يناير.. ومن سنتين اتنين بالضبط ما كنتش أعرف مين هما الإخوان المسلمين من أصله!!.. يا أفندم أنا شفت ظلم في عمري كله ما حدش شافه!!

العقيد يحيى: مظلوم إزاي فهمني!!.. يعني هيكون إيه الظلم اللي انت شفته في حياتك يوصلك انك تعمل عملة سوده زي دي وتقتل ولادك واخواتك أبطال الجيش المصري؟!!

وحكى (خميس) بالتفصيل للعقيد (يحيي حسن) عن الظلم اللي شافه على إيد المعلم (حنيش الجرنوسي) وأخيه المعلم (جابر الجرنوسي) وكيف أنهما دمرا سمعة المرحوم والده عندما وضعا المخدرات في الأخشاب التي استورداها باسمه.. وكان من

الممكن جريمة زيي دي لو انفضحت لجلل العار رأس أبيه إلى يوم الدين.. ثم أنهما قاما بسرقة الأخشاب من مَغْلَق والده فمات بالسكتة القلبية على الفور.. ثم أنهما استوليا على مَغْلَق والده بالظلم والكذب والتزوير واستعبداه عندهما سبع سنوات يعمل سدادًا لمديونية وهمية لم يكن له أساسًا يد فيها.. وكان (خميس) بدأ يبكي بكاء مرًا شديدًا عندما بدأت الذكريات تتوالى على خاطره.. فربت العقيد (يحيى علي) على كتفه وحاول أن يهدئ من روعه ويطيب خاطره فقال له..

العقيد يحيى: يا خميس يا حبيبي انت اتظلمت علشان كنت صغير وهما منهم لله عرفوا يضحكوا عليك.. لكن انت لو كنت عرضت موضوعك على أي قاضي شريف كان جابلك حقك تالت ومتلت.. وبعدين برضه ما ننساش غلطة أبوك الحاج (سالم أبو المعاطي) من البداية ما هو اللي راح استلف منهم وكتب لهم شيكات ومكنهم منك.. وبعدين القصة الطويلة العريضة اللي انت حكتهالي دي يعني إيه علاقتها بالجيش المصري!!.. هو حد من الجيش ظلمك؟!!.. بتتخلص من الجيش وضباط الجيش ليه هوا إحنا اذيناك في حاجة؟!!.. ياابني الجيش دول أعمامك واخواتك وأولادك اللي حامين تراب البلد المقدس اللي انت عشت وكبرت واتربيت عليه.. واجب عليك تدافع عنهم وتحميهم وتساعدهم مش تظلمهم وتقتلهم.. وبعدين هوا انت لوحدك اللي اتظلمت في حياتك ياسي (خميس).. طيب ما الرائد/ كمال عبد الله البحراوي اللي انت قتلته في عملية (كرم القواديس) بتاعتك دي متجوز بقاله 7 سنين وربنا مارزقهوش بالخلفة هو ومراته.. والملازم / عبد الحميد التاجوري اللي استشهد معاه في نفس العملية عريس جديد ما بقالهوش شهر

واحد متجوز وأهو ذهب للقاء ربه.. والعريف/ بدران الناجي اللي استشهد معاهم في نفس العملية عنده بنتين واحدة فيهم عندها سرطان بعيد عنك بقالها 3 سنين صرف عليها اللي وراه واللي قدامه وأهو راح وسابها وماحدش عارف مين اللي هيصرف عليها ويكمل لها علاج دلوقتي.. والعريف/ حنفي أبو الرجال بسطان زوجته متوفية وعنده بنتين وكان بيستنى الأجازات اللي بنديها له بفارغ الصبر علشان يشوف بناته ويقعد معاهم وأمه اللي بتربيهم ست كبيرة النهارده موجودة بكرة مش موجودة.. والعسكري مجند/ محمد عبد السلام ظريف اللي استشهد في نفس العملية أبوه مات في حادثة قطار وكان عنده ورشة حدادة وعنده تلات أخوات بنات وكان فاضل له 6 أشهر في التجنيد بتاعه وعاوز يخرج يشغل ورشة أبوه علشان يجوز إخواته البنات ويسترهم ووالدته ست كبيرة وعندها سرطان برضو.. أديك انت بعملتك السوده ضيعت العيلة دي بحالها.. ههههه إزاي الحال بقى.. لكن لما تيجي تقارن حالة المجند/ محمد ظريف بحالتك انت تكتشف إن انت وضعك أحسن.. أقله انت الحظ خدمك وقدرت تستر اتنين من اخواتك البنات.

خميس: طيب يا أفندم.. أنا عارف إن أنا رايح إعدام مافيش كلام.. بس أنا عاوزأكفر عن ذنبي قبل ما أموت..

العقيد يحيى: تكفر عن ذنبك إزاي يا خميس يا ابني.. طيب وهنرجع اللي راحوا ازاي؟!!

خميس: لأ طبعًا مش هنعرف نرجع اللي راحوا.. هم أحياء عند ربهم يرزقون.. لكن أنا عملت أنا والمرحوم (غنيمة الأشوح) الله يرحمه لقاء من حوالي شهر كده في (جبل الحلال) مع اتنين من قيادات (تنظيم داعش) أساميهم: أبو المقداد

المقدسي، وأبو حفص أمير الجيوش.. كنا بنناقش في الاجتماع ده المخطط التنظيمي لإنشاء تنظيم (ولاية سيناء).. الاتنين القيادات دول أنا ممكن أجيبهم لكم لغاية هنا.. هاكلمهم على الموبايل واستدرجهم لهنا بحجة اني هيتم استجوابي في النيابة العسكرية بعد خمس أيام وإنهم هيعصروني عصر لغاية ما يطلعوا كل المعلومات اللي عندي عن اجتماع (جبل الحلال) وأسماء كافة القيادات والعناصر اللي حضرته..

ويبدو أن (خميس سالم أبو المعاطي) كان قد أصبح خبيرًا بالفعل في العمليات الإرهابية لأن الخطة التي رسمها نجحت نجاحًا مبهرًا وتم تنفيذها حرفيًّا كما رسماها.. فقد خاف كل من أبو المقداد المقدسي، وأبو حفص أمير الجيوش على المعلومات التنظيمية التي بحوزته، وأخبراه بأنهما وضعا خطة لتهريبه وخطفه من المستشفى لحمايته، وأنهما سيكونان موجودين بنفسيهما في (ساعة الصفر) بالقرب من مكان المستشفى للإشراف على نجاح العملية، وأخبراه عن يوم تنفيذ العملية و(ساعة الصفر).. وصدقا وعدهما بالفعل ودخل الرأسان الكبيران من رؤوس (داعش) إلى مصر.. وكان المستشفى الموجود به (خميس سالم أبو المعاطي) مزدحمًا عن آخره بعناصر القوات المسلحة المصرية المطهرة وعناصر الاستخبارات العسكرية المقدسة في يوم تنفيذ العملية وهم متخفون جميعهم في زِيّ أطباء وممرضين ومرضي بالمستشفى يشغلون جميع غرف المستشفى.. كما كانوا يحيطون بالمستشفى إحاطة السوار بالمعصم على مسافة (5) كيلومترات في جميع الاتجاهات.. وتم بالفعل القبض على أبو المقداد المقدسي، وأبو حفص أمير الجيوش.. وعندما أدركت عناصر (داعش) أن

نهايتهم اقتربت وأن خيانة (خميس سالم أبو المعاطي) هي التي أدت إلى فشل العملية وسقوط قيادات (داعش) أطلقوا عليه عشر رصاصات بالمستشفى في جميع أجزاء جسده..

مات وهو يسبِّح ويتمتم بالشهادتين:

أشهد إلا إله إلا الله..

وأشهد أن محمدًا رسول الله..

تحيا مصر.. تحيا مصر..

بلادي بلادي بلادي..

لكِ حبي وفؤادي..

***

صعود

بقلم: نرمين دميس

لمحتـه يتحـين الفرصـة، يحـاول الاقـتراب مـن الأرض في غفلـةٍ مـن قاطنيهـا، يلتقـط أنفاسـه وبعـض الحـب، ثـم يعـاود التحليـق في فضائـه الأزرق الفسـيح، يـضرب الهـواء بقـوة، يقطـع المسـافات، يطويهـا طيًّـا، يغـدو خماصًـا ويـروح بطانًـا، ليحـط عـلى الأرض مجـددًا، أتسـاءل في عجـبٍ مـن أمـره..

لمَ الهبوط وقد أُوتيت سؤلك؟!

هل أدمنت ممارسة الخوف؟!

أم أنك مثلنا تتطلع إلى حياة غير حياتك وحسب؟!

هل انبهرت بتلك المباني السامقة، وهذا الصخب الزائف؟!

أم أنـك تطمـع في مكتسـبات أهـل الأرض؛ فالمجهـول دومًـا مأمـول؟!

هـل وقعـت تحـت تأثـير سـحرها الأسـود، الـذي يجذبنـا إلى هبـوط، ويأبـى علينـا الصعـود؟!

أم تـراه ذاك الفضـول الـذي يدفـع طفـلًا إلى استكشـاف النـار بإصبعـه؟!

ألا تعلـم أننـا نغـار منـك؟! فأرواحنـا تتـوق إلى التحليـق بعيـدًا مثلـك، وأنـت تهجـر العُـلا وتهـوي إلى السـفوح.

نعـم يـا عزيـزي.. نشـتاق إلى لحظـة الفـكاك مـن الأسر، حـين نكـسر قيـودًا كبَّلتنـا؛ فسـلبتنا الرفعـة والتسـامي.

ووسـط تسـاؤلاتٍ بـلا أجوبـة، انخلـع قلبـي عندمـا صـوَّب أحـد الصِبْيـة فوهـة بندقيـة صيـده، نحـو ذاك الهـدف الـذي بـات سـهلًا لطيرانـه المنخفـض، أحكـم الصبـي قبضتـه عـلى سـلاحه، أغمـض إحـدى عينيـه إمعانًـا في التركيـز، ثـم ضغـط عـلى الزنـاد في ثقـة؛ ليتعـالى صيـاح رفاقـه سـاخرين؛ فقـد أخطـأ القنـاص الهـدف، تنفسـت الصعـداء، ورحـت أتابعـه بنظـري بينـما يرتفـع عاليًـا حيـث موطنـه ومأمنـه، أكاد أجـزم أنـه لـن يعـود أبـدًا؛ فقـد ارتـدت لـه الأرض قنـاع الغـدر.

اسـتمتعت بمراقبتـه يسـبح في تلـك الزرقـة الصافيـة، يتنعـم بانطلاقـه وحريتـه، فتسـمو معـه روحـي وتتحـرر، ولكـن تلـك اللحظـة الحالمـة لم تَـدُم طويـلًا، فقـد فاجـأني بالاقـتراب مـن جديـدٍ، ليقـف عـلى سـطح البنايـة المقابلـة، يتلفـت برأسـه الصغـير بـين جنبـات عـالم البـشر.

تأملتـه غاضبـة حانقـة، أنعتـه بالكِـبْر والغبـاء، أصيـح فيـه وكأنـه يسـمعني:

ألم تتعلـم الـدرس؟! أم أن غـرورك صـوَّر لـك أنـك نجـوت بفضـل ذكائـك وفطنتـك؟!

أليس لديك وليفة وصغار ينتظرون عودتك متلهفين؟!

ألا يسـتحقون أن تحافـظ عـلى نفسـك مـن أجلهـم؟! أم أنـك لا تسـتطيع مقاومـة حـب المغامـرة والاستكشـاف؟!

أتعلـم؟ لـن أتعاطـف معـك أو حتـى أهتـم لأمـرك بعـد الآن، ولتواجـه قسـوة العـالم الـذي اخـترت الاقـتراب منـه بإرادتـك.

شـخصت ببـصري في الأفـق البعيـد؛ محاولـة تنفيـذ مـا عزمـت عليـه، وكلـما ضبطـتُ نفسي أسـترق النظـر إليـه، أشـحت بوجهـي بعيـدًا عنـه، حتـى رأيتـه في إحـدى نظـراتي الخاطفـة، يحـوم أمـام الطوابـق العليـا للبنايـة، يصطـدم بزجـاج نوافذهـا المغلقـة مـن الخـارج، حتـى حـدث مـا كنـت أخشـاه.. اسـتطاع بعـد محـاولاتٍ عديـدة أن ينفـذ إلى الداخـل، عـبر إحـدى النوافـذ المفتوحـة.

يـا إلهـي! لا بُـدَّ أنـه يـدور الآن في سـقف الغرفـة خائفًـا مذعـورًا، بعـد أن أيقـن وقوعـه في الفـخ، وبينـما أنتظـر خروجـه مـن حيـث دخـل في قلـقٍ وتوتـر، أُغلقـت النافـذة تمامًـا؛ فانكـسر طـوق نجاتـه الوحيـد، ليواجـه الصغـير مصـيرًا مجهـولًا.

أطرقـت رأسي في حـزن، وتسـللت زفـرةٌ سـاخنةٌ، تحمـل مـا ضاقَ بـه الصـدر مـن غيـظٍ وغضـبٍ؛ لمـا آل إليـه ذلـك المسـكين الأحمـق، بينـما اقتحمـت وجهـي ابتسـامة هادئـة، عندمـا لمحـت سربَ السـلام يرفـرف عاليًـا، وكلـما ارتفـع بعيـدًا وتضـاءَل حجمـه، تضاءلـت معـه الأرض مـن تحتـه.

***

عكس التيار

بقلم: محمد سمير الخولي

في مطروح عام 1996 بدأ الاختلاف وتضارب الرأي بين ابنٍ أنهى دراسة الثانوية العامة بمجموع يؤهله من دخول الكلية التي يحبها وبين أبٍ أمضى عمرَه كله في التجارة ويرى أنها سبيل الارتقاء ومصدر القوة وطريق الحياة السعيدة لما تحققه من وفرة مالية وعلاقات، فهو يرى أن المرحلة الثانوية يقتصر دورها أن توصلك بأي معهد أو كلية تلتحق بها وأنت ترعى تجارة الوالد وتثمرها، وكانت كلماته بناءً على قناعاته: طيب وليه نتعب نفسنا في السفر والدراسة طالما أن التجارة موجودة وسوف تكمل حياتك بالعمل بها ويقتصر دور المؤهل فقط عشان لما تتقدم لواحدة تقولها أنا معايا مؤهل عالي، ثم دار هذا الحوار.

الابن: أنا هكتب أول رغبة كلية تجارة جامعة الإسكندرية.

الأب: مفيش سفر للإسكندرية لدخول كلية التجارة، عندك هنا في مطروح معهد تكنولوجي وكلية تربية تعليم أساسي اختار واحدة منهم إنت كده كده هتتابع المحلات ومفيش إلزام حضور أثناء الدراسة والامتحانات بتبقى سهلة، مفيش سفر إلا إذا دخلت كلية الشرطة عندها فقط أوافق وأنا قلبي

راضٍ عنك، وهذا هو الاستثناء الوحيد الذي يستحق التضحية، وعندك أخوالك الاثنين لواءات في الخدمة هيساعدوا إنك تدخل بسهولة.

الابن: يا بابا الموضوع مش بس كلية في إسكندرية أنا كمان عايز أخد كورسات لغات فرنسية وإنجليزية في المراكز الثقافية وكورسات حاسب آلي، وأكمل دراسات عليا في الإدارة ويكون ليا كتب في الإدارة، بالإضافة إن أنا مش بحب الحياة العسكرية.

الأب: يا ابني أنت ولد واحد على ثلاث بنات ومفيش حد غيرك ممكن يهتم بالمحلات وبعدين خليك أخدت كورسات وبقيت تعرف لغات هتشتغل فين وبكام؟ الوظيفة مرتبها قليل وبتاخد نصف اليوم وبعدين أنت عايش في مطروح والفرص فيها قليلة وإحنا الحمد لله اسمنا معروف في السوق وربنا كارمنا.

الابن: بابا أنا مش هكون سعيد وأنا بكمل دراسة في مطروح بس طالما دي رغبتك أنا موافق وأمري إلى الله.

الأب فرح جدًّا وقال: إن شاء الله يا ابني هتشوف الخير كله.

واتصل فورًا بعمي يخبره أني وافقت وطلب منه أن يتصل بعميد الكلية لإنهاء إجراءات التقديم والالتحاق.

العم اتصل بي يحدثني لأكثر من ساعة يبارك قراري ويصوِّب اختياري ويبشرني بالحياة السعيدة لأني أرضيت والدي.

مرت الأيام مملة، لم أستطع فيها التأقلم وظلَّ حُلم دراسة اللغات والتنقل بين المراكز الثقافية لحضور الفاعليات يسيطر على عقلي، حاولت أن أشغل نفسي بممارسة الرياضة وعمل مكتبة صغيرة في محل التجارة تسليني وتنسيني واقعي حتى تمر سنوات الكلية مسرعة لأنتقل لمرحلة جديدة من حياتي، ولكن

لم أتحمل حتى انقضاء التيرم الأول من الدراسة وسألت نفسي ما قيمة حياة الإنسان إذا لم يرسم طريقه بنفسه ويحدد معالمه ويصنع عالمه في خياله ويسعى طول عمره ليجعله واقعًا يعيشه؟

وهل من البِر أن تترك أبويك يحددان لك المصير ويضبطان لك الوِجهة ويرسمان لك الطريق؟

وهل دائمًا ما يراه الأبوان صوابٌ وما يراه الأبناء خطأ؟

اختليت بنفسي كثيرًا أتأمل في قرار الرضوخ والرضا بما اختاره الوالد وأشاهد العام الذي يمضي ولم يضف إلى رصيدي شيئًا، وأسأل نفسي هل عليَّ أن أتحمل باقي سنوات الدراسة ثم باقي العمر، وهل إرضاء الوالدين يكون فيما يخصهما أم فيما يخص حياة أبنائهما؟

وبعد تفكير طويل اتخذت قرار إعادة توجيه دفة الحياة والانتقال للإسكندرية والالتحاق بكلية التجارة، قرار صادم لم يؤيدني فيه سوى أمي التي كانت تؤمن أن الحياة مليئة بالفرص وأن السفر يصقل الخبرات، وأن اكتساب المهارات وتوظيف القدرات لن يتحقق بالشكل المطلوب في التجارة، عندما أبلغت والدي بالقرار اتصل بعمي وقال له: مفيش فايدة فيه مصمم يسافر، أنا مش عارف لغات إيه اللي عايز يتعلمها وكتب إيه اللي عايز يؤلفها والله أنا تعبت معاه.

اتصل عمي يحدِّثني لأكثر من ساعتين: يا بني اعقل المستقبل كله في التجارة، وأي مؤهل جنبها والسلام، إنت شايف في حد بيشتغل بمؤهله في الزمن ده؟! اسمع كلامنا إحنا عايزين لك الخير والمصلحة، وبعد جدال طويل قولت له يا عمي هذا قراري ولن أرجع أبدًا.

انتقلت إلى الإسكندرية ومرت سنوات الدراسة سريعة وممتعة ومفيدة، وبعد أن تخرجت في كلية التجارة التحقت بالماجستير في نفس الكلية وبعده التحقت بكلية الدراسات العليا في الإدارة بالأكاديمية العربية التابعة لجامعة الدول وأنهيت فيها دراسة الدكتوراة، وخلال هذه الرحلة أصدرت أربعة كتب في تطوير الذات: (سفينة النجاح - سيادة العقل - ألوان الناس - صناعة التدريب) وأكتب الآن في كتابي الخامس عن الإدارة التطبيقية.

والآن أسألك عزيزي القارئ بعد أن قرأت هذه القصة القصيرة: هل أصف وأسرد هذه الخبرة والتجربة الشعورية بتفاصيلها في رواية بكامل عناصرها ولَّا خليني في الكتابة الوظيفية اللي أنا بفهم فيها واسيب الأعمال الأدبية لأهلها؟

***

مرارة التخلي

بقلم: سهاد توكل

تلفتت هديل حولها مرتبكة في انتظار إتمام مقابلة العمل، عدلت من وضع غطاء رأسها وجاكيت بدلتها في انتظار السيد ماهر المدير المسؤول عن تقييمها وتقييم مؤهلاتها لتحديد قدرتها على القيام بمهام الوظيفة الشاغرة من عدمه. تنظر بامتنان للمكتب النظيف المنمق عطر الرائحة وتنظر ببهجة لنبات الزينة القابع بركن المكتب فالزرع محبَّب إلى قلبها ينشر البهجة بين العين والقلب. يتنحنح ماهر ليعلمها بوجوده فتعود من شرودها محتفظة بتلك الابتسامة الصغيرة المهزوزة كثقتها بنفسها. يزيل ماهر رهبة اللقاء بكلام عادي قبل أن يباشر أسئلته عن مؤهلاتها العلمية وخبرتها الوظيفية ليخبرها في نهاية اللقاء بتحديد موعد آخر مع السيد حازم نائب رئيس مجلس إدارة الشركة. فرح قلبها لذلك النجاح وإن لم يتم قبولها بعد. تصعد للطابق الأعلى يسبقها أملُها وطموحها في القبول ليخبرها حازم بعد برهة والقليل من الأسئلة أنها اجتازت المقابلة بنجاح.

«بس في حاجة صغيرة ما أعرفش هتبقى مشكلة بالنسبة لك ولا لأ؟» تفوَّه حازم بالكلمات على استحياء. «خير؟» تساءلت

هديل بهدوء لا يعكس ضربات قلبها المتسارعة. «لا بُدَّ أن تتخلي عن غطاء رأسك! ذلك هو العائق الصغير بينك وبين الوظيفة فمديرون العملاء يمثلون الشركة وواجهة الشركة لا تتسع لغطاء الرأس». طلبت هديل مهلة للتفكير، وعادت إلى المنزل مصحوبة بمرارة الخيبة لا بُدَّ للتنازل عن شيء للحصول على شيء آخر. ضربة أخرى تزلزل قلبها وإيمانها وأمانها فعلاقتها الزوجية لم تكن مستقرة في الفترة الأخيرة وبشائر الطلاق كانت تطلُّ برأسها بين الحين والحين من تفاصيل الحياة اليومية والعمل ليس رفاهية فالأمان المادي ضرورة حياتية لها ولأولادها الصغار. عادت إلى منزلها لتحتضن صغارها وتصلي، ترفع كفها إلى السماء بالدعاء أجرني يا الله أحتاج العمل وسعيت طلبًا للرزق، ولكن هناك ثمنًا وبلاد المسلمين تضيق بتفاصيل دينهم.

تحدَّثت مع زوجها في المساء ليؤيد بشدة رأي المدير ويتحمس بحرارة لسياسة الشركة الوجيهة فيفصح عن رفضه لارتدائها الحجاب طوال السنوات الماضية القليلة والتي تمثل عمر سنوات طفلها الأول والذي أتمَّ لتوِّه عشر سنوات. ينقبض قلبها بشدة وتهاتف المدير لتخبره بقبولها العمل وأنها جاهزة للبدء في بداية الأسبوع. لديها يومان للتخلي عن قطعة القماش أو غطاء الرأس كما يصفونه فلتحاول الخروج من المنزل بدونه، كم هو صعب ذلك الشعور تشعر أنها تسير عارية القلب لا حاسرة الرأس.. آه لو يعلمون بصعوبة التغيير المفروض قهرًا. تحاول لا تستطيع، تضع الإيشارب حول رقبتها تتدثر به تم تضعه على رأسها مرة أخرى تشعر بالخزي ومرارة التخلي! يقوم زوجها بنزعه بعنف

من على رأسها صائحًا: خلاص بقى كفاية قرف إنتي مش عارفة الشغل ده مهم قدّ إيه؟ يذكرها بضرورة إنهاء تلك الحياة الزوجية القائمة على العنف، يذكِّرها باحتياجها المادي فلينتظر الأمان والإيمان جانبًا حتى تمر الحياة. تصلي ترفع يديها إلى السماء أجرني يا الله!

طلب صداقة

بقلم: سهاد توكل

جلست ليلى إلى مكتبها تحتسي قهوتها الصباحية، تحبها سادة بلا سكر فمرارتها تعودها على أحداث الحياة. جاءها إشعار على الموبايل بطلب صداقة جديد على الفيس بوك فتحته بسرعة ممنية نفسها بشيء جديد مسلٍّ قد ينقذها من رتابة يوم عمل ممل بالمكتب. حسنًا هو طلب من شاب وسيم! كثيرون هم المزيفون الذين يضعون صورًا مزيفة لن تنخدع بهذا البروفايل فتذهب لنقطة الأمان قبل اتخاذ قرار قبول طلب الصداقة من عدمه.. الأصدقاء المشتركون بينهم. انشرح قلبها فلديهم أكثر من عشر أصدقاء مقربين ممن يبتهج لهم قلبها. حسنًا تلك علامة جيدة تحاول هي تمرين فراستها بقراءة علامات التشاؤم والتفاؤل منذ قراءتها لرواية باولو كويلو الخيميائي هواية جديدة تولدت لديها مع قراءة الرواية لكسر رتابة الحياة. ابتسمت مع إشعار آخر للفيس بوك أنهم أصبحوا بالفعل أصدقاء، كم هي سهلة الصداقة في العالم الافتراضي! يكفي أن تقوم بقبول طلبات الصداقة ليصبح لديك بين عشية وضحاها مئات الأصدقاء ليزداد مع العدد شعور الوحدة فلا صديق منهم يهتم حقيقة بالتعرف على شخصيتك ولا قلب منهم يؤنس حقًّا وحدتك

هي فقط أرقام لصداقة افتراضية كعالمها. عادت إلى الحاضر برسالة ممهورة برغبة سريعة في اللقاء للتعرف فقد أسرت صورتها وبراءتها قلبه على حد تعبيره فوجهها بالحجاب يبدو كالملائكة. اعتذرت لضيق الوقت، تلك هي الحجة غير الواهية التي تختبئ وراءها لتمنع نفسها من لقاء أي شاب للتعارف بعد طلاقها. فقانون علامات التشاؤم والتفاؤل المطور الخاص بها يقتضي أن تقابل فتى أحلامها في بيئة آمنة كالمنزل أو العمل أو الدراسة أما الفيس بوك فهو بيئة آمنة للعب بقلوب الفتيات وقتل الوقت ليس إلا. لدي درس في المسجد اليوم ربما نستطيع اللقاء لاحقًا. أي مسجد تقصدين؟ السيدة نفيسة.

خرجت من المسجد لتجده في انتظارها بدعوة لفنجان قهوة، استأذنت شيخَها فهو بمثابة والدها في الخروج لاحتساء قهوة في مكان قريب بوسط البلد لبدء هذا التعارف وجاءها الشاب الأربعيني بطلب الزواج فهو يتلهف لبناء أسرة وإنجاب الأبناء بعد أن سرق العمل منه سنوات الشباب الأول. ابتسمت وطلبت التمهل فهم لا يعرفون بعضهم تمام المعرفة ولا بُدَّ من تآلف الأرواح والتقاء القلوب والعقول. تم التعارف وكانت مستعدة لإتمام الخطبة ومناقشة تفاصيل التعارف بين الأسرتين، هاتفها طالبًا اللقاء للتحدث في أمر طارئ قبل إخبار أسرتها بموعد التقدم للخطبة.

«آسف» بدأ كلامه بكلمة اعتذار، تضاءلت ابتسامتها حتى استكانت في زاوية فمها. أدمنت هي خيبات الأمل المصاحبة لخطوات الارتباط. عماذا؟ لا أستطيع الزواج منك بالحجاب لا بُدَّ أن تخلعيه لإتمام مشروع الارتباط؟ انخلع قلبها لحيرتها أي علامة تلك لا مجال للتشاؤم والتفاؤل هنا فانقباضات قلبها المتتالية تنبئ

بما هو أكبر من ذلك فهي لا تؤمن حقيقة بالعلامات تلك كانت لعبة للتسلية ليس إلا. اعتذرت بلباقة عن إتمام الارتباط؛ فحُرِيَّة الفكر والمعتقد كما تؤمن بها توجب قبول الآخر بلا أحكام ولا شروط مسبقة. أخذ في الإسهاب معلِّلًا أن الحجاب سمة الخادمات وأنه لا يصلح للهوانم، وأن والدته تقوم ببيع فيلتها في المنتجع الشهير لأن جارتها ارتدت الحجاب الذي لا يليق بعلية القوم وصفوة المجتمع. إشتد إنقباض قلبها بنهاية اللقاء وآثرت الاحتفاظ بحريتها الشخصية في ارتداء الحجاب من عدمه فالعبادة علاقة شديدة الخصوصية بين العبد وربه ولا يحق لمخلوق أن يتدخل بها. لكن إنهاء مشروع الخطبة لم ينهِ معه اضطراب قلبها!

***

رفاهية الأحلام

بقلم: سهاد توكل

أفقت من غفوة النوم على نوبة قوية أخذتني على حين غرة. من شدتها ظننت أنها النهاية سيزورني حتمًا ملاك الموت، لا أتخيل شيئًا أشد ألمًا. يرتجف القلب بشدة فدقاته تنبئ بمجهود جبار مبذول كأني أتسلق جبلًا في حين أنني فقط أحملق في الفراغ يصاب جسدي بشلل مؤقت فلا أستطيع الحركة أشعر بقبضة قوية تعتصر معدتي اعتصارًا لا أفهم ما يحدث؟ يا الله هذه النوبة هي الأشد على الإطلاق، كجزيرة اجتاحها إعصار، ألملم شتات نفسي أغسل وجهي، أنظر في المرآة أجد امرأة أربعينية جميلة فلماذا أشعر أني قد تجاوزت المائة ببضعة أعوام وهل يشعر العجائز بكل هذا الخوف؟ ولماذا أخاف وممَ أخاف ولم تكن الحياة أبدًا أكثر استقرارًا؟ أسير بخطوات حزينة مثلي أجهد ذهني في البحث عن الأسباب والحلول وأحاول أن أجد السبب. أفتش بدقة في ذاكرتي عن بداية النوبات لا أستطيع، ولكنه دائمًا يأتي مع التغيير المصحوب بالكثير من المجهول وعدم المعرفة، ولكنها لم تكن أبدًا بتلك الحدة. بحثي اليومي على الإنترنت عن حقيقة تلك النوبات وكيفية التعامل معها ينبئني أن نسبة مئوية تتخطى العشرة من الشعب الأميركي تعاني من نوبات مماثلة.

حسنًا لست وحيدة أبدًا فنسبة لا يُستهَان بها من أكثر شعوب الأرض علمًا وبحثًا وتجربة ورفاهية يصابون بتلك النوبات. ولكني لا أعلم شيئًا عن حقيقة إيمانهم فربما لا يؤمنون بوجود الله وتلك مشكلتهم ولكني مؤمنة بك يا رب وعلمك بحالي يغني عن سؤالي لطفك يا لطيف. من ينقذ تلك الأنفس من حرائقها المستعرة سواك يا الله. أملك أدوات سكينتي جيدًا فها هي سجادة الصلاة والمبخرة والمسبحة أليس الله هو الخالق وبيديه مقدَّرات الأمور علام الخوف إذًا وممَّن؟! تضرب نوبة جديدة مركز قلبي، حسنًا سأعتاد الشعور مثلما اعتاد جسدي المغص والصداع من قبل فربما يكون الألم ضريبة النضج. تشتد النوبة فأذكر همسًا لا إله إلا الله يسبح قلبي كدرويش هائم يدور بعيدًا عن الجسد المعتل. أين أنت أيها العقل لماذا تتحول إلى صفحة بيضاء؟ فلا أجدك متى أحتاجك، ممَ تخاف؟ أجبني؟ لماذا لا تستجيب بعد كل ما تعلمت عن الإيجابية والبرمجة الذاتية وحوار الذات. أجبني الآن وأعدك أني لن أحكم عليك بالغباء أو السذاجة أبدًا أبدًا فقط أريد أن نتعاون لنخرج من تلك الورطة فحياتنا بتلك النوبات شِبه متوقفه أرجوك. لا فائدة من حوار العقل فهو كلوح الثلج أصابه الجمود.

أهاتف صديقتي المقرَّبة لعلِّي أجد في الحديث السلوان. مال صوتكِ أنت تعبانة؟ ببطء أشرح لها حالتي وعن بداية الأزمة من سبع سنوات، ولكن أبدًا لم تكن بتلك الشدة ولم تستمر كل هذا الوقت. أنهكت يا صديقتي وهدني الخوف. خوف إيه اللي بتتكلمي عنه ده إنت عمرك ما كنتي بتخافي إنت مش فاكرة شغلك وهواياتك وحياتك ده إنتي كنتي أشجع واحدة فينا. وبعدين فين إيمانك بربنا إنتي مش بتصلي، وتذكري يا شيخة

إنتـي بايـن عليكـي فاضيـة فـين أحلامـك وطموحاتـك وأهدافـك فـين مشروعـك؟ أسررت في نفـسي ولم أجـد الجهـد الـكافي للحديـث والتوضيـح فالأحـلام رفاهيـة لا أمتلكهـا الآن، بالـكاد أريـد فقـط أن تختفـي النوبـات والشـجاعة أن تواجـه خوفـك ولا تستسـلم وليـس انعـدام الخـوف. ولا شـجاعة مـع النوبـات ربـما آن أوان الاستسـلام. أتشـبث أكثـر بمسـبحتي أذهـب إلى طبيبـي المعالـج وخبـير النوبـات. سـيدي، لم أعـد أفهـم لمـاذا لا أسـتجيب للـدواء لا تختفـي النوبـات بـل تتغـير حدتهـا. ومـا السـبب الآن فأنـا أحيـا في شـبه عزلـة عـن كل المسـببات والمؤثـرات أبتسـم ابتسـامة صغـيرة «ومـش ممكـن يكـون مـدرس الحسـاب في مدرسـتي الابتدائيـة إلى كان بيـضرب التلاميـذ الـلي معملتـش الواجـب هـو السـبب ودي عقـدة مـن الطفولـة وكـده أنـا عشـت مـن غـير خـوف وعملـت حاجـات كتـير جـدًّا بعدهـا». يـأتي جوابـه باتـرًا لـكل خيـوط الأمـل في إيجـاد السـبب وبالتـالي الحل «لا أبـدًا نوبـات الخـوف مـش دايـمًا ليها سـبب»! أتـرك عيـادة الطبيب أجـرُّ أذيـال الخيبـة في إيجـاد عـلاج باتـر، أفتـح مذيـاع السـيارة إذاعـة القـرآن الكريـم ويـأتي صـوت المقـرئ عذبًـا «لنبلونكـم بـشيء مـن الخـوف والجـوع ونقـص مـن الأمـوال والأنفـس والثمـرات وبـشر الصابريـن». يـا رب أنـا مـش شـايفة شـعاع النـور بـس متأكـدة إنـه موجـود.

***

السلم

بقلم: أمنية نجم

اتخرجت! أو في آخر سنة في الكلية!

عندك أحلام كبيرة؟!

أول مـا أتخـرج هخلـص الجيـش بـأسرع وقـت علشـان أدور عـلى شـغل في شركـة كبـيرة بمرتـب كبـير، الحيـاة هتبتـدي، هقـدر أحـوِّش وأتجـوز البنـت الـلي بحبهـا «تمـام».

عـاوزة أسـتقل ماديًّـا وأصرف عـلى نفـسي علشـان أخـرج بـرَّه دايـرة البيـت وأخـف الحمـل عـن بابـا!

أول حاجـة محتاجـين نعـرف إزاي يكـون عندنـا القـدرة عـلى إقنـاع الآخرين:

1. خليك واثق في نفسك
2. فكر بطريقة منطقية بعيد عن الأهواء
3. فكر في المنفعة المتبادلة لجميع الأطراف
4. احترم الوقت
5. اختار كلماتك بعناية
6. خليك صبور

7. خلي عندك إصرار «حاول، اغلط وحاول، افشل وحاول، حاول تاني»

علشان الأحلام تتحقق لازم تتحول لأهداف واقعية ويتبعها خطة.

إزاي نعمل كده!!

عندنا خطوات خلينا نتعرف عليها علشان نحقق الأحلام:

أول حاجة لازم تعرف إنت عاوز إيه؟ بتحب تشتغل إيه؟ إيه الشغل اللي تقدر تقوم بيه؟

إيه اللي محتاج تتدرب عليه؟ هل شهادة الجامعة كفاية؟

أخبار الإنجليزي إيه؟ والكمبيوتر؟

واحدة واحدة علشان متتوترش

1. شهادة جامعية مش فارقة كلية إيه إلا لو إنت متخصص «مهندس، دكتور، صيدلي، ضابط..»

2. إجادة اللغة الإنجليزية على الأقل متوسط «لو مفيش محتاجين ناخد على الأقل 4 مستويات في أي مكان محترم، مش مهم الشهادة، المهم تعرف تتكلم وتفهم وتكتب صح».

3. إجادة ميكروسوفت أوفيس. Word، Excel، Power point، Outlook

4. نبتدى نحدد هنشتغل إيه «مبيعات، خدمة عملاء، موارد بشرية، سكرتير، مخازن، محاسب، محامي، صيدلي...»

5. دلوقتي بعد ما عرفنا إيه الوظيفة، نبدأ نشوف إيه المطلوب من مهارات ودرجة إجادة المهارات دي

نعرف إزاي؟ ادخل على جوجل اكتب اسم الوظيفة وابحث عن المهارات التي تحتاجها ودرجة الإجادة.

6. إنت معاك قائمة بالمهارات اللي إنت محتاج تكون جاهز بيها علشان تقدر تشتغل.

محتاجين نعرف دلوقتي إنت عندك إيه من المهارات دي:

هتعمل اختبار جدارات على الإنترنت اسمه: «Competency Analysis Test».

7. دلوقتي إنت عرفت مطلوب إيه وعندك منه إيه! دي مرحلة هايلة.

8. ابتدي حدِّد الكورسات اللي إنت محتاجها اللي هتملى الفراغ بين ما لديك من مهارات وما هو مطلوب لشغل الوظيفة المناسبة.

9. ودي خطوة مهمة وخطيرة:

اعمل Linked In Profile لازم يكون عندك صفحة محترمة عليه وهتعرف تعمله إزاي في رابط الفيديو المجاني التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=r-W9XbpgDIY&t=1412s

10. اعمل CV سيرة ذاتية بالإنجليزي عاوز تعرف تعمل إزاي سيرة ذاتية باحتراف اتفرج على نفس الفيديو المجاني.

11. ابحث عن صفحات التوظيف على الفيس بوك، مواقع التوظيف، ارفع عليها ال CV بتاعتك.

12. قدم على كل الوظايف اللي انت جاهز ليها.

13. أول إنترفيو «مقابلة شخصية» الموضوع بقى جد، توصل قبل معادك على الأقل بربع ساعة.

14. المظهر مهم جدًا في معايير محددة لازم نعرفها، مش محتاجين نأكد على النظافة الشخصية والرائحة الطيبة «بالنسبة للبنات البرفيوم الشديد الرائحة غير مستحب».

إيه اللي مينفعش تلبسه:

- شبشب/ صندل/ كوتشي أيًّا كان شكله، نوعه، ماركته، تمنه.
- كاب مهما كان شكله أو نوعه أو ماركته أو تمنه
- شنطة كروس أو باك باك «ممنوع، ممنوع، ممنوع»
- إكسسوارات كتير للبنات كفاية خاتم واحد، سلسلة، أنسيال، ساعة
- إكسسوارات الرجالة ممنوعة منعًا باتًا
- ممنوع الجينز أيا كان
- ممنوع الشورت والبنتاكور
- ممنوع أي حاجة بحمالات، أوف شولدر، وأَنْ شولدر منعًا باتًّا !!!!
- ممنوع مكياج تقيل وألوان صارخة
- ممنوع تيشرت، V shape
- ممنوع المنقوش، المشجر، المقلم «مزعج للعين»
- الألوان المفضلة هي الألوان المحايدة: أبيض/ أسود/ كحلي/ بيج/ رمادي

• الألوان غير المستحبة: الأحمر/ الأصفر/ الألوان الفسفورية/ الاخضر الفاتح/ البني

15. في سؤال مهم جدًا مفيش إنترفيو من غيره

نقاط القوة ونقاط الضعف، هتعمل الاختبار اللي جاي ده هيطلعلك 24 نقطة قوة بالترتيب، أول خمسة دول نقاط قوتك وآخر 5 نقاط قوة غير مفعلة محتاجة تحسين ولازم تذكر إنك بتطور نفسك فيهم.

https: / /www.viacharacter.org /survey /account /register

16. قبل ماتروح الانترفيو لازم تدخل على الإنترنت وتعرف معلومات عن الشركة اللي إنت مقدم فيها لأنك هتتسئل عن ده.

17. هتتسئل عن المرتب، إزاي أحدده، اعرف من الإنترنت الوظيفة دي لحديثي التخرج متوسط المرتب فيها كام ولازم تحط حد أدنى وحد أعلى يناسب سعر السوق.

18. خد بالك من حركة إيدك، رجلك لازم تكون محدودة، مينفعش تسند إيدك على المكتب أو التربيزة اللي إنت قاعد قدامها، مينفعش تربع إيدك، مينفعش تهز رجلك.

19. نظرة عينك، لازم تحافظ على إنك تبص للي بيعمل معاك الإنترفيو طول الوقت «Eye Contact»

20. لا تسأل عن النتيجة

21. لا تسأل عن الراتب والمزايا والمواعيد

22. في النهاية سلم بحرارة على من يقابلك

23. اترك نسخة من سيرتك الذاتية لدى الشركة
24. حافظ على ابتسامة باحترام طول الوقت

لما تشتغل إن شاء الله إتبع النصائح التالية:

1. ابني علاقات جيدة مع كل الناس.
2. احترام قوانين وثقافة المكان.
3. لا تخجل أن تطلب المساعدة.
4. اتعلم من جميع من حولك.
5. لا تبخل بجهدك أو وقتك عن العمل
6. طوِّر من نفسك دائمًا وأبدًا
7. عبِّر عن أفكارك وناقشها
8. لا تخَف الفشل، كلنا فشلنا في جميع مراحل حياتنا
9. لا تخجل من أخطائك، كلنا بشر نصيب ونخطئ
10. لا تنفق دخلك بالكامل، اتعلم ثقافة الاستثمار
11. لا تأخذ المواقف على محمل شخصي
12. الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية

بالتوفيق للجميع مع تمنياتي بمستقبل أفضل وأحلام محققة بـإذن الله

***

أحببت قلبًا

بقلم: نهال توفيق

كلـما اقتربـت ازدادت الرؤيـا أكثـر، حتـى أن تقلصـت المسـافة بينـي وبينـه لأراه يرمقنـي بنظـرة لم أرَ مثلهـا مـن قبـل. نظـرة تقـول كلامًـا لم تسـمعه أذنـاي، لكـن يخفـق قلبـي بسـماعه. كنـت في السادسـة عـشر مـن عمـري، ارتبكـت لأني لم أسـمح لعينـي أن ترمـش وتحرمنـي تلـك اللحظـة. أخـذت أوراقـي وهرولـت مسرعـة إلى منـزلي الصغـير المجـاور لمكتبـة الفـن. لم ألبـث أن دخلـت المنـزل، حتـى وجـدت نفسي تحدثنـي أني لا بُـدَّ أن أعـود. إنـه في انتظـاري. عينـاه كانتـا تقـولان كلامًـا لا بُـدَّ مـن أن أعـرف نهايتـه. وعندمـا انتهيـت مـن أفـكاري، وجـدت نفسي أقـف أمامـه مبـاشرةً وكأنـه كان ينادينـي ويسـمع ضجيـجَ روحـي وهـي تخـبره أني جئـت لألبـي نـداء قلبـي، فـماذا تريـد الآن؟

كنـت قـد اعتـدت تصويـر أوراقـي المدرسـية في تلـك المكتبـة، حتـى أصبحـت صفيـة البنـت التـي تعمـل هنـاك إحـدى صديقـاتي المقربـات. كانـت تقـف بعيـدًا وتراقبنـي وعـلى وجههـا ارتسـمت ابتسـامة بلهـاء كالتـي ترتسـم عـلى وجـوه مـن يحضرون ميـلاد مولـود جديـد. تـرى هـل سـيكون هـذا ميـلادًا لحـب كبـير كالـذي كنـت أشـاهده في أفـلام السـينما. هكـذا كانـت تسـأل نفسـها. وبعـد

دقائق من الصمت لم يزل يحدق هو في عيني، واستسلمت أنا لإرادة قلبي الذي زجني إلى هناك ثم توقف عن أي شيء سوى الاستمتاع باللحظة التي يتلقى فيها حديثًا رائعًا عبر عينيَّ ويسكن عقلي عن اللهو وكانت هي المرة الوحيدة طوال حياتي التي انصاع عقلي لأمر الصمت.

ثم قاطعت «صفية» الصمت السائد قائلة: «نسيتي حاجة»، ليرد هو دون تفكير ليخرج صوته الرخيم الهادئ الدافئ الذي يملأ القلب أمانًا قائلًا: «نعم نسيت شيئا، لكنها لن تجده الآن» ثم غادر موجهًا كلامه لي قائلًا: «آسف، إن كنت أضعت شيئًا يخصك». لم يسمح لي قلبي بالرد، فقط أومأت برأسي وعيني المتشبثة برؤيته أني أسمح له بأن يغادر..

ما إن غادر لتسألني «صفية»: «إنتي رجعتي ليه؟» أجبتها وأنا أريد أن أتوسل إليها أن تصمت حتى أستطيع فهم ما حدث وحفظ صوته في المكان المخصص لذلك داخل عقلي. لكنها صفية، لا تستطيع التوقف عن الكلام.

ثم استكملت قائلة: «إنتي عارفة إنه سألني عنك، إنتي مين وساكنة فين، وليه أول مرة يشوفك وإزاي وقالي إنك هترجعي تاني دلوقتي وأنا مصدقتوش عشان عارفة إنك حتى لو نسيتي حاجة هتاخديها وإنتي معدية بكرة إن شاء الله» لم يستوقفني في كل هذا أي شيء سوى ثقته بأني سأعود وثقتي بأنه في انتظاري. عجيب تناغم القلوب التي تحدث بعضها عبر أعيننا. كنت ألملم أشيائي التي سقطت وصفية تحكي لي ما دار في غيابي، حتى أفزعني رنينُ الهاتف الخاص بالمكتبة. صوته مزعج لكني ولأول مرة أطلب منها أن ترد بسرعة. وكأني أعلم أنه هو. نعم، هو المتصل. كنت أشعر أن إخفاق قلبي يصل إلى أذنيه في سماعة

الهاتف الأسود العتيق. ثم لم أشعر سوى بصوته يقتحم أذني ويقول لي إنه لا يعرف لماذا هو مهتم لهذه الدرجة أن يتعرف إليَّ. ويؤكد لي أنه ليس من هؤلاء الذين يهوون اللعب مع بنات الناس لأنه مشغول، مشغول جدًّا. هو يتولى مسؤوليات كثيرة وكبيرة وليس لديه وقت حتى لارتياد جامعته بانتظام. حتى صمت وجاء دوري لأن أرد لأجد نفسي أسمح لشخص لأول مرة في حياتي أن يرى ابتسامتي مِلء وجهي. كان يراها دون أن يقف أمامي. همهمت بصوت خافت لا أعلم منبعَهُ حتى الآن أنني ليس لدي مانع أن نصبح أصدقاء. فطلب مني على استحياء رقم هاتف منزلنا. لا أعرف من أين أتتني الجرأة لأفعلها. لكنني أمليتُه إياه ورحلت. لا أفكر في شيءٍ سوى صوته المطمئن، نظرته الأولى وقلبي الذي يحدثني أنه صادق وأنا بالكاد أصدق بني البشر.

دخلت المنزل، لأول مرة تنتابني حالة عارمة من السكون الداخلي، كل شيء يغرد داخلي وعقلي الفطين بدأ يحدثني كم أنا محظوظة لأن هذا المشهد حدث بالفعل في حياتي. حتى وإن لم يتصل، وإن لم أرَه مرة أخرى يكفيني هذا الشعور أن هناك من يهتم لأمري بأمرٍ من الخالق لأننا لم نكن نملك من أمر قلوبنا شيئًا في كل ما حدثَ.

قاطعني جرس التليفون الذي لطالما رفضت الرد عليه ليجيبني: «آلو أنا هو».

وكأنه كان يعد خطواتي لباب منزلنا الذي يبعد عنهم عشر بنايات ويقع في الشارع المجاور لشارع المكتبة الذي يقطن هو في المنزل المقابل لها.

***

لحظة جنون

بقلم: علا الفولي

ربـما كان أغـرب موقـف مـررت بـه في حيـاتي، كنـت عائـدة مـع زوجـي إلى البيـت فتـح شـنطة السـيارة، وقفـت بجـواره لأحمـل شـيئًا مـما اشـتريناه، لفـت نظـري أن سـيدة دفعـت البـاب الحديـدي للفيـلا التـي نقـف أمامهـا بقدمهـا فانفتـح عـلى مصراعيـه ودخلـت بعصبيـة وخلفهـا رجـل يرتـدي زِي الأمـن الـذي يحـرس المبـاني والمحـال التجاريـة وليـس الـزي الرسـمي للشرطـة، وهـي تسـير كالسـهم وهـو يحـاول اللحـاق بهـا، تصـورت أنهـا سـتدخل الفيـلا مـن البـاب الخلفـي وتعطيـه بضاعـة تالفـة مثـلًا وهـذا سر حركاتهـا العصبيـة، ولكنهـا تخطـت البـاب الخلفـي وقادتـه لآخـر الممـر حيـث يوجـد سـيارتان، فقلـت في نفسـي مـا سـيفعلاه في الممـر المظلـم قـد يشـاهده أطفـال الجـيران مـن النافـذة.

فقلت لزوجي: انظر

فشاهدهما وهما يتجهان إلى السيارتين.

فقـال ربـما يريـدان سرقـة سـيارة أو أشـياء بداخلهـا – وهـو شيء شـائع يحـدث دائـمًا في شـارعنا، ولكـن ليـس مـن داخـل البيـوت–.

فقلـت: لا أعتقـد. عـلى أي حـال اتصـل بجارنـا وأخـبره لـيرى

ماذا يحدث في بيته، وحملنا مشترواتنا ودخلنا البيت واتصل به فطلب من زوجي أن يرافقه لربما يكون معهما سلاح، فذهب إليه بسرعة ومعه عصا غليظة وغاب فترة وجيزة جدًّا وعاد بوجهٍ غير الذي ذهب به، وجه عابس مهموم وسألني هل كان الرجل يسبق السيدة أم العكس؟

فقلت له: لا كان خلفها. فهز رأسه موافقًا، وقال: أردت التأكد فقط.

فقلت: أنا تصورت في البداية أنها شقيقة زوجته تشبهها كثيرًا، ولكن لم أتحقق منها فقاطعني كانت زوجته نفسها فأذهلتني كلمته، فطلبت منه أن يقص عليَّ ما حدث بهدوء.

أضاء جارنا النور وأسرعنا الخُطى وصاح من هناك؟

فأقبلَتْ علينا وهي ترتب ملابسها، وقالت إنها شاهدت شخصًا يدخل من باب الحديقة فذهبت لترى ماذا يفعل فاتضح أنه كان يقضي حاجته خلف السيارتين فتركتهما وعدَتْ.

تسارعت دقات قلبي. كانت طرقاتها في صدري أعلى من صوت دقات ساعة الجامعة، والأفكار تتدافع وتتداخل في عقلي بسرعة، أنا أعرفها صحيح لسنا صديقتين ولكنها لا تشبه الخائنات، ما هذا الهراء هل للخائنات شكل معين؟ بالطبع لا، تصرفاتها محترمة ولا تشوبها شائبة، أنا لا أعرفها معرفة جيدة ولا أريد معرفتها أو معرفة غيرها، لست من الفضوليين أو محبي معرفة أخبار الجيران أو التواصل والخلطة الزائدة معهم، ولا أعرف كيف سارت الأمور على هذا النحو الغريب، لماذا أتسبب أنا في افتضاح أمرها بهذا الشكل العجيب، ويعلم الله دون قصد

مني، بالتأكيد لو أدركت أنها زوجته لما فتحت فمي بكلمة واحدة لا لزوجي ولا لغيره، هل سيطلقها بسببي ولماذا بسببي أنا لم أفعل شيئًا، وهي أيضًا لم تفعل الدقائق التي دخلنا فيها ليست كافيه لفعل أي شيء، ربما أراد الله حمايتها من لحظة جنون استسلمت فيها لغضب أعمى قد تندم عليها العمر كله.

***

ملهاش كتالوج

بقلم: سماح بدر الدين

استيقظت دنيا على صوت الأطفال في الشارع ووجهها العابس لا يوحي بالخير.

صرخت قائلة: فليذهب كل منكم إلى بيته حالًا، وسوف أتحدث لاحقًا إلى آبائكم وأمهاتكم في هذه المهزلة، ألا يوجد احترام.

ذهب الأولاد يجرجرون في أرجلهم وتكاد تسمع صوت تمتمتهم، أحدهم تمتم قائلًا: هيّ ماورهاش غيرنا..

والآخر لماذا لا ترحل هيا من هنا اوففف..

وقالت طفلة معهم: سوف أخبر أمي، ليس من حقها أن تصبح في وجهنا..

ارتدت دنيا ملابسها وقد قضت الليلة الماضية كلها ترتب ما سترتديه وتكوي ملابسها، فلا يوجد خط ولا ثنيات فيما ترتديه أبدًا، ملابسها دائمًا أنيقة، متناسقة الألوان فهذا أمرٌ لا يحتمل العبث، حتى غرفتها فلا يقربها سواها هي مَن تضع كل شيء في مكانه، وَيَا ويلته من يعبث في أغراضها.

الملابس مقسمة بالألوان والدرجات، الأحذية تلمع، الشرابات مُقسَّمة بالألوان، الشنط في شنط قماش تحفظها.

كلٌّ في مكانه، كلٌّ في نظام.

خرجت دنيا من بيتها متجهة إلى عربتها في جراج المنزل الذي تقطن به لتجد أحد الجيران يسد مخرج الجراج فتنادي على حارس العقار الذي يأتي مهرولًا قائلًا: (يا نهار مَش باين له ملامح إحنا آسفين والله حالًا أجيب المفتاح من عند الأستاذ عصام..)

صاحت دنيا في وجهه ألا يوجد احترام في هذه البناية، لدي موعد هام وإن تأخرت دقيقة واحدة سوف أصب غضبي على الأستاذ عصام بتاعك ده.

هذا المستهتر عصام يعتقد أن كل الناس مثله؛ مستهترون لا يحترمون مواعيدهم ولا يحترمون الناس.

أسرع الحارس في إحضار المفتاح وحرك السيارة محاولًا التقاط أنفاسه، وأخيرًا أخذت دنيا السيارة وهي تحاول اللحاق بموعدها.

وصلت دنيا إلى المكتب قبل موعدها بنصف ساعة وجلست على مكتبها تحضر أوراقها وتتصفح بريدها الإلكتروني.

ثم أخذت تدوِّن ملاحظات في دفتر يومياتها:

- مراجعة ميزانية الشركة.
- دفع فواتير الكهرباء والمياه.
- زيارة أمي.
- موعد دكتور الأسنان في الرابعة.

ثم أغلقت الدفتر لتستعد لموعدها مع المحاسب القانوني للشركة وبدأت في مراجعة الميزانية مدققة في بند بند، لم تترك خلفها فاتورة بدون مراجعة ولا تقرير بدون تفصيص وتمحيص.

انتهـت أخـيرًا مـن مراجعـة الميزانيـة، ورحـل المحاسـب لإنهـاء باقـي الإجـراءات القانونيـة.

جلسـت دنيـا تفكـر في حياتهـا منـذ وفـاة زوجهـا وكيـف تغـيرت مـن وقتهـا مـن تحمُّلهـا المسـؤولية بعـد وفاتـه، ومـع مـرور الوقـت أصبـح العمـل أمـرًا واقعًـا في حياتهـا لم تخـتره ولكنهـا تفعلـه بقـوة وحـزم وصلابـة.

لقـد دعمـت زوجهـا خـلال السـنوات الماضيـة في قرارتـه ووقفـت بجـواره، وكانـت لـه مثـال الزوجـة الصالحـة، مقدمـة لـه النصائـح فقـد كان يستشـيرها دائـمًا في أمـورٍ تخـص العمـل، ممـا جعلهـا قـادرة عـلى إدارة شركـة مـن أكـبر شركات العقـارات وحدهـا بعـد مماتـه.

رن جرس الهاتف فردت ملهوفة..

دنيا: ثائر كيف حالك؟

ثائـر: أمـي أنـا بخـير لا تقلقـي، كيـف حالـك أنـتِ اشـتقت إليـكِ.

دنيا: طمني عملت إيه في الامتحان؟

ثائر: الحمد لله كانت درجاتي هذا الترم لا بأس بها.

دنيا في ذهول: لا بأس بها؟

لم أرسـلك لتتعلـم في الخـارج في أحسـن الجامعـات لتحصـل عـلى درجـات لا بـأس بهـا!!

ثائـر محـاولًا إخفـاء حزنـه مـن طريقـة أمـه الصارمـة وتعنيفـه عـلى فقـدان بعـض الدرجـات فقـد اعتـاد عـلى هـذا: لا تقلقـي يـا أمـي سـأبذل كل جهـدي في المـرة القادمـة.

دنيـا: هـذا هـو الـرد الصحيـح: عليـك بـذل جهـد أكـبر والتركيـز في مسـتقبلك.

ولا تنسَ أن تنام مبكرًا وتهتم بغذائك.

ثائر ناظرًا إلى السقف وهو ينفخ ويأخذ نفسًا عميقًا: حاضر، يا أمي سأفعل ما تقولينه لا تقلقي.

دنيا: ستفعله لأنه ما يجب فعله فالشركة في انتظار شخص ناجح يديرها فلتنتبهِ دراستك وتأتي لتتحمل المسؤولية.

ثائر: حاضر يا أمي.

دنيا: سوف أذهب الآن لدي موعد هام، لا تنسَ ما أخبرتك به ودونه كي يكون أمامك طول الوقت.

ثائر للمرة الثانية: حاضر يا أمي.

ذهبت دنيا إلى منزل والدتها الحاجة فوقية بعد أن مرت بالسوبر ماركت لتشتري ما ينقص البيت فهي دائمًا ما تدوِّن ما ينقص والدتها لتحضره معها في الزيارة التالية.

أخذت دنيا تضع كل شيء في مكانه وتوضب الأغراض.

وأمسكت بالمسحة لتزيل بعض التراب الذي رأته بعينيها في الكورنر وهي تنادي أم صلاح في نفس الوقت معنفة: لماذا لا تهتمين بنظافة المكان؟ هي مهمتك الوحيدة فلتؤديها كما يجب.

أم صلاح: حاضر. أنا آسفة.

كانت أم صلاح سيدة كبيرة، ولكنها قد اعتادت على طريقة دنيا في إلقاء الأوامر، وكانت تتحملها لمعرفتها بهوس دنيا للنظافة، وكانت تعذرها لمعرفتها بطيبة قلبها.

دخلت دنيا إلى غرفة والدتها وأخذتا تتداولان أطراف الحديث، وبعد مرور ساعة على حديثهما نظرت دنيا إلى الساعة فقد حان موعد الذهاب إلى طبيب الأسنان.

أخـذت دنيـا قبـل رحيلهـا تؤكـد عـلى والدتهـا مواعيـد الأدويـة وتعطيهـا نصائـح حـول مـا يجـب أن تأكلـه أو تمتنـع عـن أكلـه، وولدتهـا تقـول لهـا: حـاضر يـا حبيبتـي.

ولكن كل مرة، وبعد رحيل دنيا، تنادي والدتها أم صلاح.

أم صلاح: أمر حضرتك.

والـده دنيـا: لقـد اشـتقت للحلويـات، إيـه رأيـك تعمليلنـا صينيـة بسبوسة.

ذهبـت دنيـا إلى موعـد طبيـب الأسـنان في موعدهـا بالثانيـة لتجـده ينتظرهـا ويرحـب بهـا، فقـد كانـت تعـودت عـلى الذهـاب كل ٦ أشـهر للاطمئنـان عـلى أسـنانها، وعمـل كشـف دوري.

عندمـا أنهـت دنيـا موعدهـا ذهبـت لتنـاول كـوب مـن القهـوة، وجلسـت تراجـع يومهـا وتضـع العلامـات عـلى المواعيـد التـي تمـت وأخـذت تعـدل في جـدول اليـوم التـالي.

ثـم جلسـت تـسرح وتفكـر: هـل قسـوت عـلى ثائـر، هـل كنـت الأم التـي يسـتحقها، مـاذا لـو أخطـأت في شيء؟؟

هـل كنـت الابنـة البـارة التـي ترعـى أمهـا في مرضهـا، مـاذا لـو كان هنـاك شيء آخـر يجـب أن أفعلـه..

هـل ربي راضٍ عنـي؟ وظلـت في هـذا التفكـير الـذي تـكاد تعـذب بـه نفسـها يوميًّـا، إلى أن أنهـت قهوتهـا وهـي تفكـر لمـاذا تسـعى لـكل هـذا الكـمال رغـم معرفتهـا التامـة أن الكـمال لله وحـده.

***

بصلة وثومة

بقلم: إنچى أحمد سعد

خرجــت بصلــة مــن بيتهــا كعادتهــا كل صبــاح تنتظــر بــاص المدرســة.

وجدت ثومة أيضًا تنتظر الباص.

فهـما تسـكنان في منزلـين متجاوريـن لكنهـما دائمتـا الشـجار ولا تتفقــان أبــدًا.

وصل الباص وكان الوضع صعبًا جدًّا.

وصعدتا سلم الباص وهما تتشاجران.

- أنا أولًا.
- لا بل أنا.
- أنا وصلت أولا.
- بل أنا وصلت قبلك.
- لا يستطيع أحد أن يوقف هذا الشجار.

فالأصدقاء جميعهم يتابعون الشجار باهتمام يريدون

أن يعرفوا مَن منهم ستفوز وتركب أولًا.

فأطلق الباص بوقًا عاليًا.. بيييييييييب.

فقفزتا الاثنتان سريعًا إلى الباص.

وأكمل الباص طريقة إلى المدرسة في هدوء.

دخـل الطـلاب إلى الصـف وتابعـوا دروسـهم وكانـت بصلـة وثومـة تتبـادلان نظـرات حـادة دون أن تنطـق إحداهمـا بكلمـة، إلى أن دق الجـرس وخـرج الطـلاب جميعًـا إلى فنـاء المدرسـة فعـاد الشـجار مجـددًا.

وحاولـت فجلـة وفلفلـة إنهـاء هـذا الشـجار فاقترحـت فلفلـة أن تتسـابقا والتـي تفـوز منهـما تكـون هـي الأفضـل.

فوافق الجميع على هذا الاقتراح.

واستعدتا للسباق.

وبدأت فجلة العد: 1.. 2.. 3..

جـرت بصلـة وثومـة بأقـصى سرعـة وكل منهـما عيناهـا عـلى الأخـرى.

تـسرع ثومـة خطـوة فتـسرع بصلـة خطـوات وظلتـا هكـذا حتـى انتهـى السـباق بـأن وصلـت الاثنتـان إلى خـط النهايـة في نفـس اللحظـة.

وعاد الشجار مرة أخرى لقد فزت أنا وصلت أولًا

بل أنا

أنا أسرع منكِ. أنا أفضل منكِ.

وقـف الطـلاب جميعًـا يشـاهدون هـذا الشـجار ولاحظهـم الأسـتاذ باذنجـان.

وبسرعة أبلغ مديرة المدرسة أبلة كرنبة.

التي صاحت في الميكرفون: انتبااااااااااااااه.

فوقف الجميع في صفوف مرتبة وفى هدوء تام.

وسألت أبلة كرنبة ما سبب هذا الشجار؟

فبدأت بصلة وثومة في الشجار مرة أخرى

أنا أفضل منها.

بل أنا أفضل. لقد فزت في السباق.

بل أنا الفائزة.

سكوووووت.

صمتت بصلة وثومة.

وأشارت أبلة كرنبة إلى فجلة كي تتحدث فقالت:

- إنهما لا تتوقفان عن الشجار أبدًا. كل واحدة تقول إنها الأفضل فاقترحنا أنا وفلفلة عمل سباق بينهما حتى نعرف من الأفضل لكنهما وصلا إلى خط النهاية في نفس اللحظة ولا تريدان أن تعترفا أنهما متساويتان.

أشارت أبلة كرنبة لبصلة كي تتقدم وسألتها:

لماذا أنتِ الأفضل يابصلة؟

معلمتي: أنا أنقي الدم وأنظم الدورة الدموية.

أبخرتي تقتل الجراثيم وأفيد الجلد والشعر أيضًا

بفضل مركباتي الكبريتية.

قالت أبلة كرنبة هذا جيد.

وأشارت لثومة كي تتقدم وسألتها:

لماذا أنتِ الأفضل؟

قالت: أنا أطهِّر وأنبِّه المعدة وأفيد أيضًا في أمراض الصدر وصعوبة التنفس وأمنع تجمع الكوليسترول على جدران الشرايين.

قالت أبلة كربنة وأنتِ يا فجلة هل ترين أنكِ الأفضل؟

معلمتي أنا أيضًا لي فوائد لكنني لا أعرف إن كنت الأفضل أم لا.

وما هي هذه الفوائد؟ أخبرينا. جاوبت بتردد.

أنا.. أفيد مرضى السكر وعصير الفجل يساعد على التخلص من لدغ الحشرات.

وأنتِ يا فلفة أخبرينا عن عملك.

قالت فلفلة: أنا أقوِّي من خفقان القلب وأعالج القرحة وأرمم الأنسجة التالفة وأخفف أيضًا من التهاب المفاصل.

والآن لكل الطلاب الواقفين أمامي من يرى أنه الأفضل.

فرفع الطلاب جميعهم أياديهم.

قالت أبلة كرنبة: هذا بالضبط ما أقصده فكلٌّ منا له عمل معين يمكن أن نختلف في أدوارنا وأشكالنا وألواننا، ولكن حتى يكتمل مجتمعنا لا بُدَّ وأن نتحد مثل البازل لن تكتمل الصورة إلا حين نضع كلٍ القطع في مكانها وهذا أيضًا مجتمعنا لن يكتمل إلا حين يقوم كلٌّ منَّا بعمله على أحسن وجه وحينها لن يكون أحدنا هو الأفضل بل سنكون جميعنا الأفضل.

***

ليلة في القصر

بقلم: هالة فراج

فركت عيني طويلًا من أثر النوم وفتحتها لأجد ما أذهلني ما هذا الفراغ الشاسع وما هذه المقتنيات الفاخرة وما هذا الفراش الذي استيقظت عليه فملمسه كالحرير والغطاء وثير حتى ما أرتديه ملمسه ناعم فانتفضت مذعورة أين أنا وما هذه الغرفة؟!

وخرجت من الغرفة مسرعة أبحث عن أمي وأختي وأبي فإذا بي أجدني في بهو كبير مزركش على جانبيه بالصور والتابلوهات الرائعة، ونزلت درجات السلم الرخامي وأنا في ذهول ولكن بداخلي سعادة مفرطة لأنني استيقظت على يوم مختلف وكأنني أستيقظ للمرة الأولى، وعندها تنبهت على أصوات فوجدت أمامي سفرة طعام مليئة بما لذ وطاب وعم عبده السفرجي هكذا ناداه أحد بالقصر يحدثني بأدب جم: اتفضلي يا هانم الفطور. وسحب لي الكرسي وجلست وأمامي أختي وأمي وعلى رأس المائدة يجلس أبي.

عم عبده موجهًا حديثه لأبي: هل تأمر بشيء آخر يا رستم باشا؟ شكرًا يا عبده اتفضل.

في تلك الأثناء كانت أمي ترمقني بنظرات غريبة وكأنها

تلومني. وبادرتني بالحديث وقالت: حتفضلي كدا على طول مش بتعملي حاجة في حياتك غير النوم والنادي والموسيقى والرقص والسهر.

وبسرعة رددت: وهو أنا مطلوب مني إيه تاني أعمله يا مامي، اتحايلت على داد أشتغل معاه في العزبة وهو رفض المفروض اعمل إيه!!! وقمت وتركت من يدي المعلقة الذهب التي كنت أتناول بها السلطة غاضبة، وذهبت لغرفتي ولكني قبل أن أذهب بادرتها قائلة: على فكرة أنا رايحة أقابل أصحابي في النادي. ولم أنتظر حتى الإجابة وقهقه الباشا قهقهة طويلة وصعدت مسرعة إلى غرفتي وفتحت خزانة ملابسي لأنتقي منها ما أستطيع الخروج به وفكرت أنني سأركب الخيل مع ممدوح فارتديت ملابسي ومشطت شعري ورفعته بالدبوس الألماظ هدية جدتي في عيد ميلادي وخرجت مسرعة واستقليت سيارتي المرسيدس وسرت في الشوارع أتأملها في الصباح. كم هي رائعة! والأشجار على الجانبين طوال الطريق وأنا أسمع عبد الحليم، ووصلت لبوابة النادي والكل يلقي عليَّ التحية مع انتظار نظرات الرضا من عيوني، ولمَ لا وأنا ابنة الباشا رئيس الديوان الملكي وقابلت ممدوح وتريضنا قليلًا ثم امتطينا الخيل سويًّا وتسابقنا وهزمته أما برغبته أو أكون فعلًا تفوقت عليه، ولكنني أشك في ذلك فهو الفارس الأول في الجمهورية ونال وسام الدولة لبطولته في سباق الخيل، ولكنني أدرك مشاعره جيدًا أراها في عينيه، ولكنه لا يتحدث ومللت سريعًا كعادتي واعتذرت بأنني سأذهب للمنزل وفي الطريق سأتناول قهوتي المفضلة في جروبي مع صديقاتي وتضاحكنا كثيرًا وذهبت للمنزل متعبة ليس من المجهود، ولكن من الفراغ والملل من الروتين

اليومي الذي لا ينتهي ولا يوجد به جديد وصعدت الدرج حتى وصلت لغرفتي وسريري وغيرت ملابسي وجريت على السرير وبعد لحظات رحت في سبات عميق.

ثم فتحت عيني متثاقلة ولمحت أختي وهي توقظني

«قومي يا هانم اصحي» وكوب ماء بارد علي وجهي «ناموسيتك كحلي اتأخرتي علي الشغل»، «شغل إيه هي بنت الباشا حتشتغل إيه» ضحكت أختها طويلًا وهي تقول: «باشا باشا حتة واحدة إيه دا أنا فين وإيه اللي جابني هنا».

«انتي حتستعبطي هو إنتي كنتي فين؟»

«أنا كنت في الجنة، منك لله يا شيخة إيه اللي خلاكي صحتيني كنت نايمة علي ريش نعام».

«طب قومي بقى علشان أنفض الريش من على السرير كل دا من زيارتك لمتحف المجوهرات شكلك عشتي الحياة اللي كنتي بتتخيليها ومبهورة بيها».

«أنا آآآه يا ريت...»

***

ليان للنشر ولتوزيع

على ظهر التذكرة

بقلم: هالة فراج

هناك مواقف بنعرف فيها يعني إيه رجولة ويعني إيه شهامة حتى لو كانت المواقف دي يعقبها خصام أو بعض الجفا أو حتى هجر مجرد وجود المعاني دي في شخص كفيلة إنها تمحي كل أخطائه وحقيقي الرجولة الحقيقية أفعال مش أقوال والحكاية اللي ححكيها خير دليل علي كلامي تواعدا على اللقاء فريدة وعلي وقد كان علي طلب منها في وقت سابق وفي مكالمة بينهما أن يتقابلا فقد كانت فريدة على موعد بلقاء عمل، ورغم أنها تعجبت من طريقة اللقاء إلا أنها تخيلتها ولم تتوقع أبدًا أن تكون حقيقية أو يتقبلها هو رغم كل مشاغله. قال لها: «فريدة، سأحجز تذاكر أحضر بها إليكِ لأرافقك في مشوار الذهاب والعودة ثم أعود مرة أخرى»، رفضت في البداية وذلك لطول المشوار والمجهود ولكنه صمم وفرحت من تصميمه فهو يثبت لها في كل تصرف حرصه الشديد علي رؤيتها وإرضائها ولم تنكر هي في نفسها أنها كانت تريد رؤيته وبشدة وتجلس معه ويتجاذبان أطراف الحديث وتشبع من لقائه الذي يجعلها تعيش في عالم آخر فهي لم تنسَ آخر لقاء وكيف كان تلامس أيديهما كافيًا لتشعر بقشعريرة تسري في جسدها ويتغير مود يومها، هي تحبه نعم من كل قلبها وترى فيه الشخص الوحيد الذي تتمنى أن تقضي

حياتها معه. رتب علي للقاء بكل تفاصيله. جهز لها الإفطار وحجز لها مكانًا للغداء ورتب كل تفصيله بدقة متناهية فهو مؤمن بأننا من نصنع القدر وأننا بيدنا إنجاح الشيء أو إفساده وعلى حسب إعداداته كل شيء محسوب ومخطط إلا شيء واحد فقط؛ ظروفي أنا فمن ضمن ترتيباته حدد لها مواعيدها وبدقة ومتى تصل ومتى تنتهي ولم يحسب حساب أي مستجدات ممكن أن تحدث، وبالفعل حدثت مفاجأة غير متوقعة غيرت مسار يوم فريدة فقد قابلت عمها بالصدفة وهي في طريقها للقاء وصمم على استضافتها في مكتبه القريب منهم بعض الوقت ولم يستمع لأعذارها خاصة وقد أخبرته منذ قليل أنها أنهت الأعمال التي حضرت من أجلها فاضطرت آسفة أن تذعن وتذهب معه وفي عقلها عشرات الأفكار كيف تخبره وكيف تتأسف له وماذا تفعل وقد بدأت مكالماته تنهال عليها استأذنت من عمها للرد على التليفون وأتاها صوته غضبان: أين أنتِ؟ فموعد التذاكر قد حان والوقت قصير. فشرحت له ما حدث وأنها مش عارفة تعمل إيه فأعطاها فرصة ربع ساعة تحاول أن تنهي اللقاء بأي شكل فهو أعد كل شيء وحاولت كثيرًا، ولكن عمها رفض تمامًا واحتارت ماذا تفعل فتحدثت معه واعتذرت مرارًا وتكرارًا ولأنه رجل لا يتكرر سمعها للنهاية وقال لها: أنا حستناكي لآخر وقت ولما تيجي حتعرفي ليه. وظل منتظرها في الكافتيريا أكثر من خمس ساعات وضاعت تذاكر الذهاب والعودة ثم الذهاب، ولكنه فاجأها بطلب كانت قد تحدثت أمامه به واعتبر مجرد حديثها أمرًا أبى إلا أن ينفذه وبرغم الغضب بداخله لم يمشِ ولم يتركها ووقتها لم تكن ستلومه على شيء فمعه كل الحق ولامها كثيرًا وألقى عليها كل اللوم لما حدث فهو يؤمن بأننا من نصنع

الحدث وأنه كان من الممكن أن أترك عمي حتى وإن غضب ولكن لا أخلف وعدي معه ومع ذلك عاملني بمنتهى اللطف والحنية وظل يتحدث معي إلى أن جاء موعد السفر وتركته على مضض وعلى علم بمدى غضبه، ولكن لم أكن أعلم إلى أين سيؤدي بنا هذا الغضب، وكان الطريق طويلًا تخالجني فيه كل أحداث اليوم بحلوها ومرها حتى وصلت واطمأن على سلامة وصولي وطلب مني أن أنام لأنني أُجهدت كثيرًا وبالفعل نمت نومًا عميقًا وأول ما فتحت عيوني وكالعادة أجري وأمسك التليفون لأرى رسائله لأنها أول ما أفتح عليه عيني منذ عرفته وهالني ما قرأت عندما فتحتها لم أشعر إلا بلهيب دموعي على خدي مع كل حرف يمر على عيني وينطقه لساني فيتألم له قلبي، قال: من الآن وصاعدًا لا تربطنا أي علاقة أو اتصال أو معرفة. مع تمنياتي لكِ بكل السعادة فمن لا يحترمني أو يحترم مواعيدي لا يلزمني..

***

جواب وفنجان شاي!

بقلم: شيماء علي محمد

قضيتُ أيامًا طويلة دون أن يعلم أحدٌ بما أشعر به، مرت أسابيع كثيرة وأشهرٌ طويلة ولم يلمح خرابي حتى أعز أصدقائي. مرت سنةٌ واحدة على انتكاسة الاكتئاب التي حُبسَت داخلها ولا أستطيع الخروج حتى الآن، وسُرعان ما أنكسر؛ أشخاص أفتقدهم كثيرًا، منهم من مات ومنهم من خذلني، وأشعر أن الحياة ترفضني بشكل تام.

معظم الأذى الذي تعرضت له كان من أشخاص أخاف عليهم من إحساس الألم، وأخشى عليهم من الفقد بسببي، فاضطررت إلى مسامحتهم على أشياء لا يجب أن نغفرها لهم، ووثقت فيهم أكثر من اللازم، وأعطيتهم أكثر من حقهم، وفي النهاية.. أنا الضحية الوحيدة.

لم أعد سعيدة، والحزن يحاوطني من كل اتجاه، لا جديد في حياتي، ملل وروتين وتكرار، وغير مسموح لي بالانهيار والبكاء، لأني لا أملك رفاهية البكاء والشعور بإنسانيتي. وفي الوقت ذاته

أريـد أن أحكـي وأفضفـض إلى أي شـخصٍ، لكـن لا أعـرف ذلـك، ولا أمتلـك القـوة للحكـي، أشـعر بالتعـب.

الأيـام التـي أسـتيقظ فيهـا بعـد كوابيـس شـديدة القسـوة، أشـعر بعدهـا أني أعـاني في نومـي، وأسـتيقظ وأنـا في معانـاة مـع جسـدي، والوخـم والإرهـاق يتسـلل إلى كل جسـدي، ونفسـيتي يصيبهـا القلـق والفتـور، ولا أعـرف إلى أي مـكانٍ أذهـب إليـه، أريـد شـخصًا يحتوينـي ويحتضننـي، وأبكـي في صـدره.

لم أخـرج مـن المنـزل مـن فـترة طويلـة، والمـرة الأولى التـي خرجـت فيهـا مـن بلكونـة المنـزل وجـدت الشـاب الـذي يسـكن أمامنـا خارجًـا مـن بلكونتـه أيضًـا، ورآني فأصبـت بالتوتـر، وقـررت أن أدخـل إلى غرفتـي مـن جديـد، ووجدتـه يقـول لي: إزيـك، بتحبـي الشـاي؟ وللمـرة الأولى أنتبـه إلى أن عيوننـا تلاقـت، فأملـت لـه رأسي، وقلـت لـه: نعـم!

هـذه المـرة الأولى منـذ شـهر التـي أتحـدث فيهـا مـع أي إنسـان، قـال لي: هاعملـك معايـا كوبايـة شـاي! وقبـل أن أجيبـه وجدتـه دخل إلى الغرفـة وبالفعـل حـضَّر فنجانًـا مـن الشـاي، وبعـد محـاولاتٍ مسـتميتة اسـتطاع أن يعطينـي الفنجـان عـبر المسـافة القصـيرة بـين البلكونتـين. قلـت لـه: شـكرًا! ابتسـم لي ابتسـامة عذبـة، وبـدأ يتحـدث معـي في مواضيـع عديـدة وعشـوائية دون ترتيـب، لدرجـة أني شـعرت أن الـكلام يتسرب مـن لسـاني دون وعـي، قـال لي أنـه يشـعر بالسـعادة في كل مـرة يـراني فيهـا ويتفحـص ملامحـي، أصابنـي

توتر وخجل بعد ما قال، ولم أجب لعيه سوى بابتسامةٍ خجولة خفيفة، نظرت إلى عينيه، فاسترحت وأصابني سكون، قال: أنا حاسس بيكِ، ومستعد أسمعك كل يوم، وهاعملك كوباية الشاي!

قلت له: أنا مبعرفش أحكي.

قال: عادي، هستناكي زي دلوقتي تشاركيني سكوتك!

دخلت غرفتي، أما هو فلا يزال باب بلكونته مفتوحًا على آخره، وصوت أم كلثوم يصل إلى مسامعي من عنده. سألت نفسي، كيف لهذا الفتى، لمجرد أن عينيه مريحتان وشكله لطيف يكون منتبهًا معي إلى هذا الحد، ويكون سببًا في أن أفتح معه حوارًا ويصيبني التوتر، ولكن أشعر بعدها أني مرتاحة للغاية، كل ذلك بابتسامة لطيفة، وفنجان من الشاي!

اتفقنا معًا أننا سنلتقي في البلكونة ونستمع إلى أي أغنية من الأغنيات التي يختارها، وسيحضِّر هو فنجان الشاي، لكن لم أواظب كل يوم على اللقاء، يومٌ أحضر ويوم لا، لكنه في كل الأيام كان ينتظرني، وأجده بنفس الابتسامة الخفيفة التي لا تفارق وجهه.

منذ يومين، كالعادة أعطاني فنجان الشاي ومعه وردة حمراء، وأخبرني أنه يعشق ملامحي، وظلَّ يسحب من لساني الكلمات ونتبادلها معًا، حتى إذا جاء الليل يبدأ في تشغيل أغنية لأم كلثوم، سمعت الكلمات: «عمري ما أشكي من حبك مهما غرامك لوعني»، خرجت لأتحدث معه، وقلت له: حلوة الأغنية!

سألت نفسي، كيف يمكن بهذه البساطة أن يسحرني شخصٌ ويزيل عني كل هذا الأرق والقلق والكآبة؟! حتى الوحدة، لم أعد أشعر بها، وكلما أصابني شعور بالافتقاد أو الحزن، أخرج إلى البلكونة فأجده في انتظاري، فيزول عني كل شيء.

مرَّ أسبوع دون أن أخرج أو أظهر له أبدًا، وبعد مرور الأسبوع خرجت إلى البلكونة ووجدت جوابًا مُلقى على الأرض، راحته في غاية الجمال.

فيه الآتي: إزيك؟ مش بشوفك ليه؟ البلكونة وحشة من غيرك والشاي ملوش طعم، افتقدتك!»

يبدو أن نسيت شعور الاهتمام، أن تصبح محل الاهتمام من أحد، وأن يعتني لأمرك أي إنسان، لكن الآن تغير هذا الإحساس، وبدأت أشعر بأن هذا الشعور يملأ كل كياني، وبموقفٍ واحدٍ منه أنسى كل الآلام التي أمرُّ بها. وأخيرًا رأيته، قلت له: أنا كويسة ومشربتش شاي من يومين برضه! ضحك وقال: أنا مشربتش من آخر مرة شُفتك فيها، استني دقيقتين هعمله وأجيلك. أملت رأسي بالموافقة، والابتسامة لا تفارق وجهي، وقال: متغبيش كل المدة دي تاني، أنا بحب أشوفك، يلا احكيلي شوية. ولم أتوقف عن الحديث!

ما الذي حدث لحياتي؟ كوب من الشاي يفعل كل ذلك؟ هل الجواب؟ هل بإمكان هذا الفتى أن يقلب حياتي إلى هذا الحد، وللأجمل ارتياحًا؟ ربما، وهذا ما حدث. الآن قبل أن أنام،

وكلما أشعر أن الحزن بدأ يستولي على عقلي، أفتح الجواب الذي أعطاه لي سريعًا، وأشم راحته العطرة، وبعدها يسكن كل الألم، وأشعر أني أفضل.

تذكرتُ مقطعًا في أغنية تقول: «رفقًا مَولاتي رِفقًا إني أتنفس عِشقًا»، ويبدو أن ما حدثَ معي هو بداية جديدة وجميلة، بداية لنسيانِ كلِّ ما هو قبيح، ومع يقيني في الله وفي نفسي سأتخطى بشاعة العالم!

***

الأحلام المؤجلة

بقلم: شيماء علي محمد

كان يا مكان، هاحكي ليكم حدوتة ملتوتة!

(جميلة) صديقتي وأختي وأمي، كانت روحها شبيهتها في كل شيء، اسمٌ على مُسمًّى؛ مرحة وبشوشة، وفتاة قوية تعادل 100 رجلٌ في ثباتها وحكمتها في كل المواقف،

وأنا.. أفتقدها كثيرًا في حياتي.

نسيت أن أخبركم مَن أنا، ولماذا أحكي لكم عن هذه الشخصية، أنا (أحمد)، مهندس وصحفي في الوقت ذاته، صديق (جميلة) المقرب، ظهرت هذه الفتاة في حياتي مفاجأة، وكانت أحلي مفاجأة صادفت حياتي، تعرفت عليها بالصدفة من جلسة أصحاب مقربين، ومن وقتها أصبحت أقرب شخص لي، حتى في بيتي مع أمي وإخوتي، لم يصدر منها سوى كل خير.

(جميلة) فتاة تعيش طوال عمرها مع جدتها، أما والداها الاثنان، فتوفاهما الله في حادثٍ أليم، ومن وقتها وهي تتحمل مسؤولية نفسها وترعى جدتها. تخرَّجت من كلية فنون جميلة، وكانت مميزة وفنانة في رسمها للوحات، وتحمل طابعًا حزينًا ومتفائلًا في نفس الوقت. وكأنها تعيش في عالمٍ آخر لا يوجد

منها في الواقع الأليم بين البشر، خفيفة الروح وتخطفك بجمالها ولسانها الطيب، تحاول قدر الإمكان أن تكون قويةً ومتماسكة رغم كل الظروف التي تمر بها.

دخلت بيتي كأنها فراشة، وهي فراشة خفيفةٌ بالفعل، كلها حبٌ وخفة وجمال، تقف إلى جانبك دون أن نطلب منها، كانت سرَّ أمي الدفين، تحفظه وترعاه، وتشاركها أمي هذا السر بكل ثقةٍ وأمانٍ. وبين إخوتي لا تختلف عنهم، تحبهم كثيرًا ولا يصدر عنها أي إساءة، أمينة على السر وأمينة على كل شيء. لا تبخل على بالتشجيع وأن تدفعني للأمام في عملي، ودائمًا ما تشارك في أي نجاح أصل إليه، وأرى في عينيها فرحةً وسعادة.

لكن يبدو أني أسبِّب لها الكثير من الأذى، خذلتها كثيرًا وأوجعتها أكثر. كنت مغمض العينين عن هذه الجوهرة الثمينة في حياتي، لا تتلقى مني سوى الرد المخزي الذي لا يرضي مثلها، وهي أنها مثل الأخت، رغم أن والدتي تشجعني بأن أرتبط بها، لكن في كل مرة كنت أرفض، ولا أراها سوى أخت لي، وأعترف بالسذاجة والغباء. أما من ناحيتها، فكانت تحبني حبًّا كثيرًا، وأنا في المقابل أرفض ذلك الحب ولا ألتفت إليه، بل كنت أرتبط بواحدة وأخرى، وأحكي لها تجاربي معهم، وتظهر أمامي فرحتها المصطنعة، لكنها تتحطم في داخلها وينكسر قلبها مع كل حكاية لي، ولكن لم يمنعها ذلك في أن تستمر بالعطاء لأجلي ولأجل إخوتي وأمي.

لم أدرك أهمية هذه الفتاة الجميلة إلا بعد أن صُدمنا بأنها مريضة سرطان، أخبرت أمي بذلك، وبقيت في منزلها وحيدةً بعد أن رحلت جدتها عن الحياة، لكن أمي استمرت في التواصل معها، وطوال فترة علاجها رفضت أن تراني تمامًا، كانت تخشى أن أراها

في هـذا المنظـر وفي تلـك الحالـة، واكتفـت بصديقـة لهـا تصاحبهـا في الطريـق وأنـا أعتمـد عليهـا في الحصـول عـلى أخبارهـا بعـد جلسـات العـلاج.

شـهد الجميـع بأخلاقهـا وحبهـا للغـير ومسـاعدتها لهـم حتـى لـو عـلى حسـاب وقتهـا أو راحتهـا،

آهٍ يا جميلة! حبيبتي،

أرقهـا التعـب ونـال منهـا المـرض، وجدتهـا تقـول لأمـي مـرةً، إنها ترفـض الذهـاب إلى الأطبـاء، ولـن تذهـب للجلسـات مـرةً أخـرى، وأن حظهـا هكـذا مكتـوب عليهـا أن تصبـح مريضـة بهـذا المـرض الخبيـث، وتكـرر عـلى لسـانها الحمـد لله، وأنهـا ليسـت حزينـةً عـلى الإطـلاق، بـل تعـدد نعـم الله حولهـا، هـذا الـرزق الكثـير، والمحبـة التـي تتلقاهـا مـن النـاس، فهـل سـتعترض عـلى شيءٍ واحـدٍ لم تحصـل عليـه مـن الله! مـا هـذا الجحـود؟! وقالـت: (يبقـى أنـا معنديـش دم كـده!)، ثـم ضحكـت وقالـت بأنهـا سـتفكر في نفسـها، وسـتضع حـدًّا لهـذا الألم وسـتقلبه إلى فرحـة وسـعادة.

نادتنـي أمـي وطلبـت منـي الحديـث، وقالـت بغضـب وبنـبرةٍ حـادة: (لازم تتجـوز جميلـة بإرادتـك أو غصـب عنـك!)، لم أفهـم كلامهـا مـن كثـرة غضبهـا، ولكـن حاولـت أن أهدِّئهـا وأفهـم قصدهـا، أخبرتنـي أن أحـاول أن أسـعد جميلـة، وأنهـا تتمنـاني زوجًـا لهـا، وأن كل التجـارب السـابقة فشـلت، لأن كل الفتيـات لم يكـنّ عـلى قـدر المسـؤولية ولا يقـدرن عـلى فتـح بيـت أو الاسـتقرار، وهـذا مـا اكتشـفته لاحقًـا بالفعـل.

بالفعـل تقدمـت لخطبـة جميلـة لكـن فوجئـت برفضهـا، يبـدو أنهـا تظـن أني أعطـف عليهـا وأتزوجهـا شـفقةً بحالهـا، لكنـي أقسـمت لهـا بـأن ذلـك غـير حقيقـي وأني أتمناهـا زوجـةً لي وأني أرغـب في

خدمتها والوقوف إلى جانبها. وبعد محاولات مني ومن أمي، وافقت أخيرًا وارتبطنا بدبلتين حتى نحضر شقتنا، وفي الوقت ذاته لم تنقطع عن جلسات العلاج، وكنت أنا من يذهب معها. اقترب موعد الزواج، واستقرت حياتي واستقر عملي وصار ممتازًا، وحققت نجاحًا مبهرًا، وهي لا زالت حاضرةً معي تشاركني كل هذه النجاحات.

حتى كانت الصدمة، وبعد أن وعدتها بالذهاب إلى الشقة لأفاجئها بأني قد فرشتها تمامًا كما أرادت، حدث ما لم يكن في الحسبان! دخلت في غيبوبة وذهبت إلى المستشفى، ولم يمرّ يومان حتى فارقت الحياة، وأخذت قطعةً من قلبي معها للأبد، وأغلقت أبواب الدنيا كلها أمام وجهي، وغطى الحزن جوانب حياتي.

أعطتني أمي جوابًا كتبته جميلة قبل موتها، ذهبت إلى الشقة التي كان من المفترض أن تكون عُش الزوجية الخاص بنا، واختليت بنفسي وأنا أقرأ الجواب:

حبيبي أحمد

هذه الفترة من حياتي أدرك أننا أكثر قربًا وحبًّا، أَحمِدُ اللهَ على هذه النعمة وأسأل الله أن يحميك. لست مجرد حبيب، أعتبرك صديقًا وأخًا وأبًا لي، كلما اقتربنا كلما زادت العلاقة بيننا قوةً وتماسكًا، وكلما ازددت أنا قوةً وصلابةً، وبدأت أشعر بأني لو خسرتُ أحدًا من حياتي، لن أتأثر إلى الدرجة التي تؤذيني، ولو أراد أي شخص أن يخرج من حياتي لن يضعفني ذلك ما دمت أنت حاضرًا بجانبي بقلبك وبروحك.

أعـترف لـك عزيـزي أنـك لم تقلـل منـي أبـدًا، ولم تشـعرني بـأني مريضـةً، بـل أشـعر بجانبـك أني أطـير كفراشـةٍ خفيفـة، وأمتـنّ لـك بالجميـل لأنـك تخـاف عـلي، وأنـا أيضًـا أخـاف عليـك إلى درجـةٍ تـكاد تثـير اختناقـك، لكنـك تعـرف جيـدًا أن ذلـك محبـة كامنـة في قلبـي لـك.

لـو أحببـت شـخصًا آخـر، لـن أغـير عليـه مثلـما أغـير عليـك، خاصـةً وأن علاقتـك بـكل النـاس جميلـة وطيبـة، وأسـلوبك فاتـن وقـادر عـلى لفـت الانتبـاه، وكل الفتيـات يرغبـن فيـك.

أحمـد أعظـم رجـل في حيـاتي، سـيظل سـندي، وسـيظل الشـخص الوحيـد الـذي يمـدني بالقـوة بعـد الله، وسـأظل أحبـك بـكل عيوبـك قبـل مميزاتـك، ولا أريـد أي شيء في الدنيـا سـوى أن أرضيـك وأسـعدك، نعـم نحتـاج إلى الأمـان، وأكثـر شيء نفتقـده الآن هـو الأمـان.

(أُحبك يا عزيزي بكل ما أوتيتَ من قوة)

بـكاء، وصراخ، ونـدم عـلى السـنوات التـي ضيَّعتهـا بعيـدًا عنهـا، وأنـا لا أقـدر هـذا الحـب في داخلهـا لي، نـدمٌ ليـس بعـده نـدم. حبيبتـي جميلـة، سـتظلين في قلبـي حتـى بعـد رحيلـك.

ماذا سأفعل بعدك؟ لا أعلم.. تيهٌ وغيابٌ عن كل الدنيا.

لماذا لا نشعر بقيمة الشيء إلا بعد فقدانه؟

الخلاصة:

لا تبخلوا بالحب على من يحبكم بحق، ومن يفتح عيونكم على كل شيء جميل في الحياة، على من يشعركم بقيمة الحياة، على من يظهر الأشياء الجميلة المستترة في نفسوكم، على التفاصيل البسيطة.

أفتقدك يا جميلة.

***

المُلِح على الناس طلبًا للصدقة والإحسان

بقلم: ندى نبيل

الملح على الناس طلبًا للصدقة والإحسان في بلاد ما وراء المحيط، لا يختلفون كثيرًا عن أمثالهم في بلاد ما أمام المحيط. ففي الأول والأخير هم ملحون على الناس في طلب الصدقة والإحسان!

بعضهم تفوح منهم رائحة كريهة بشعة. وهناك المُلِحّ الأنيق الذي يجعلك محتارًا هل هو شحاذ أم لا، فتجده مغتسلًا متزينًا، ذا شعبية بالشارع، ولكنه مُلِحٌّ على الناس طلبًا للصدقة والإحسان، لأنه لا يعمل، بل إنه مجرد متسول يسأل كل عابر عن المال.

أيضًا هناك نوع من المُلِحين المتنكرين، تجده حاملًا حقيبة سفر، ويتقمص شخصية مسافر يحتاج مساعده مالية، لكن لماذا أنت موجود كل يوم عند نفس المحطة؟ ولماذا الشنطة قديمة وبالية؟ ولماذا لا تقبل أي مساعده غير مالية؟ (البعض يعرض علية شراء التذكرة له) لكنه يرفض بشدة، يطلب المال فقط ونقدي!

أما المُلِح المتعالي (التنك)، كتلك المرأة العجوز التي تجلس

على الرصيف في كامل أناقتها. عرضت عليها قطعه شكولاتة، فنظرت إليَّ وسألتني: «هل هي شكولاتة غامقة؟»

فتوقفت لبرهة، وقرأت الوصف على الشكولاتة، وأجبتها: «لا، إنها شكولاتة بالحليب»

فردت: «شكرًا، لا أريدها، إنها حلوة على ذوقي».

فأخذت يدي الممدودة بالشكولاتة، ومعي درس في العطاء. لا تعطِ ما لا تحتاج، بل تعطي ما يحتاجه الآخر!

هناك أيضًا ذلك المُلِحّ الذي لا يبدو شحاذًا ولا متسولًا، ولكنه عندما يرى شخصًا معينًا ذا صفات معينة (لم أستطع تحديد تلك الصفات المشجعة للشحاذ بعد) لكنه يأتي إليك وكله ثقة مبتسمًا ويقول: «هل لديك دولار لدفعه».

كان ردي: «نعم معي، سأشتري به أغراضًا من السوبر ماركت».

إلى أن عرفت أن هذه الجملة هي (كل سنة وأنت طيب) لكن الخاصة ببلاد ما وراء المحيط

أول مرة قيلت لي هذه الجملة لم أفهمها ولم أفهم لماذا يسألني إذا معي دولار؟!

- نعم لدى دولار لكن لا أريد صرفه عليك صراحة.

التبرع في بعض الأوقات، يأخذ شكلًا من أشكال الإلحاح، حينما تكون غير مستعد ماديًّا للتبرع، ولا هو الوقت، ولا المكان المناسب لجمع التبرعات، فتجد هؤلاء الملحين المرتبين ومصطفين في شكل تشكيل حركي عصابي، بغرض ألَّا يفلت منهم أيٌّ من المارة على الرصيف، فإذا أفلت من واحد فبالطبع لن تفلت من 12 آخرين مراقبين لكل حركاتك.

هناك أيضًا الملحين في طلب المساعدة، لمساعدة الكلب. إنه يلح على الناس لمساعدة الكلب فقط، دون الإلحاح على أي مساعدة شخصية له.

مُلِحّ عربة المترو، يقوم بتوزيع مناديل ورقية معها ورقة، فيها قصة حياته، وما هي الظروف التي جعلته مُلِحًا. لكنه يقوم بتجميع كل المناديل الورقية، والورقة المرفقة، قبل مغادرة عربة المترو. إذا أردت إعطاءه مالًا، تعطيه المال وهو يجمع المناديل الورقية.

بالنسبة لي، في رأى الشخصي، الشحاذ أو الملح في طلب الصدقة والإحسان، هو كل من يسأل على مال، وهو لم يقدم خدمة في المقابل. الزكاة والصدقات لها أماكنها المخصصة لذلك.

أيضًا إعطاء المال للشحاذين أحيانًا، يسهل علهم اتخاذ قرار، أن يكونوا عالة على المجتمع، من منطلق "أشتغل ليه؟ لما أنا، وأنا قاعد في مكاني، بعمل فلوس تعيِّشني مرتاح». الجمعيات الخيرية والدولة، تعمل على قدم وساق لمساعدة أي مستحق للدعم، لكن إذا كان هناك فرد في المجتمع، لا يريد مساعدة نفسه، فغيرك أكثر استحقاقًا للمساعدة عنك.

في بعض الأحيان تصبح الصدقة نقمة، لأنها تشجع أصحاب النفوس المريضة، على اختطاف الأطفال لإجبارهم، على العمل في التسول. الاتجار بالأطفال جريمة بشعة. إذا أردت حقًّا أن تساعد طفلًا يتم استغلاله في التسول، كلم خط نجدة الطفل أو الشرطة. لا تشجع أصحاب النفوس المريضة إنهم ينجحوا في ابتزازك نفسيًّا. نحن نستطيع أن نعيش في يوتوبيا من غير أطفال مستغلة في التسول. تخيل معي، أن أي متسول بطفل، تُطبَّق عليه

عقوبـة الحبـس في السـجن. وقتهـا المتسـولون سـتردعهم العقوبـة. بالتـالي آخـر جيـل للمتسـولين سـيفنى، ويُطـرح جيـل جديـد، مـن دور الرعايـة أو مـن المؤسسـات الخيريـة، نفسـهم عزيـزة لم يتـم الإتجـار بيهـم متعلمـين ومنتجـين. فقـط ملحـين في عمـل الخـير والمسـاعدة والعطـاء.

***

بركـة يا ست

بقلم د/ مها سامي

أتـى قـرص الشـمس متمهـلًا مـن بُعـد وبـدَّد زرقـة الليـل وظهـر النهـار آتيًـا عـلى اسـتيحاء ليبـدل لـون السـماء بزرقـة هادئـة ناعمـة ومعهـا أطلقـتُ لنظـري الحريـة ليحلـق بالسـماء ومـرت الذكريـات متلاحقـة أمـام عينـي كشريـط واحـد يحكـي لي عـن جـدتي محبوبتـي مَـن كنـت في كنفهـا طفلـة في منزلهـا المشـمس بـ «بيـت العرقسـوسي» بحـي السـيدة زينـب.

فقـد تركنـي والـداي عندهـا وسـعدت بطفولتـي هنـاك كـم كنـت أحـب الحـي، فالبيـت لـه معـمار فنـي رائـع وموقعـه مميـز، كان عـلى ناصيـة شـارعين ومكـوَّن مـن ثلاثـة طوابـق غـير الأرضي.

في الطابق الأول ماما «بيه» وبابا «نور» بيتي الثاني

في الطابق الثاني طنط «توحة» السيدة الجادة صارمة الملامح

في الطابـق الثالـث عمـو «محمـود» عاشـق الصيـد وصائـد ماهـر للحيوانـات والطيـور

أمـا الـدور الأرضي تسـكنه ماما «آكـت» السـت المصريـة الطيبـة الأم لكثـير مـن الأطفـال مكافحـة حقًّـا هـي وزوجهـا الموظـف البسـيط الـكادح الـذي كافـأه الله بنجـاح حيـاة أولاده ومنحهـم العلـم والحيـاة المميـزة والمسـتقرة الناجحـة.

أما جدتي فكانت بالمنزل المجاور لماما «آكت» بالدور الأرضي شقة صغيرة مكونة من حجرتين وحمام ومطبخ صغير كانت شبابيك البيت مُطلَّة على المدخل وعلى الشارع الخلفي للمنزل من الجهة الأخرى هي بوابتي الأولى للحياة كانت شبابيك ضخمة كبيرة لها حديد مزخرف أطلُّ من خلاله على العالم وتفاصيله.

فقد تركني والداي عندها وسعدتُ بطفولتي وكنت أحب الجيران جدًا، ولأنني بنت صغيرة لأسرة راقية كان الكل يرعاني ويحبني. أذكر جيدًا الست «حكمت» جارة جدتي كم كانت تحبني وكانت فجر كل يوم تخبز العيش وترسل لي منه كل صباح كان على شكل دوائر صغيرة حتى تتناسب مع صغر يدي وعم «أحمد» زوجها الذي كنت أناديه ليلًا ليفتح النور فكنت أخاف من الظلام فكان يجبيني «حاضر.. حاضر».

ويظل بجوار مفتاح النور حتى يتأكد أني ذهبت في نومٍ عميقٍ فيطفئ النور على تعليمات من جدتي وهكذا مرت أيامي بين أناس يحبونني ظننتهم كل أهلي وقتها، وكنت أحب صوت ماما «بيه» حين تنادي جدتي كل يوم بجملتها الشهيرة «سسكا ابعتي مها».. ها قد جاء وقتي الخاص معها أصعد السلم بسرعة لأصل لبيت «ماما بيه»- السيدة شلبيه القابلة بالقصر العيني - التي لم يرزقها الله بالأبناء وكنت أنا قرة عينها تفتح الباب وتستقبلني بحفاوة جمة وتطعمني طعام الغذاء اليومي (كتكوت مسلوق وشوربة وأرز أبيض وملوخية أو أرنب وأرز بالشعرية) وكان سعادة لي كبيرة حين تقول لي «لو خلصتي طبقك كله بابا «نور» هيجيبلك شيكولاتة» وبالفعل أسمع صوت خطواته على الدرج الرخامي وهو يصعد السلم تتهلل أساريري ويشرق

وجهـي فرحًـا بوصـول بابـا «نـور» زوجهـا وتظـل حيـاتي معهـم سـعيدة هكـذا حتـى يـأتي مولـد السـيدة زينـب يـا لـه مـن احتفـال كبـير ومهيـب يـأتي كثـيرون مـن كل قـرى وربـوع مـصر تظل السـيدة زينـب في احتفـالات حلقـات الذِّكـر حتـى يـوم المولـد والليلـة الكبـيرة طبعًـا ممنوع علـيَّ الخروج رغـم كل محـاولات أبنـاء الجـيران الذيـن يترجـون جـدتي لأخـرج معهـم لركـوب المراجيـح أو مشـاهدة الأراجـوز والسـير في المولـد عـلى سـبيل الفسـحة معهـم ولكنهـا ترفـض حتـى لا أتعـرض لـلأذى أو أتـوه فيظـل المشـهد المتـاح فقـط مـن الشـباك أو لمـا بابـا «نـور» يصحبنـي عـلى كتفـه لنتمشـى ليـلًا بـين حلقـات الذكـر والإنشـاد فـأرى مشـاهد رائعـة للذِّكـر والإنشـاد الدينـي والـكل يدعـو أمـام وداخـل المسـجد الكبـير للسـيدة زينـب ظـلَّ قلبـي معلقًـا بهـذا المسـجد حتـى يومنـا هـذا وأصبـح لي ملجـأ ومـلاذ كلـما ضـاق صـدري همًـا أو حزنًـا أو تحـيرت بأمـرٍ مـا.

والآن أفتقـد زيـارتي للمسـجد والصـلاه بداخـل صحنـة الكبـير الواسـع أو قـراءة القـرآن أمـام الضريـح وأدعـو الله بـكل مـا أريـد وأفصـح عـما بداخـلي لـربي الكريـم الـذي يسـمعني ويصفـي قلبـي ومعاناتـه وكلـما مـرت الذكـرى تتناغـم موسـيقاها مـع ابتسـاماتي عندمـا أتذكـر الرجـل الضخـم الجثـة قـوي العضـلات أبيـض الشـعر ذا الشـارب الكبـير الأبيـض الـذي وضـعَ الزمـن علاماتـه عـلى وجهـه، صاحـب النظـرة الحنونـة الناطقـة بخـبرات العمـر حـين يحملنـي عاليًـا ليقبِّـل وجنتـي فأعـترض فيحلـق شـاربه إرضـاء لي، وعنـد عودتـه باليـوم التـالي أسـأله أيـن شـاربك فيعـود ضاحـكًا «غلبتينـي» ثـم يتركـه لعـدة أيـام لينمـو وهكـذا تعـاد كـرة المـزاح بيننا كل عـدة أيـام إنـه بابـا نـور الـذي كان يسـعد بمزاحـي ويهـوي هـذا ويطاوعنـي في كل مـرة.

وعندما كبرت وصرت شابة ثم زوجة وأم عرفت جيدًا أن الحب الأبوي أيضًا غريزة غير قاصرة على القادرين على الإنجاب فقط أعطاني هذا الأب الروحي -رحمه الله- حبًّا وحنانًا وتربية الأب الحقيقي رغم قصر حياتي معهم بالمقارنة ببقائي ببيت والديَّ رحمهما الله.

تذوب وتتلاشى ابتساماتي مع أمطار عيني بالدموع ويتمتم لساني مرددًا كلمته المحفورة بذاكرتي..

بركة يا ست يا طاهرة

بركة ياستنا زينب

بركة ياااااست

***

أرواح طيبة

بقلم: مروة حسن

المشهد الأول:

اتعرفت عليها من فترة مش بعيدة أوي لما حصل الموقف ده، وفي مكان كان بيقدم نشاط ديني وتعليمي، المكان ده وناسه سايبين أثر جوايا لغاية النهارده حتى لما بقابل الناس دي دلوقتي بعد مرور سنين غيرت فيا وفيهم إلا إن نفس الذكرى الأولى بترجع بجمال نكهتها المميزة وعطرها اللي بينعش القلب.. هي كانت واحدة من مجموعة اتعرفنا وقربنا في فترة صغيرة وكانت جمعتنا كل أسبوع بنستناها من أول الأسبوع.. كان لقاء بيروي فينا عطش أرواحنا وبيحيي نفوسنا.. كانت علاقتي بالمكان وبيهم مميزة وما زال مكانها في القلب مميزًا.. حالة استثناية في وجودها جوه القلب.

هى: إنتي مالك النهارده؟

أنا: مش عارفة آخد أجازة من الشغل وعندي حاجات كتير لسه مخلصتش لتجهيزات فرحي.

(ده اللي أنا قلته وكان حقيقي لكن اللي مقدرتش أقوله إن اقرب صديقة ليا وقتها كانت بتتشاغل عني وكان ده أكتر وقت محتاجاها وده كان مضايقني ومش قادرة أقولها كده)

هي (بمنتهى التلقائية): طيب إحنا دلوقتي في بريك وقدامنا على الأقل ساعتين عشان نكمل وجنبنا محلات كتير ما تيجي دلوقتي نخلص كام حاجة من اللي ناقصاكي.

أنا (بنبرة فيها تردد لأنها أول مرة نخرج سوا ومحتاجة حد يكون فاهمني): هنلحق.

هي (بحماس): أيوه.. هنجيب اللي نقدر عليه.

أنا (وكأن حماسها اتنقلي): يالا بينا.

كنت حاسة في مشاركتها براحة وودٍّ.. كانت بتتكلم بصيغة الجمع لأنها مشاركاني فعلًا من قلبها.. وشُفت من جمال روحها مترجم في كلامها وتصرفاتها.. فاجأتني كأن معايا أخت مش صديقة.. كانت بتشوف الحلو واللي لايق عليا واللي يخليني أحلى وتشاورلي عليه.. انسجمنا أو تآلفنا ومسبتنيش يوم فرحي جنب أقرب المقربين ليا.. من الناس اللي توصلك مشاركتهم وفرحتهم كأنهم فرحانين لنفسهم مش لغيرهم..

حقيقي إن للقلوب لمسافات تقطعها تآلف الأرواح.

المشهد التاني:

يوم من أيام امتحاناتي ونزلت مستعجلة فنسيت ورقي اللي براجع منه وبما إني بصرية وبعتمد على الصورة اللي بتتسجل في ذهني بنفس شكلها اتوترت جدًا وكان لازم أرجع البيت أجيب الورق.. فطلبت العربية وسيبت المكان اللي هقابل فيه زمايلنا اللي بنروح الجامعة سوا واللي غيَّروا معاد نزولنا في آخر وقت في اللخبطة نستنى الورق..

ركبت وبقيت أقول كلام مشحون غضب وقلق ومش

مفهوم.. عايزة أروح البيت.. وبعدين عايزة أروح الجامعة.. طيب ينفع تكمل معايا المشوار.. طيب أنا امتحاني بعد ساعة من دلوقتي.. تفتكر هنلحق...

ديه الجمل اللي خرجت من بين عشرات الأفكار والمشاعر المتضاربة اللي جوايا.. عايزة أعبر عن غضبي وعايزة أسكت.. عايزة أفهمه إني مستعجلة ومفيش وقت.. ومش عايزة أضيع وقت أكتر في شرح.. جوايا كل حاجة وعكسها.. وكأني بقوله افهم انت بقي ووصلني في ميعادي من غير ما أقول ولا كلمة..

هو (بهدوء وسكينة الجدود رغم إنه في منتصف العمر تقريبا): الطريق من هنا للجامعة 35 دقيقة وهو بيوريني الطريق في الشاشة اللي قدامه.. يعني إن شاء الله توصلي قبل ميعادك بوقت كافي.

كأنه بيقولي اطمني..

هو: تحبي أقفل الراديو (إذاعة القرآن الكريم).

أنا: لا.. بالعكس خليه.

هو: أنا بقول كده برضه عشان تهدي.

وفعلًا بدأت أطمن وأهدا.. وكان هيعرض عليا يجيب لي ميَّه لما لاقني بشرب فعلًا قالي أنا كنت لسه هقولك ممكن أقف أجيب لك ميه.. بدأت أحس بلطف ربنا وتدبيره فسلمت باللي حصل واللي هيحصل بعد ما كنت في صراع مع الوقت وخناق مع أحداث الصبح.

هو ممكن السكينة تتنقل من شخص لشخص؟!!

هو(مسترسل بنفس النبرة المطمئنة): إنتي داخلة على حاجة مهمة يعني جنبي أي حاجة دلوقتي.

أنا (مقاطعة): أصل اللي حصل منهم الصبح مش وقته خاااا...

هو (مقاطعًا): سيماهم على وجوهم وإن شاء الله ربنا هيكرمك.

وتوقف الحديث بينا.. فكان للصوت الملائكي الصادر من الراديو الغلبة على ما يدور بداخلي

وسكنت معه مستمتعة بسلام النفس وركونها لكلام الله.. فلم أشعر بالوقت ولا بالطريق..

أنا (ومع اقترابنا من الجامعة): مش عارفة أشكرك إزاي.

هو (بصوت ضعيف): عليكي بـ «رب اشرح لي صدري».. وأنا اللي بعتذر.

أنا (مفهمتش هو بيعتذر عن إيه) إلا لما لاحظت إنه بيبكي!!!

هو:أنا بعتذر إن انفعالي سريع ودموعي قريبة.

أنا مش لاقية كلام أعبر بيه عن اللي حصل.. هو بيعتذر عن إنه إنسان وقلبه لسه حي وبينبض إنسانية.. أتأثر بموقف ضغط وتوتر لحد ميعرفوش وتواجد معاه بجد.. غرس معروف ونبت طيب في نفس وهيبقى ذكرى طيبة لروح طيبة.

ولا أملك إلا إهداء الدعاء بظهر الغيب.

كُن كريمًا في مــرورك فأكرم نفسك بطيب الوجود
تكن كريمًا مع الموجود ويطيب أثرك في النفــوس
فكُن روحــًا طيبــــة تغرس الطيب أينما وُجدت
حتى إذا جاء الحصـاد وجدته غرسًا في القلوب

***

البومة التي استيقظت صباحًا

بقلم: حنان نور الدين

المكان: حظيرة صغيرة تحتوي على بقرة وبضع دجاجات وديك

الوقت: بعد الشروق بقليل وضوء الشمس يتخلل سقف القش

الأيام: لا يهم أي يوم، فكل الأيام هنا متشابهة

الصمت يلف المكان

استيقظت البومة، وبصوت عالٍ صاحت متسائلة: لماذا الضوء ساطع هكذا، لن أستطيع الرؤية، ولماذا استيقظت في النهار!!!

ثم محدِّثة نفسها بصوت منخفض: تماسكي، لعله يوم واحد ولن يتكرر

وفي الغد نهارًا سأكون نائمة بالتأكيد.. نعم نعم سكون نائمة نومًا عميقًا، ثم تطمئن نفسها قائلة: لا داعي للقلق والخوف.

وفجأة تسمع أصواتًا فتقول مندهشة: ما هذه الأصوات!

البقرة: صباح الخير أيها الطائر.

البومة:....

البقرة: صباح الخير سيدتي الطائر.

البومة بتعالٍ: لست بطائر، لكن لا بأس بكوني سيدتك.

البقرة: لكنني أراك تطيرين.

البومة بثقة تقول: أنا بومة.

البقرة: صباح الخير سيدتي البومة.

البومة وقد نفد صبرها من تطفل البقرة:

سيحل المساء ولم أعرف بعد، لمَ تزعجينني بحديثك هذا!

البقرة وقد شعرت بالخجل تقول:

لأني رأيتك مستيقظة على غير عادتك فأردت أن أعرف ماذا حل بك. ثم باندهاش تردف البقرة قائلة: سيدتي ما لكِ تنظرين لي هكذا؟

البومة مستفسرة: إلى أين تذهبين؟

البقرة بحماس: إلى الحقل.

البومة بسخرية: بمفردك؟

البقرة:...

البومة مندهشة من صمت البقرة تقول لها: لماذا لا تجيبين؟

البقرة بهدوء تجيب: ولماذا أجيب على بديهيات بل أذهب مع الفلاح.

البومة: لكنك لتوِّك أعطيت لبنَكِ لزوجته..

البقرة متعجبة: وماذا في هذا!

البومة وقد استبدَّ بها الغيظ فتقول صارخة فيها: لماذا تستيقظين صباحًا مبكرًا فتهبينهم اللبن ثم تساعدينهم في الحقل.

البقرة بفخر: بل وأحمل معي ما آكله أنا وباقي الحيوانات عند العودة.

البومة مستفسرة بغضب: لمَ كل هذا الكد؟ وفي مقابل ماذا!

ثم تردف مقترحة: ألا تستطيعين أن تنامي وهم مستيقظون وعندما ينامون تستيقظين، وهكذا تتفادين كل هذا الكد والتعب؟

تلفتت حولها البقرة متحيرة، متفكرة، ثم بحزم تقول: أنا ذاهبة.

ولكنها تظل تفكر وتكرر كلام البومة

لماذا كل هذا الكد؟

البومة محدِّثة نفسها في قلق: آه يا ربي لو تكرر استيقاظي نهارًا، ماذا أفعل؟ هل أُجن مثلًا!

لا لا فلأصرف ذهني عن هذا القلق بالثرثرة

فتوجِّه كلامها للدجاجة قائلة: أنتِ أيتها الدجاجة بعدما تبيضين ويأكلون البيض على موائدهم في كل وقت، يذبحونك ويأكلونك أيضًا!

الدجاجة بفخر: لكنهم يطعمونني دومًا.

البومة: نعم لتسمني ويأكلونك، أرى ريش إخوتك مساء عندما أستيقظ.

الدجاجـة مسـتمية في الدفـاع: لكنهـم طيبـون، يلعبـون معـي ويحمونـني بعشـة مغلقـة دافئـة مليئـة بالطعـام.

البومـة بصـبر محاولـة توضيـح الأمـر لهـا: لئـلا يفقـدوا مصـدر طعامهـم، وليـس حبًّـا لـك.

لـو كنـت مكانـك مـا مكنتهـم منـي أبـدًا، ولتركـت هـذا البيـت بـلا خـوف ولا رجعـة.

الدجاجـة بفـزع: أتـرك البيـت إلى أي مـكان.. لا أعـرف لي بيتـا إلا هنـا؟

البومـة بحـماس: إلى الحقـول إلى الغابـات، مـا أدراني أنـا أيـن تذهبـين، المهـم ألا تُذبَحـي.

الدجاجـة وقـد بـدا عليهـا الضيـاع: لا أدري مـا الغابـات، مـاذا تقصديـن بتلـك الكلمـة الغريبـة؟

البومـة سـاخطة مـن سـلبية الدجاجـة تـصرخ فيهـا قائلـة: أوووو اصمتـي لا فائـدة مـن الحديـث معـك.

يصل إلى سمع البومة صوت صياح الديك..

كوووووكوووووو

تحدث البومة نفسها غاضبة: لا ينقصني إلا الصراخ.

لمـاذا أجـد في النهـار، كل هـذا الإزعـاج!!، ثـم تقـول بارتيـاح: الحمـد لله أننـي أنـام النهـار، فالليـل أكثـر سـكينة وهـدوء.

تنظر البومة إلى الديك وتسأله:

لماذا تصيح أيها الديك، على ما الصراخ والعويل؟

الديك: أنا لا أصرخ. أنا كوكو.

البومة مستهزئة تقول: يا صلاة النبي وما الفرق يا فالح؟

وإن كنت أرى أنك غير فالح.

الديك بثقة متناهية: كيف هذا أنا فالح قطعًا فأنا الديك.

البومة ساخطة تقول: اتلهي.

الديك: ماذا؟

البومة: أنت ديك مسكين تصيح لتوقظهم قبل الفجر.

وتحمي عُشش الدجاج بالصياح.. وأيضًا يذبحونك.

الديك مستفسر: وهل إذا صمتُّ نجوت؟

البومة حائرة: إممم أنا لا أعلم يقينًا ستنجو أم لا، لكنك عندها تكون فعلت ما يحلو لك، أنت لا هم.

ثم بغضب شديد تقول:

- ما هذه العبودية التي ترزحون تحتها ولماذا؟ أمقابل الطعام، الذي هو فتات موائدهم أساسًا، تحيون وأنتم تعلمون أنكم ستأكلون في أي وقت؟

يتساءل الجمع: طيب وأنت من أين تأكلين؟

البومة بفخر ترد عليهم وتقول: أطير مساء لأصطاد ما آكله فأنا حرة.

الجمع بتعجب: حرة! وما معنى حرة؟

البومة بتعالٍ ترد عليهم وتقول: حرة تعني أني لست بقرة، ولا دجاجة ولا حتى ديك أنا لست مثلكم.

قالت البقرة ساخرة: ولكنك تنامين طوال النهار.

البومة: لأن وقتي ملكي، أنام متى أحب ولا أستيقظ إلا عندما أريد.

وهـا أنـا استيقظت لأوقظكـم.. وقـد أنـام الآن، وعندمـا أسـتيقظ أجدكـم وقـد أُكلتـم وفنيتـم.

فنحـن نحيـا في عالمـين لا يلتقيـان أبـدًا، ورغـم أننـا نحيـا في نفـس المكان.

«الحرية خير يمكننا من التمتع بسائر الخيرات» قيل

***

خُطى الغد

بقلم: رغدة المصري

عـاش مـروان وحيـدًا في عـالم مـن الصمـت زمنًـا طويـلًا، يراقـب الزهـور والأشـجار في حديقتـه المنعزلـة، وكلـما نسـمت الريـح تمايلت الزهـور وفـاح عطرهـا ليبـث في نفسـه الأمـان، وحينـما يحـل الظـلام ينطفـئ العـالم مـن حولـه إلا مـن ذلـك العطـر الـذي يبقيـه حيـا.

اقـترب مـن نافذتـه الزجاجيـة وألقـى نظـرة أخـيرة عـلى ذلـك الجـسر الخـرب الـذي يفصلـه عـن العـالم الحقيقـي، حيـث بـدا لـه النـاس كشـمس متوهجـة في سـماء لا تصـل إليهـا يـداه، ثـم انطلـق إلى الجـسر معاهـدًا نفسـه أن لا تطـأ قدمـه هـذه الأرض مـرة أخـرى وأن مـع نهـار يـوم غـد سـيكون عـلى الطـرف الآخـر مـن الجسر أو راقـدًا في قـاع النهـر، لكنـه تجمَّـد في مكانـه وعينـاه مثبتتـان عـلى الجهة الأخـرى وكاد يتراجـع عـن العبـور فأغمـض عينيـه مـرددًا في نفسـه:

«خطوة تلو الأخرى.. خطوة تلو الأخرى».

مـدَّ يديـه نحـو حاجـزي الجـسر الـذي فتـك بـه الزمـن وتركـه عـلى حالـة يرثـى لهـا ثـم زفـر زفـرة أبعـد بهـا هواجسـه وخطـا خطوتـه الأولى نحـو المجهـول.

سـار عـلى الجـسر بأقـصى درجـات الحـذر وانقـضى النهـار بـين سـير ووقـوف إلى أن خيَّـم عليـه الظـلام واختفـى العـالم مـن حولـه

فوجد نفسه عالقًا في منتصف الجسر، مدَّ يديه المرتعشتين إلى جيبه يبحث عن زهوره وتسارعت دقات قلبه واضطربت أفكاره، وبعد لحظات من البحث اليائس أخرج أوراق زهوره ورفعها نحو أنفه يشتمها إلى أن امتلأت رئتاه عطرًا، لكن السكون لم يلبث أن زال وعصفت ريح بالجسر تؤرجحه بكل اتجاه فانكسر الجسر وتركته الريح معلقًا بأحد طرفي الجسر ليجد نفسه على حافة الهلاك.

أمضى ليلته يرتجف ألمًا وقد أعياه الانتظار، وبقي على حاله إلى أن تسلل الضوء إلى السماء على استحياء فالتفت يمينًا ويسارًا وهو يتساءل:

«إلى أي جانب ألقَى بي القدر؟»

لكن بدا كل شيء غريبًا مبهمًا ولا سبيل له سوى الصعود، اختار موضع يديه وقدميه بحذرٍ وظل يردِّد في نفسه:

«خطوة تلو الأخرى.. خطوة تلو الأخرى»

اقترب من الحافة وقد بلغ منه الألم كل مبلغ، لكن لم يكن الألم ليثنيه عن عزمه للوصول، فرفع جسده واستجمع قواه في قفزة أخيرة نحو الأعلى وتأمل العالم من حوله وهو يشعر بالدوار فأدار وجهه إلى الجسر المحطم يتبين موقعه فالتقطت عيناه تلك الوجوه المضطربة من بعيد، فعلم أنه عاد من حيث أتى.

يبدو أن تحطُّم الجسر قد أثار انتباه الجميع على الجانب الآخر فأبدى البعض منهم المودة، وبينما يلقون عليه التحيات كل صباح انشغل الجميع بإعادة بناء الجسر.

***

رحمة

بقلم: منى سالم

جلست «رحمة» على الرصيف تراقب والدها الذي انهمك في تنظيف السيارات القابعة أمام تلك البناية الضخمة في هذا الحي الراقي. كان والدها يعمل حارسًا لهذه البناية منذ عدة سنوات تزيد عن سنوات عمرها، فلقد نزح إلى القاهرة للعمل كحارس لهذه البناية بعد توصية من الحارس السابق لها الذي كان من نفس بلدته. وصل إلى القاهرة مع زوجته الحامل وهو يمنِّي نفسه بحياة سعيدة في المدينة خاصة بعد ما سمعه عنها من أبناء بلدته الذين سبقوه إليها، لكن تلك الأحلام السعيدة قد تبخرت بعد وفاة زوجته أثناء ولادة ابنته الوحيدة «رحمة» تاركة له الفتاة دون رعاية. لم يكن يستطيع العودة لبلدته فقد كان كما يطلق البعض «مقطوع من شجرة» أما عن أهل زوجته فلم يكن لها سوى عمة عجوز كانت تعيش معها قبل زواجها منه. ولولا تعاوُن سكان البناية معه وتعاطُفهم نحو تلك الصغيرة اليتيمة لما استطاع البقاء في وظيفته.

كان يقضي نهاره في تلبية طلبات أهل البناية أو «السكان» كما يطلق عليهم أو في تنظيف سياراتهم وكانت ابنته الصغيرة تعاونه على ذلك في سعادة ومرح، أما في الليل فكان يجلس معها

ليتناولا الطعام معًا وهو يقص عليها قصص مسلية ليعوضها عن انشغاله عنها ويعوض نفسه عن افتقاده لوالدتها.

جلست الصغيرة في الصباح على رصيف البناية مع والدها في انتظار موعدها مع صديقتها الوحيدة بهذه البناية. كانت أكبر من رحمة قليلًا وكانت الفتاتان تلعبان معًا منذ صغرهم حتى صارتا صديقتين. وعلى الرغم من اعتراض والدة صديقتها إلا أنهم استطاعتا البقاء على هذه الصداقة بفضل الوالد الحنون. كان طبيب أطفال شهير يتهافت الناس عليه من كل حدب وصوب لعلاج أطفالهم فلقد كان حنونًا وابتسامته لا تفارق وجهه فاستطاع أن يحقق ببشاشة وجهه ومهارته صيتًا محمودًا في مهنته.

كبرت الفتاتان وذهبت الصديقة -ابنة الطبيب- إلى المدرسة بينما ظلت «رحمة» مع والدها، وتقلصت لقاءاتهما حتى باتت نادرة الحدوث. وعلى الرغم من ذلك كان بينهما عهد غير مكتوب لم تستطع الأيام أن تنكله، فلقد كانت من عادة الصديقة أن تحضر لـ»رحمة» في نهاية الأسبوع قطعة من حلوى مميزة كتعبير عن صداقتهما التي لا تنساها أبدًا، وكانت «رحمة» تنتظر كنهاية الأسبوع بكل لهفة لترى صديقتها أولًا ولتحصل على حلواها المميزة ثانيًا. ظلت الصديقة على عهدها لسنوات لا تنسى ولا تكل من حلوى يوم الخميس حتى بعد أن أصبح لقاء صديقتها نادرًا فلم تعد تسأل «لم لا نلعب سويًّا؟» خاصة وهي ترى نظرات الوالدة الغاضبة كلما تحدثت مع ابنتها لذا اكتفت بنصيبها من هذه الصداقة وهو قطعة الحلوى.

كانت براءة الأطفال تمنعها من أن تلاحظ ما طرأ على صديقتها من تغيير. لم تعد تلاحظ شحوب وجهها ولا ذبول

عينيها ولا شعرها الطويل الذي أصبح يقل رويدًا رويدًا حتى أصبحت لا تخرج إلا بغطاء للرأس. كانت تخرج كل فترة مع والديها وتعود متعبة ومرهقة وأحيانًا كانت تغيب عن البيت عدة أيام إلا أنها لم تنسَ يومًا عهد الصداقة بينهما. ومرت الأيام وخرجت صديقتها مع والديها كعادتهم في صباح يوم خميس شتوي بارد. انتظرت «رحمة» عودة صديقتها لتعطي لها حلواها كعادتها ولكنها لم تعد معهم إلى البيت. ظنت أنها ستقضي عدة أيام كعادتها ثم تعود كما كانت تفعل ولكنها لم تعد. كان الكثير يتوافدون إلى بيت الطبيب، يرتدون جميعًا ملابس قاتمة اللون والحزن يعلو وجوههم ولكن الصغيرة لم تفهم شيئًا ولم تجرؤ على السؤال عن صديقتها خوفًا من الأم الغاضبة.

وجاء الخميس التالي ورأت «رحمة» والدة صديقتها في ثوب قاتم وبملامح مرهقة ومتعبة وهي تخرج من البناية وتنظر يمينًا ويسارًا كأنها تبحث عن شيء ما. جرت الصغيرة واختبأت خلف إحدى السيارت حتى لا تراها وأخذت تراقبها في انتظار رحيلها لتخرج من مخبئها بسلام ولكن المرأة لم تتحرك. استدعت المرأة الحارس وأخذت تتحدث معه. ظنت الصغيرة أنها تنهره عن لعب صغيرته مع ابنتها كعادتها ولكن مهلًا أين ملامحها القاسية ونظراتها الجامدة؟ ولم تتحدث مع والدها بهذا اللين؟ تحرك والدها من أمام المرأة وعبرَ الطريق واتجه نحو البقعة التي كانت تجلس فيها وأخذ يبحث عنها حتى وجدها مختبئة ثم أخذها من يدها واتجه نحو المرأة الواقفة على الرصيف المقابل. التصقت به الصغيرة خوفًا من العقاب، وعندما وصلا مالت نحوها زوجة الطبيب وعلى وجهها ابتسامة تراها لأول مرة ربتت على شعرها وهي تبتسم لها والدموع في عينيها. ثم

أدخلت يدها في حقيبتها وأخرجت ثوبًا جميلًا يشبه أثواب ابنتها الراحلة. أخذت الطفلة الثوب في سعادة واحتضنته ثم ذهبت على الفور لترتديه ثم عادت لهم والفرح يتطاير من عينيها اتجهت نحو أبيها بجوار المرأة التي أخذ ينظر لها في سعادة ممزوجة بحزن، وعندها مدت المرأة يدها نحو حقيبتها لتخرج حلوى تشبه تلك التي كانت تحضرها ابنتها لها في نهاية كل أسبوع.. حلوى يوم الخميس.

***

الميراث الملعونِ

بقلم: د. رانية مصطفى محمود

«يـا لهـا مـن فتـاة جميلـة، لقـد ورثـت ملامـح والدتـك، عينيهـا الواسـعتين، بشرتهـا البيضـاء وشـعرها الأشـقر الناعـم، سـأطلق َعيهـا اسـم «أمـيرة» فهـي تبـدو كالأمـيرات»

«توقـف، أريـد أن أسـترح قليـلًا فأنـا متعبـة مـن تلـك الـولادة المتعـسرة.»

خـرج الـزوج مـن الغرفـة لكـي تحظـى زوجتـه نبيلـة ببعـض الراحـة تـاركًا أميرتـه الصغـيرة نائمـة بجوارهـا كالمـلاك.

حاولـت نبيلـة أن تنـام لكـن طفلتهـا الصغـيِرة أرادت بعـض جرعـات الحـب لكـي تبـدأ رحلتهـا في ذلـك العـالم القـاسي بلمسـات مـن الحنـان والرحمـة.

التقطتها الأم في تردد وقلبها يرتجف.

ذكريـات خاطفـة تظهـر كالـبرق ثـم تختفـي تاركـة قلبًـا أصابتـه الصاعقـة فانشـق لنصفـين.

تتذكـر نبيلـة أمهـا ذات الأصـول الأوروبيـة التـي تبـدو كتمثـال مـن الشـمع الأبيـض.

عيناها الواسعتان التي طالما نظرت إليها لتخبرها في صمت

«كم أنتِ قبيحة، لا يمكن أن تكوني ابنتي، كم أكرهك»

لم تختر نبيلة أن تحصل على ملامح والدها، ولم تختر أن تكون كما هي.

لقد اختارتها الأم لكي تقوم بدور الخادمة بعدما رفضت قبولها كابنة، فالبنت الجميلة فقط هي من يحق لها أن تحظى بكل شيء أما هي فلا تصلح إلا لأن تتقن أعمال المنزل.

لم تحاول نبيلة الاعتراض فهي ترى الجميع يتسابق لنَيْلِ ودّ الأخت الجميلة والتقرب منها بينما يرمقها الآخرون بنظرات الاستهجان والشفقة.

يحاول البعض مواساتها بكلمة «سمراء لكنها جميلة» وكأن كلمة سمراء تعني نفي الجمال.

كم أنا محظوظة! فقد تم استثنائي من القبح الذي يلازم لون البشرة السمراء!

لم يخطر لها يومًا أن ترتدي كأختها واكتفت بالملابس التي تظهرها كالخادمة

لقد أخبرت صديقتها المقرَّبة بأن تلك المرأة ليست أمها الحقيقية إلى أن علمت صديقتها بالحقيقة واتهمتها بالكذب وفارقتها، فشعور أنها يتيمة وتعمل عند إحدى السيدات كان يخفف عنها الألم الذي تشعر به عندما تقارن نفسها بأختها التي تشبه الأم إلى حدٍّ كبيرٍ وتحظى بكل الحب والتدليل، كما أنه يخفف من وطأة الغضب الذي تشعر به تجاه أمها فتُحدِّث نفسها بأنها يجب أن تشعر نحوها بالامتنان لأنها تطعمها!

قاطعت تلك الذكريات الأليمة صراخ «أميرة» التي حاولت الأم أن تطعمها لكنها لم تقبل.

حاولت نبيلة لكن الطفلة تذوقت طعم المرارة في جسد أمها فأبت أن يكون أول ما يستقبله جسدها هو طعم الكراهية.

أخذ عقل «نبيلة» المتألم قرارًا خفيًّا بالانتقام من الأم التي أعادها إليها القدر في صورة ابنتها الرضيعة.

أخذت نبيلة النمط التقليدي لزوجة الأب التي تحاول أن تفسد العلاقة بين الأب وابنته لكيلا تنافسها امرأة أخرى على حب واهتمام زوجها.

استسلم الأب لتعليمات الزوجة التي تملك إشباع احتياجاته وتتحدث دائمًا بالقيم والأخلاق؛ فكلما حاول الأب أن يقترب من ابنته أخبرته زوجته بأنه سيفسدها بالتدليل الزائد وستظن أنها مميزة وسترغب في الرجال لتجلب لنا العار مثلما فعلت إحدى قريباته من قبل وقرر الزوج عدم الإنجاب ثانية خوفًا من احتمال إنجاب ابنة تحمل هي الأخرى لعنة الجمال!

تملَّك الخوف والشك قلب الأب من تكرار ما شعر به من قبل من شعور بالخزي والعار فكان ينهال عليها بالضرب عندما ترتكب أي خطأ صغير وعندما كانت تلجأ للأم كانت تخبرها بأنها هي السبب فيما يحدث لها وأن الله سيعاقبها على ما تفعل من أخطاء تجاه والديها وتتركها لتصارع المزيد من الألم والخوف من جزاء عقوق الوالدين!

كثيرًا ما كانت أميرة تتخيل أن هناك ملاكًا يفتح لها جناحيه ليحتضنها حتى تستطيع أن تنام.

لم تستطع أميرة أن تركز في دراستها فقد كانت كثيرة الشرود والانفصال عن الواقع فأطلق عليها الجميع لقب «الأميرة الشاردة».

وكان ذلك هو تمامًا ما تحتاجه الأم ليكون لها سببًا جديدًا في التنمر عليها.

وأصبحت العصا هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين أميرة وأسرتها إلى أن ظهر لها ذلك الملاك الحارس الذي طالما حلمت به.

إنه خالها الذي عاد من الخارج ليستقر في الشقة المجاورة لها مع زوجته المصابة بالسرطان.

لم يكن له أبناء وكان في الخمسين من العمر.

خالها الذي كلما سمع صوت صراخها جاء لينقذها من الاعتداء.

طلب الخال من الأم أن يساعد أميرة في الاستذكار وتقوم هي بمساعدته في الاعتناء بزوجته المريضة فكانت تقضي يوم الجمعة مع الأسرة الصغيرة في المنزل المجاور.

شعرت «أميرة» بالحب والأمان للمرة الأولى منذ ولادتها فقد كان يحتضنها ويشتري لها الحلوى ويعاملها برفق وحنان لم تشهده طوال سنوات عمرها السبع.

تعلقت به وأصبحت تجتهد في الاستذكار حتى تحصل على قُبلته الحنونة وحضنه الدافئ

فكلما زاد أذى الأم، ازداد احتياجها إلى الحب والأمان.

إنه يهتم بما تقول، ينظر إلى عينيها عندما تتحدث، يثني على بشرتها الناعمة وشفتيها الرقيقتين.

عندما يحتضنها يمتزج صوت الفطرة بداخلها الذي يحدثها بأن هناك شيئًا ما غير صحيح بصوت الحب والراحة الذي يسري داخل جسدها كالمخدر لألمها المزمن.

لا تريـد أن تفهـم مـا يحـدث وتحـاول الابتعـاد عـن أي معلومـة قـد توضـح لهـا الحقيقـة التـي يعلمهـا جسـدها الصغـير.

إنها تحتاج لتلك اللحظات احتياجًا يفوق احتياجها للحياة.

تتضـور جوعًـا إلى الحـب والأمـان لأنهـا لم تتذوقـه منـذ أن خرجت إلى ذلـك العـالم القـاسي الخبيث

إنه لا يؤذيها ودائمًا ما يقوم بسؤالها قبل أن يقوم بأي شيء.

«هـل تريديـن حضـن خالـك الـذي لا يحـب أحـدًا في ذلـك العـالم كـما يحبـك»

هكـذا كان يقـول لهـا دائـمًا ولم تستطع لمـرة واحـدة أن ترفـض مـا يقـدم لهـا مـن وجبـة تسـد رمقهـا للحظـات، تعـود مسرعـة إلى المنـزل وهـي تصـارع شـعورًا يمتـزج فيـه الخـوف مـع السـعادة والحـب مـع الخـزي والعـار.

لم يحـاول أن يتخطـى ذلـك الحـد أبـدًا، لكنـه أصبـح يتجنـب النظـر إلى تلكـما العينـين اللتـين تتحدثـان بالضعـف والعجـز لكيـلا يفسـد لحظتـه.

اسـتطاعت أمـيرة أن تخمـد ذلـك الصـوت بداخلهـا بالتكـرار والتعـوُّد والإنـكار فأصبحـت لا تشـعر بـشيء عـلى الإطـلاق.

لا تعرف هل تحبه أم تكرهه!

كل ما تعرفه هو أنها أصبحت بلا إرادة أمامه.

تـوفى الخـال بعـد عـدة سـنوات وشـعرت أمـيرة براحـة وسـعادة لم تتوقعهـا.

حاولت أن تبكي لفراقه لكنها لا تشعر بالرغبة في البكاء.

لقد تحررت من الآسر واستعادت حريتها.

بدأت في التقرب إلى الله والاستغفار فقد كبرت الطفلة واستوعبت حقيقة ما كان يحدث

يلاحقها شعور دائم بالخزي والندم وجلد الذات فهي تظن أنها من دفعته إلى ذلك، فقد كان يسألها في كل مرة وكانت توافق.

لم يكن خطأه إنما بسبب جسدها الفاجر الذي يطلب الاحتضان طوال الوقت.

قامت بقص شعرها الطويل واعتكفت داخل المنزل لا تفعل شيئًا إلا الصلاة والتهام الطعام لتسكن من ألمها.

لم تتركها الأم فأصبحت تتنمر عليها بسبب زيادة وزنها وأنها ستجلب لهم العار بسبب تطرفها وأنها منضمة لجماعة سرية تقوم بالتخطيط لشيء ما.

ثم بدأت تشك أنها كانت على علاقة بأحدٍ ما وغرر بها وأنها فقدت عذريتها حتى أقنعت الأب أن يذهب بها إلى الطبيبة لكي يتأكد أنها لم تجلب له العار.

لن تنسى أبدًا ذلك الشعور القاتل بالقهر والعجز والمهانة وهي تتعرى أمام أحد ما بينما يقوم الأب والأم بتكتيفها وشل حركتها.

ولن تنسى أبدًا نظرة الإحباط في عين والدتها عندما أكدت الطبيبة أنها ما زالت عذراء!

مرت سنوات قليلة تصارع فيها أميرة ما تشعر به من رغبات ممزوجة بطعم الخزي فرفضت الخروج من المنزل أو الاختلاط بالآخرين.

أخبرت الأم الجميع بأن هناك من أطلق عليها السحر وقررت الذهاب بها إلى من يرفع عنها «الجن» الذي تم تسليطه

عليهـا، تبـدو وكأنهـا تحـاول أن تسـاعدها ولكنهـا فقـط وجـدت سـببًا جديـدًا لكـي تبـدو أمـام الجميـع كالأم المكلومـة حتـى تلحـق بهـا المزيـد مـن الألم.

لم تجـد «أمـيرة» حـلًّا أمامهـا إلا أن تذهـب إلى المدرسـة لتكمـل دراسـتها الثانويـة حتـى تتخلـص مـن وصمـة السـحر.

رأته فتجدد أنينُ قلبها للحظات الحب المسروقة..

أنه أستاذ اللغة العربية الذي يكبرها بثلاثين عامًا

فتحـت عينيهـا لتجـد نفسـها في أحضانـه وهـو يحـاول أن يقـوم بإنعاشـها

تمنـت لـو يتوقـف الزمـن عنـد تلـك اللحظـة التـي شـعر فيهـا قلبهـا بالأمـان بـين ذراعيـه

«ماذا حدث؟»

تساءلت بدهشة مفتعلة فردَّ مسرعًا:

«لقـد جئـت لكـي تسـأليني عـن الـدرس، ولكنـك أخبرتنـي فجـأة أنـك تشـعرين بالـدوار فأسرعـت لالتقاطـك حتـى لا ترتطمـي بـالأرض».

نظـرت إليـه تلـك النظـرة التـي لا يسـتطيع رجـلٌ أن يقاومهـا وقالـت لـه بصـوت خافـت:

«أشكرك لأنك قمت بإنقاذي من السقوط»

وكانـت تلـك هـي شرارة البـدء التـي خلعـت فيهـا أمـيرة رداء التقـوى لتحـل عليهـا لعنـة إدمـان الحـب.

استدرجته أميرة لكي يستدرجها لأحضانه.

لا تملـك مـا تشـترى بـه لحظـات الحـب والراحـة والأمـان إلا

عندما تقدم جسدها للآخرين كما علمها الذئب الذي استغل جوعها لكي يستدرجها لفخه فيقتات على جسدها الصغير.

تترك عالمها المؤلم لتتحول لفتاة ليل لا تتقاضى أجرًا إنما تتقاضى شعورًا مؤقتًا بالقبول والحب المزيف لترتدي ملابس العفة عندما يأتي النهار وكأن روحًا شريرة قد تلبستها فأفقدتها إرادتها.

«مَن أنت؟»

تتساءل في المرآة وهي تبكي

ليتها تستطيع أن تنسى ما تفعله تلك المرأة الأخرى التي تسكنها

ليتها أصيبت بفقدان مؤقت للذاكرة

لا يخفف من الألم الذي يخترق قلبها إلا ألم المشرط الحاد الذي يخترق بشرتها

تبحث عن أماكن جديدة للجروح حتى لا يلاحظها أحد، ولكنها لا تجد

«أعتقد أن الوقت قد حان لكي يتوقف ذلك الألم للأبد»

لقد أصيب قلب الأم بالتسمم وانتقل السم إلى قلب أميرة حتى لم يعد هناك حل آخر إلا القيام بعملية البتر لإنقاذ تلك الطفلة المسكينة.

بترٌ لن يتم إلا عن طريق رسالة رثاء تنعي فيها الأميرة أمها التي فقدتها وتفرغ بها كل ما يحمله قلبها من مشاعر تحرقه كسُمٍّ قاتلٍ تجرعته لسنوات حتى أفتك بقلبها المسكين.

رسالة إلى أمي المفقودة:

لم تموتي بعد، ولكن لم يعد بإمكاني الاحتفاظ بك داخل قلبي

في حقيقة الأمر لقد فقدتك منذ سنوات عديدة ولكنني لم أعلم الحقيقة إلا الآن

لقد وضعت على عيني تلك النظارة السوداء حتى لا أرى وجهك الحقيقي

فأنتِ مصدر الرحمة والأمان فكيف تراك عيناي مصدرًا للقسوة والألم

إذا هما عيناي اللتان لا بُدَّ وأن أقوم بالاستغناء عنهما حتى لا أتألم

أعميت عيني حتى لا أراك بذلك القبح وأسقطت ذلك القبح على نفسي

ولكني أعميت عيني أيضًا عن رؤية العالم من حولي فتخاطفتني الذئاب الجائعة

وضعت نفسي في قفص الاتهام بدلًا عنك وحكمت على جسدي بالتشويه بدًلا من أن أقوم بتشويه صورتك داخل قلبي.

لم أكن لأتحمل تلك الحقيقة وقلبي ما زال هشًّا ينمو فحفظه الله بغشاء خفي حتى لا يتفتت من قسوتك

فأدراك معنى الرحمة هو الحبلُ الذي يعيد الروح إلى خالقها ولو بعد أمدٍ طويلٍ

لقد حافظَ عقلي على صورتك كأُم حتى لا أفقد معنى الرحمة فأفقد طريق العودة إلى الله

والآن وقد أصبح قلبي قادرًا على إدراك رحمة ربي، فأنا مستعدة الآن لرؤية الحقيقة والخروج من السجن ولكنني لن أضعك مكاني، فقط سأغادره بلا رجعة.

أنها حقيقة مؤلمة للغاية، حقيقة موت الرحمة في قلب من

اختصها الله لتخرج الحياة من رحمها.

يربط بيني وبينك حبل خفي فإن أصيب قلبك بالتسمم أصبت أنا الأخرى بنفس السم ونقلته إلى أبنائي

والآن أجد نفسي مجبرة على قطع ذلك الرابط ويداي ترتعشان.

وداعًا يا أمي

وداعًا يا أكثر من أردت حبها في ذلك العالم

أتمنى أن يغفر لك الله خطيئتك

ولكني أريد أن يشهد العالم ما حدث وما يحدث بين جدران الغرف المغلقة حتى يقرر أحد ما أن يهدم صرح الإساءات العظيم الذي تم ميراثه لينتقل من جيل إلى الآخر أملًا في أن ينتهي الظلام يومًا ما وتعود الفطرة السليمة لقلوب البشر.

***

من أول نظرة

بقلم: رضوى أحمد

استيقظت وكانت حائرة لدرجة أنها لم تدرك الوقت وأنها استيقظت قبل ميعادها بساعة. لقد أنهكتها الأفكار وكعادتها استشارت كل من حولها مما زاد الأمور تعقيدًا. لو لم تذهب قد تخسر فرصة جديدة لم تكن تعلم عنها شيئًا إذًا؛ فعليها أن تخوض التجربة على سبيل الفضول، ولكن خوفها من الرفض أو الخذلان جعلاها تتردد.

ارتدت فستانها المفضل وتعطرت بالعطر الذي طالما ادخرته للمناسبات الخاصة. ألقت نظرة إلى مرآتها وقد غمرها الرضا والزهو وقالت لنفسها: (أنتِ تستحقين).

ذهبت إلى المقابلة محاولةً أن تجد أيَّ عذرٍ يمنعها من الذهاب. فهي تشعر بإحباط شديد وخيبة أمل. دائمًا يداهمها شعور أنها في المكان غير المناسب، لقد اعتادت أن تنجز أعمالها على أكمل وجه وينسب الفضل لغيرها. فهي الوحيدة دون زميلاتها رغم تميُّزها، مادة سخرية من مديرها ضعيف الشخصية الذي كان يخشى من خياله. ورغم ذلك كان لا يتردد في إحراجها وتعمد التقليل منها خاصة في حضور غرباء داخل المكتب. ونظرًا لخجلها الشديد

وحساسيتها المفرطة كانت تأخذ موقفًا بعد فوات الأوان أو تنفجر لأتفه الأسباب.

وصلت قبل الميعاد بنصف ساعة لتجده في انتظارها. رجل أربعيني زادته عظام وجنتيه العاليتين وسامة. يزينه شعره الفضي ولحيته متوسطة الكثافة. استقبلها بابتسامته الودودة ولم ينتظرها بمكتبه بل ذهب لاستقبالها في قاعة الانتظار مما زاد من دهشتها.

وما إن مدَّا يديهما ليتصافحا حتى سرت القشعريرة في جميع أنحاء جسدها. فلأول مرة تشعر بهذه الأحاسيس. أحست بعطره يغمر أنفاسها. بشرته السمراء أعطتها شعور القوة. عيناه كانتا تتفحصانها بكل دقة وحب كأنهما يسألانها (أين كنتِ؟) غمرتها ابتسامته ودفء سلامه. أطالا المصافحة وهو ناظرٌ لها ثم سدت لحظة صمت رهيبة وعيناهما لا تفارقان بعض. حتى إنها لم تشعر بيدها وهي تسحبها من يده وتعلو وجهها الحمرة الشديدة وكأنها ذات ال 16 عام.

تكلما عن كل شيء وتبادلا الضحكات. كانت تضحك كالطفلة الصغيرة على جميع تعليقاته. لم يفت عليها نظراته لها وإعجابه بحركاتها العفوية والطفولية عندما سقط منها قرطها الكبير الذي تزينت به ونزلت لتلتقطه في مشهد كاريكاتوري.

نظرت إليه لتجده يقاوم ضحكاته في ابتسامة تعلو وجهه مما زاد من شعورها بالخجل.

كانت نظراته لها ومحاورته معها تنم عن ذكائه الشديد وقوة شخصيته. لقد بذل كل حيلة لتطويل وقت المقابلة لأطول فترة ممكنة. لم يسمح لعينيه أن تترك عينيها العسليتين اللتين لمعا بمجرد رؤيته للحظة. لقد سحرته من أول نظرة. تحدَّث معها

عـن كل شيء وكأنـه أراد طمأنتهـا ليقـول لهـا (لقـد حـضرت يـا صغـيرتي، لـن أتـركك أو أخذلـك).

ظلـت تحكـي معـه كالطفلـة الصغـيرة التـي شـعرت بالتميـز عـلى أقرانهـا عـن جميـع نقـاط قوتهـا وتميزهـا. وقـد تحولـت طاقتهـا مـن رافضـة للوظيفـة إلى منتهـى الإصرار والحـماس للالتحـاق بالوظيفـة. مازحتـه وأضحكتـه بخفـة دمهـا مـما جعلـه شـديد الإعجـاب بهـا.

لم يـرد أن تنتهـي المقابلـة لـولا أنـه نظـر إلى سـاعته ليتفاجـأ أن المقابلـة اسـتغرقت سـاعة ونصـف وقـد كان المقـرر لهـا نصـف سـاعة فقـط. أراد أن يفيـق نفسـه مـن هـذه الحالـة الغريبـة التـي سـيطرت عليـه منـذ أن رآهـا.

نزلـت مـن مكتبـه وهـي هائمـة تضحـك مـن قلبهـا وتسـترجع كل مـا حدثـث. تسـتمع لأغـاني (اليسـا) في سـيارتها ولا يـدور في بالهـا سـوى كيـف ستسـتعد للمقابلـة القادمـة.

***

رجل بلا حلم

بقلم: علياء أسامة أيوب

إحباط غاضب حاصره هذه المرة فتراجع الفضول والغيرة والحزن وحتى التجاهل الذين رافقوه طوال أعوامه الخمسين.. أول ما يذكر من طفولته أنه سأل كما يسأل الصغار في دهشة وانبهار عن أي شيء وكل شيء، محاولين اكتشاف ذلك الكون الهائل المخيف والمحبَّب بانتظار لحظة تضعهم في مصاف الكبار الذين يمتلكون مفاتحه. سأل وألحَّ في السؤال دون أن يلقى إجابة شافية وحزن من معايرة العيال فربتت أمه على كتفه.. واسته وقالت إن هذا هو شأن العيال كل العيال في كل زمان ومكان سيجدون ما يعيرونك به فلا تبكِ ولا تظهر لهم ضعفًا وابحث أنت أيضًا عما تعيرهم به. لم يكن مصطلح التنمر قد ظهر لكنه تبادل ممارسته مع الأقارب والجيران وزملاء الفصل. ومع بداية كل مرحلة يختبر المشاعر نفسها من جديد.. الفضول والغيرة والحزن في مواجهة الدهشة والسخرية والأسئلة المكررة.. كيف لا تعرف الأحلام؟ ألم تختبرها ولو لمرة واحدة؟ لا لا أنت أكيد تمزح.. هل أنت جاد فعلًا؟ ماذا تفعل إذًا في ساعات نومك؟ آاآه لا بُدَّ أنك تنشغل بأكل الأرز مع الملائكة..

تتكرر الأسئلة ويعود الفضول لمعرفة ما تعنيه الأحلام كيف

يـرى الشـخص مشـاهد في نومـه؟ كيـف يـرى ويسـمع وحواسـه مغلقـة خاضعـة لسُـلطان النـوم؟ كيـف تكـون جـودة الصـورة؟ كيـف يتحـوَّل عقلـه لشاشـة عـرض لفيلـم هـو مؤلفـه ومخرجـه وبطلـه؟ كيـف يختـار مـسرح الأحـداث وزمنهـا وأبطالهـا؟ هـل يستدعي لقطات مـن واقعـه أم أنهـا محـضُ خيـالٍ لعقلـه الـلا واعي؟ فضـولٌ يطـرح عـشراتٍ مـن أسـئلة بـلا إجابـة ويدفعـه للبحـث دون جـدوى عـن عـالم الأحـلام. قـرأ مـرة أن الأحـلام هـي انعكاسـات لحيـاة الشـخص وأفـكاره ومخاوفـه وقـرأ أن بعـض الأحـلام تحمـل رسـالات مخفيـة وبعضهـا لا شيء، بعضهـا وردي حـالم وبعضهـا كوابيـس كئيبـة. تراكـم الحـزن في قلبـه مـع كل فشـل في الوصـول إلى إجابـة وطافـت بـه الغـيرة مـن هـؤلاء الحالمـين رافعـي شـعار اللهـم اجعلـه خـير يـارب.

كـبر.. تخـرج.. التحـق بوظيفتـه الحكوميـة.. تـزوج.. مـلأ الأولاد بيتـه الصغـير.. عمـل بوظيفـة إضافيـة.. سـنوات مـرت اصطنـع فيهـا التجاهـل لأزمـة عمـره وعقدتـه التـي حملهـا سرًّا عـلَّ القـدر ينصفـه ويمنحـه حُلـمًا واحـدًا يجـبر خاطـره المنكـسر ويمـلأ سـاعات نومـه الخاويـة.

واليـوم مـلأه الإحبـاط والغضـب حـين أفـاق مـن غفوتـه الصباحيـة في الأتوبيـس المزدحـم الـذي يسـتقله مـن الموقـف طمعًـا في كـرسي يجـاور الشـباك فيحظـى بسـاعة نـوم إضافيـة حرمـه منهـا صـوت الجـدة المتحمسـة لحلـم حفيدهـا الشـاب يحكـي فتُوقِفـه تسـأله عـن تفصيلـة لم يذكرهـا أو تجاوزهـا سريعًـا والشـاب الواقـف إلى جوارهـا يجيـب باسـتفاضة عكـرت يومـه.

تخلى عـن سندوتشـات الفـول الصباحيـة واكتفـى بكـوب شـاى مـع بقسـماط مـن الفـرن القريـب مـلأ الاوراق المكدسـة فـوق مكتبـه

في صمـت. وعـلى غـير عادتـه اسـتأذن في الانـصراف مبكـرًا ولم يذهـب لعملـه الإضـافي تسـكع بـلا هـدف فقادتـه قدمـاه لحارتـه القديمـة تعذِّبـه ذكريـات شـباب ولى فغـيَّر الزمـن ملامحـه وملامـح الرفـاق القدامـى تجمعـوا دون ميعـاد عـلى القهـوة استرسـل في الكلام حتـى اعـترف كان بحاجـة للاعـتراف للفضفضـة للتخلـص مـن عـبء شـعوره بالحرمـان كان حزينًـا بصـدق وفـرت دمعـة مـع كلمتـه الأخـيرة تبعتهـا لحظـات صمـت انقلـب ضحـكًا هيسـتيريًا مـن أحـد الجالسـين الـذي قـال اطمئـن صرنـا جميعًـا مثلـك؛ نصفنـا يعـاني مـن الأرق ونصفنـا ينـام نومًـا ثقيـلًا مرهقًـا.. نومًـا لا يعـرف الأحـلام.

ليلتهـا ضبـط نفسـه يبتسـم ورأسـه يلامـس وسـادته أغمـض عينيـه ونـام مطمئنًـا لا ينتظـر حلـمًا.

***

حفلة سينما

بقلم: بسمة توفيق

كان والدها يخشى عليها ذلك المكان المظلم.. البنات عيب يروحوا السينما.. فعاشت عيناها معلقتين بكل اللافتات والصور المرسومة لأبطال الأفلام.. في صغرها، تصورت أن الناس وُلدوا أبيض وأسود، ولم تعرف، لم يجِبها أحد متى مسهم سحر الألوان..

وفي صباها الشهي الذي لم يخلُ من براءة ضفائر معقودة تباهت والدتها بطولها بين الجارات، وحلمت هي بأن يفكها شبيه لأحمد رمزي أو عمر الشريف، خرجت من المدرسة خلسة، وكان في استقبالها أول ولد أخبرها بأنها جميلة على الطريق إلى مدرستيهما المتقابلتين، خرجا معًا، عانقت الكتب في خجل، وربطت نظرها بالأرض، أما هو فقد أعد نفسه لأول لمسة لأصابعها وكفها الرقيق، وربما أول قُبلة مسروقة هناك أمام الشاشة الكبيرة - حلمها-. وصلا إلى السينما القريبة، وعلى بُعد خطوات مما اعتبرته نافذة العالم السحري - شباك التذاكر-، رآها أخوها الأصغر، فأوسع فتاها ضربًا.. وحظيت هي بعلقة ساخنة، فنسيت أن تسأله ماذا كان يفعل هناك مع فتاة أخرى،

وتحطم الحلم بركلة من شقيقها، فلم تدخل أبدًا إلى غرفة السينما المظلمة الملأى بالعفاريت التي تخيف الفتيات.

مرت السنوات سراعًا.. أُعلنت خطبتها.. وافقت على الخطبة بدون تردُّد رغم شرط ترك الجامعة، عل القادم الجديد يحقق حلمها في دخول القاعة الظلماء، لكنه لم يفعل.. ولم ينتبه لعينيها المعلقتين لأعلى.. لأفيش الفيلم الذي تزامن مع ارتدائها الخاتم.. «أمهات في المنفى».. ولم يكذب العنوان.. فقد تزوجت.. وسرعان ما امتلأ بطنها وتكوَّر.. زوجها كأبيها لا يدخل السينما يقول أنها كانت وسيلته لمعاكسة الفتيات وسماع آهات ماجدة وهي تنادي: ممدوح.. وأيضًا.. الأمهات لا يدخلن السينما.. السيدات المحترمات لا يدخلن السينما.. زوجات الموظفين لا يدخلن إلى السينما.. البيت يحتاج إلى كل تدبير بالمصروف.. سافر الزوج وقد منحها أولادًا، ومع ذلك، لم يفك الضفائر وإنما قصها الزمن والركض والزحام..

انتقلت من بيت إلى بيت إلى آخر تقابله سينما.. وهناك فوجئت أنها لم تعد تلك الصبية.. ولم تعد تعرف كثيرًا من الممثلين الجدد لكن البريق القديم لم يخبُ.. وبين فينة وأخرى.. يتغير الأفيش ويكبر الأولاد مع كل فصل وفيلم جديد.. وعيناها لا تبرحان صور الأبطال، وتتصور القصة وشكل القاعة من الداخل.. ترى كيف هو شكلها؟؟!

كبر الولدان.. مات عنها السجان بعد عودته من الغربة مريضًا.. صارت حرة لتدخل السينما لكنها خافت.. لم تدخل.. خافت ظلام الداخل.. وكلام الناس، البنات لا يدخلن السينما.. لكنها لم تعد من البنات، أصبحت خالة وأمًّا وجدة.. وتكلفة التذكرة أصبح أولى بها ثمن العلاج.. تزوَّج الابن الأكبر..

وكسر قلبها عندما قرر الهجرة.. أما الثاني الصغير.. فزواجُه كان يتوقف على بيت.. وافقت أن يعيش وعروسه معها في شقتها.. الشقة الواسعة المطلة على السينما.. ومرت الأيام.. ولم تعد تنظر إلى صور الأبطال الشباب.. قهرها المرض والوحدة وجحود الابن وزوجته حتى وجدت نفسها في الشارع بلا مأوى.. بلا شيء سوى كيسٍ من الأدوية وحفنة جنيهات.. ومر عليها في الشارع ما مرَّ من وقت لم تعده حتى أتاها إنقاذ الله.. شاب صغير ورفاقه.. قصَّت عليهم حكايتها وهي تبكي دون دعاء على ولدها.. رافقوها إلى دار الرعاية.. حجراتها تظلم ليلًا وأحيانًا نهارًا، ولكن الأولاد فيها خيِّرون طيبون.. لا يكفون عن سؤالها عما تريد.. وهي حقًّا لا تعرف.. منذ زمن لم يسألها أحدٌ عما تريد وتتمنى وتشعر.. ماذا تريدين يا حاجة ليلى؟ سؤال أُعيد أمامه شريط العمر الضائع واستحال إلى رماد، إلا ومضة من حياة وأمل جعلها تقول باسمة: أريد الذهاب إلى السينما..

***

لكن معها قلب

بقلم: أحمد نجيب

دخـل صـلاح وابنـه «عـلي» إلى إحـدى المكتبـات لـشراء لـوازم بدايـة السـنة الدراسـية مـن أقـلام ومسـاطر وكشـاكيل وكراسـات وغيرهـا.

تنـاول عـلي سـلة ليضـع فيهـا مـا يقـع عليـه اختيـاره مـن أدوات لازمـة لـه.

أخـذ «عـلي» يتنقـل مـن رف إلى آخـر ويلتقـط مـا يريـد ويضعـه في سـلته، وبينـما يـذرع «صـلاح» المكتبـة جيئـة وذهابًـا يتأمـل مـا فيهـا مـن هدايـا مكتبيـة طريفـة كالسـاعة ذات المينـاء الأزرق وأخـرى بهـا عصفـور يغـرد كل نصـف سـاعة والأباجـورات التـي تنحنـي عـلى المكتـب لتوفـر القـدر الـلازم مـن الإضـاءة وغيرهـا ممـا يـروق لصـلاح تأملـه والوقـوف عنـده.

عندئـذٍ أطلـق عصفـور السـاعة تغريـدةً تشـير إلى السـاعة العـاشرة مسـاء، اقـترب أحـد العـمال بالمكتبـة مـن «صـلاح» ونبهـه أنـه لم يتبـقَّ مـن الوقـت إلا حـوالي عـشر دقائـق بعدهـا تطفـئ المكتبـة أنوارهـا وتغلـق أبوابهـا إيذانًـا بانتهـاء العمـل بهـا.

نـادى «صـلاح» عـلى ابنـه «عـلي» ليختـم جولتـه الشرائيـة، بينـما بـدأ عامـل المكتبـة في تخفيـض الإضـاءة بهـا وجـر بابهـا نحـو الأرض

ليصل إلى ثلثي ارتفاعه مغلقًا وإذا بطفل يريد أن يدلف مما تبقى مفتوحًا من الباب ليدخل فيمنعه العامل، لكن صاحب المكتبة الحاج «محسن» يلمحه فيشير للعامل أن يسمح للطفل بالدخول.

يرحب صاحب المكتبة بالطفل:

- «عمر! أهلًا يا عمر. كيف حالك؟»

- عمر: الحمد لله يا عم «محسن». ممكن أخذ أقلامًا وكشاكيل بسرعة؟

«محسن»: طبعًا. لكن بسرعة يا «عمر» في أقل من دقيقتين يلتقط «عمر» ما يريد ويتوجه إلى الخزينة حيث يجلس الحاج «محسن»، يضع «عمر» مشترياته أمام صاحب المكتبة ووراءه يقف «صلاح» وابنه «علي»، يعدد الحاج «محسن» مشتريات عمر:

«6 كشاكيل» بثلاثين جنيه

«3 أقلام جاف» بستة جنيهات

« قلمان رصاص» بجنيهين.

«ممحاة» بجنيه واحد.

إذًا الحساب تسعة وثلاثون جنيهًا يا عمر يدفع عمر ورقة نقدية من فئة الخمسين جنيهًا إلى الحاج «محسن» ويتسلم باقي النقود وينصرف.

يطلب «علي» من والده مفتاح سيارته ليخرج ويجلس فيها منتظرًا والده حتى يفرغ من حساب مشترياته.

- يبدأ الحاج «محسن» يعدد مشتريات «علي».

18 كشكول بـ 270 جنيه، 6 أقلام جاف بـ 36 جنيه ويستمر «محسن» في سرد بقية المشتريات وإثبات أثمانها، يسترعى انتباه «صلاح» أن الحاج/ محسن قد بالغ في أسعار المشتريات فيسأله.

- «ما ثمن الكشكول»؟

- «خمسة عشر جنيهًا»

- «وما ثمن القلم الجاف»؟

- «ستة جنيهات».

يحمر وجه «صلاح» من الغضب وقد تأكد أن «محسن» يخدعه ويبالغ في أسعار المشتريات ويستغله

فيتوجه إليه بسؤال ويجز على أسنانه ويكتم غيظه.

«أتبيع للناس بذمتين؟» ألم تحسب الكشكول بخمسة جنيهات والقلم الجاف بجنيهين لذلك الطفل الذي خرج لتوه من المكتبة؟»

يجيبه «محسن»: تمام يا سعادة البيه حسابك صح: لكن هذا الطفل طفل يتيم، مات أبوه منذ سنتين ونحن في الحي هنا نعرفه ونعرف عائلته فإن له أخوين غيره يصغرانه في السن، وقد حاولنا أنا وغيري من أصحاب المحلات هنا أن نساعدهم بألا نأخذ منهم ثمن ما يشترون منَّا فأبت أمهم وردت إلينا ما أرسلناه إليهم من أشياء كانوا يطلبوها. فأصبحنا نأخذ منهم مقدار ثُلث ثمن ما يشترون من باب جبر خاطرهم وحفظًا لماء وجوههم خاصة الأطفال.

فهي والله ذمة واحدة يا سعادة البيه لكن معها قلب.

غمغم «صلاح» معتذرًا بعد ما دفع ثمن مشترياته وانصرف.

***

اختلاس

بقلم: أحمد نجيب

دخـل الصيدليـة ليـصرف روشـتة عـلاج حررهـا لـه طبيـب الأمـراض الباطنـة كعـلاج لسـوء الهضـم وانتفـاخ البطـن. يجـد امـرأة واقفـة قبلـه عـلى الكونـتر تـصرف روشـتة عـلاج لابنهـا المصـاب بنوبـات صرع متقطعـة يقـف في دوره بعدهـا ريثـما يجمـع الصيـدلي علـب الـدواء مـن الأرفـف المرقمـة ومسلسـلة الحـروف الأجنبيـة ويحسـب عـلى الآلـة الحاسـبة ثمـن هـذا العـلاج فيكـون مجموعـه مائتـين وثمانـين جنيهًـا.

تمـد يدهـا إلى جيـب العبـاءة التـي ترتديهـا والتـي رقشـها الـتراب وبقـع الدهـون فتخـرج منديـلًا ورقيًـا أبيـض اللـون ملفوفًـا كأنـه ورقـة عنـب محشـوة وتخـرج مـا بـه مـن نقـود وتعدهـا قبـل دفعهـا إلى الصيـدلي فـإذا بعدتهـا مائتـان وعـشرون جنيهًـا لا غـير، يصيبهـا الارتبـاك والحـرج يلمـح الرجـل الـذي يقـف وراءهـا ذلـك فيـدس يـده بسرعـة خاطفـة إلى جيبـه فتخـرج ممسـكة ورقـة نقـود مـن فئـة المائـة جنيـه يطبقهـا عشـوائيًا ويضغطهـا بيـده ثـم يلقيهـا بجـوار قدمهـا اليمنـى، وينـادي عليهـا منبهًـا.

«يـا سـت هنـاك نقـود سـقطت منـك وأنـت تخرجـين المنديـل مـن جيبك» .

يخرجها صوته من حيرتها لتنحني فتأخذ ورقة النقود الملقاة بجوار قدمها، وتحملق فيها وتفردها لتتبين قيمتها غير متأكدة من حقيقة ما قاله عنها، لكنها على أي حال تمثِّل بالنسبة لها طوق نجاة من الغرق في بحر الخجل والحرج.

تدفعها إلى الصيدلي ليكون مجموع ما معه ثلاثمائة وعشرين جنيهًا. يناولها الصيدلي كيس العلاج وأربعين جنيهًا بقية الحساب. تأخذ ذلك وتستدير خارجة من الصيدلية مختلسة نظرة ملؤها الامتنان والشكر والعرفان بالجميل مع شعور بالجرح والانكسار يخفف من وطأته على نفسها إلهاء الرجل نفسه عن متابعتها وانشغاله بتقديم روشتة إلى الصيدلي ليصرف له ما فيها من الأدوية والعلاج.

الحلم

بقلم: أحمد نجيب

ملَّت سلوى من الانتظار، فزوجها لم يعد بعد وهي وحدها في شقتها الفسيحة بأثاثها الفاخر ومصابيحها المتلألئة، ولكل حجرة من حجراتها سمتها والديكور الخاص بها، لكن نصيب الأسد من ذلك التأنق وهذا الاهتمام إنما هو لحجرة الأطفال الذين لم يحن وقتُ مجيئهم بعد رغم مرور أكثر من عشرين عامًا على زواجهما ومع كل المحاولات والعديد من الزيارات لعددٍ غيرِ قليل من الأطباء الذين دائمًا ما يؤكدون أن كلًّا من «سلوى» وزوجها «محمود» لا يشوبه عيب ولا ينقصه شيء حتى ينجب إلا مشيئة الله وقدره. لسنوات تجلس «سلوى» كلَّ يومٍ بعد العصر على أريكة الصالون الرئيسية لترى أمامها أمنية حياتها ومنتهى أملها أطفال يحيطون بها وتبدأ هي تحادث نفسها:

كانوا سيصبحون رجالًا ونساء تتزاحم حولهم أطفالهم عندما يأتون لزيارتها يجرون ويتصايحون، يظهرون ويختفون يندفعون نحوها يعانقونها ويقبلونها فتخرج لهم أصناف الحلوى ولعب الأطفال توزعها عليهم وهي جالسة على أريكتها حيث تراهم جميعًا وتتحدث إليهم. لا يخرجها من هذا العالم الجميل إلا صوت زوجها «محمود» عندما يرجع من عمله قبيل المغرب

فيطبع على جبينها قُبلة حانية لتهب بعدها تعد المائدة لتناول الغداء فتكون فرصة لتجاذب أطراف الحديث حول اليوم وأحداثه ثم يجلسان لمتابعة بعض البرامج على قنوات معينة يروق لهما برامجها، وما يلبثان حتى ينشغلا عما يتابعان من برامج بالدخول إلى عالمهما المحبب: عالم الأطفال الذي ينتظران كلمة القدر ليعيشا فيه ويقضيا بقية العمر معه، فهما في جلساتهما يستشرفانه بكل جوارهما وجميع شعورهما، فيتحاوران عن نوع الطفل الأول وعن اسمه، عن سنته الأولى فالثانية، عن حبوه ثم عن مشيه، عن نُطقه بكلماته الأولى يناديهما وعن جمال لغته وهو يتعثر في نطق كلمتي «بابا» «ماما» عن تعليمه ومدارسه ثم عن جامعته عن زواجه ثم عن ذريته حتى يصيرا جدين ينعمان برؤية أحفادهما، ويظلان في عالمهما الحالم هذا حتى يخلدا إلى النوم على ضي الأماني في جوف ذلك الحلم..

التجربة

بقلم: مي مصطفى كامل

أشرقت شمس ديسمبر خجلى ترسل أشعتها الباهتة على وجوه لم تذق طعم النوم ليالي طويلة طال السهد والانتظار لخبر رجوع أمجد لعالمنا عالم الأحياء..

ليالٍ ثلاث قضاها والده ووالدته في غرفه الانتظار في حالة من القلق والجزع والدعاء المستمر بعد أن علموا بتلك الحادثة المروعة التي كادت تودي بحياته..

أمجد الآن بين يدي الرحمن الجميع تلهث قلوبهم وألسنتهم بالدعاء له يصلون من أجل عودته لكل من يحبه..

بدأت تلك الأحداث منذ عدة أيام..

(٢)

كم أتمنى أن أرى أفكار الآخرين.. كم أتمنى أن أرى خواطرهم وأفكارهم وأمنياتهم وأحلامهم..

هكذا بدأ المشروع، مجرد حلم الطالب في نهائي طب وصديقه مهندس الإلكترونيات..

قال الدكتور ماهر لصديقه المهندس أمجد: لَكَمْ أتمنى أن

أغوص في أعماق العقل البشري وأعلم كيف يفكر المرء وكيف يعمل العقل.

فأجابه صديقه أمجد وأنا أتمنى أن يتحول العقل للوحة مفاتيح نتحكم فيها بالتأكيد سيكون التعامل مع البشر أسهل وقتئذ بدون تعقيدات المشاعر وتخوفات الحاضر والمستقبل وآلام الماضي وجروح الطفولة لكل منا..

(٣)

مرت سنين وبقي حلم الصديقين يراودهما كلما تحدثا سويًّا كيف يجتمع الطب والهندسة لتحويل العقل البشري للوحة مرئية..

يومًا تحدث أمجد مع صديقه ماهر عن فكرة مجنونة تفتك بخلايا عقله كيف نزرع رقاقة معدنية في عقل إنسان تجعلنا نرى ما بداخله وهل هناك حلٌّ جراحي يجعل تلك الفكرة قابلة للتنفيذ وإن توفرت الرقاقة وأمكن إجراء عملية جراحية لزراعتها أين نجد ذلك المتبرع المجنون الذي يتبرع بعقله للبحث العلمي..

مرت شهور أخرى وكلاهما يبحث عن الحل كل في تخصصه..

قام أمجد بالعديد من الأبحاث في مجال الإلكترونيات لصناعة رقاقة صغيرة الحجم ثم طورها لجعلها أكثر نعومة ومرونة ورقة حتى لا تحدث أي تلفيَّات في الخلايا الدماغية أثناء زراعتها وتواجُدها في المخ..

أما ماهر فكان يبحث في الميدان الطبي عن المكان الأنسب

داخل المخ لزراعة الرقاقة في الجزء المسؤول عن التفكير وصياغة القرارات والأحلام والأهداف والذكريات..

(٤)

وجاء ذلك الحادث المروع بعد أن سلَّم أمجد صديقه ماهر الرقاقة في شكلها النهائي خلاصة تجارب وأبحاث سنين من التعب والسهر وظلَّ الجزء الأخير أن يجد ماهر المتبرع ويقوم بزراعتها داخل عقله وتبدأ التجربة..

جاء ذلك الحادث المشؤوم ليهدّ أحلامهم وطموحاتهم في النجاح والشهرة..

دخل أمجد سيارة الإسعاف مصابًا إثر حادث سيارة إصابة بالغة في قدمه اليمنى والرضوض والكدمات والسحجات في جميع أنحاء جسده لكن لسوء الحظ العضو الأكثر تضررًا كان المخ فالارتطام أحدث تجمعًا دمويًّا يضغط بشدة على الأوردة الدقيقة في المخ ويؤثر بشكل مباشر على مركز الذاكرة والتركيز..

(٥)

مرت عدة ليالٍ ولم يفق أمجد من غيبوبته ولم يحدث أي تطور يعطي والديه وصديقه بارقة أمل في شفائه..

هنا خطرت في عقل ماهر خاطرة غريبة لماذا لا يكون أمجد المتبرع نفسه ما الضير في زراعة الرقاقة في عقله وإنقاذ حياته، لقد كان يهتم ويحلم بنجاح التجربة التي تمثل لهما معًا حلم الطفولة والشباب وقد عكف سنين طويلة في المعامل والمختبرات

مـن أجـل صناعـة تلـك الرقاقـة وتجهيزهـا لتكـون قابلـة للزراعـة في العقـل البـشري.

ومـادام هـو في حالـة حرجـة قـد يفقـد فيهـا قدرتـه عـلى الحركـة والتركيـز وقـد يفقـد ذكرياتـه لمـاذا لا يهـب صديقـه الفرصـة في النجاة بزراعـة تلـك الشريحـة وبرمجتهـا بـكل ذكرياتـه هـل هـذا مخالـف للـشرع هـل هكـذا يسـلب رفيقـه حقـه في القـرار والموافقـة..

ظـلَّ ماهـر يفكـر طويـلًا فهـو في حـيرة مـن أمـره لا يسـتطيع التصريـح لأحـد خشـية سرقـه التجربـة وضيـاع تعـب أمجـد كل تلـك السـنوات وأيضًـا خوفـه مـن أن يلحـق الـضرر بصديـق عمـره..

ظـلَّ ماهـر يفكـر يومـين لم يـذق طعـم النـوم ولم يفـارق صديقـه جلـس بجانبـه في غرفـة العنايـة المشـددة يشـكو لـه مـا يجـول بخاطـره ويبـوح بخوفـه ورغبتـه الدفينـة فـلا يوجـد شـخص آخـر يسـتطيع التحـدث معـه..

وبعـد سـاعات طويلـة مـن الاسترسـال في الحديـث ارتفـع أزيـر الأجهـزة معلنًـا عـن تغـيرات في رسـم المـخ لـدى أمجـد كأنـه يسـمع صديقـه ويعطيـه الإذن والموافقـة؛ فالقلـب كـما هـو يعمـل بالأجهـزه ولا يوجـد أي تغـيُّر آخـر..

هنـا اتخـذ ماهـر القـرار فليكـن مـا يكـون سـيخضع أمجـد للعمليـة ويقـوم بزراعـة الشريحـة كـي ينقـذ صديقـه وينقـذ التجربـة ويومًـا مـا سيشـكره رفيقـه عـلى فعلتـه تلـك..

(٦)

أعلنت ساعة العناية عن تجاوز منتصف الليل فقام ماهر وطلب من الطاقم الطبي بتجهيز غرفة العمليات لإجراء جراحة دقيقة لإزالة التجمع الدموي للمهندس أمجد في السادسة صباحًا..

أرسل ماهر رسالة نصية لوالد أمجد يخبره بوجوب خضوع أمجد لجراحة عاجلة لإزالة التجمع الدموي من المخ لأنه يضغط بشدة على الأوردة المحيطة مما قد يؤدي لتلفٍ وقصور في الخلايا الدماغية.

وأنه سيصاحب رفيقه في الجراحة وطلب منه الدعاء له بالنجاة والسلامة، ثم أغلق هاتفه وقام ليستعد للعملية.

خطوة تفصله عن إنقاذ صديقه وتحقيق حلمه أو ضياع كل شيء للأبد..

قضى ماهر ما يقرب للعشر ساعات في غرفة العمليات. خرج مجهَدًا وأخبر الجميع أن أمجد سيقضي ٢٤ ساعة في العناية قبل أن يستيقظ فلا داعي للقلق والاستعجال.

أخبر الممرضة أنه سيذهب للراحة في غرفته وأن عليها البقاء بجوار أمجد والرجوع إليه فورًا في حالة حدوث أي تغير.

مرت الدقاق بطيئة لم يغمض لماهر جفن وهو يفكر فيما سيحدث والعواقب المترتبة على قراره..

بعد مرور ٣ ساعات من التفكير المضني فقدَ الأمل في النوم وقرر البقاء بجوار أمجد..

ذهب لغرفته وأخرج الممرضة. جلس يعاين الأجهزة ويتأكد من عدم وجود أي أخطاء أو تطورات..

(٧)

أصـدر أمجـد همهـة خافتـة فتسـارعت دقـات قلـب ماهـر وهـرع إليـه وجـده لم يكتمـل وعيـه بعـد ولكنـه في الطريـق لاسـتعادته تسـارعت دقـات قلبـه وغمـر العـرق جبينـه ودارت عينـاه في جميـع الاتجاهـات تأكـد بلهفـة أن جميـع المـؤشرات في وضعهـا الطبيعـي.

أصـدر أمجـد أنينًـا وهـو يسـأل أيـن أنـا ومـاذا حـدث آخـر شيء أذكـره صـوت المطـر الكثيـف عـلى زجـاج السـيارة، ثـم صـوت الارتطـام ثـم تداخلـت الأصـوات والأضـواء وأظلـم كل شيء.

فقـال لـه ماهـر والدمـوع تترقـرق مـن عينيـه حمـدلله عـلى سـلامتك يـا أخـي لقـد كان حادثًـا مروعًـا وكتـب الله لـك النجـاة فأجـاب أمجـد بوهـنٍ: سـعيدٌ لأنـك أول مـن أرى يـا صديقـي. واستسـلم للنـوم مـره أخـرى.

مـر يـوم اطمـأن فيـه الجميـع عـلى شـفاء أمجـد وأخـبر ماهـر والـده أنـه سـيحتاج لبعـض الوقـت والعـلاج حتـى يسـتعيد عافيتـه وأنـه لـن يتركـه طـوال رحلـة العـلاج.

في اليـوم التـالي وقـد استسـلم ماهـر للنـوم منهـكًا عـلى الأريكـة بجـوار صديقـه.. واسـتيقظ عـلى صـوت أمجـد يطلـب مـن الممرضـة الجلـوس فتهللـت أسـاريره وصـاح: حمـد لله حمـد لله يـا صديقـي لقـد أنعـم الله علينـا مرتـين.

فأجات أمجد ضاحكًا: وكيف مرتين؟ لقد كان حادثًا واحدًا.

فأجـاب ماهـر بعـد خـروج الممرضـة شـارحًا لصديقـه كيـف أثَّـر الحـادث عـلى المـخ ومركـز الذاكـرة وأنـه قـد قـام بزراعـة الشريحـة المبرمجـة لينقـذ صديقـه مـن فقـدان الذكريـات وأكمـل في خجـل تشـوبه رنـة الاعتـذار: لقـد شـعرت أنـك سـترغب مثـلي في معرفـة

نتيجة أبحاث السنين ولا يوجد شخص سوانا يحرص على نجاح التجربة.

فردَّ أمجد: خيرًا فعلت يا صديقي أنا أثق بك وبمهارتك كطبيب فلتكن تلك الخطوة الأولى.

أيام قليلة حتى أستعيد عافيتي وأنتقل للمرحلة الثانية.

أسعد ماهر رضا صديقه عن قراره وأثلج قلبه الذي كان يرتعد خوفًا من غضبه أو فشل العملية، وها قد منَّ الله عليه بالاثنين فلنكمل المسيرة ونهدي العلم اختراعًا يغير شكل جراحة المخ والأعصاب..

بعد أسبوع من العلاج المكثَّف خرج أمجد من المستشفى رغم اعتراض صديقه، فقال: أشعر بالملل وأحتاج بشدة لأجهزتي وغرفتي.

ولا تقلق لن أجهد نفسي وسأنتظرك يوميًّا في المساء..

أذعن ماهر لطلب صديقه ووافق على عودته للمنزل..

أما أمجد فكان يفكر في شيء آخر..

(٨)

أما وقد كتب له الله أن يكون هو المتبرع وصاحب التجربة لِمَ لا يضفي عليها بعض التعديلات فقد سار لديه جزء إلكترونيا بداخل عقله فليستفد منه أقصى استفادة ممكنة..

وبالفعل بدأ فور عودته للمنزل بتوصيل الشريحة المعرَّفة بالفعل على جهاز الكمبيوتر الخاص به وشرع في إدخال بعض التطوارت والتحديثات عليها..

تخـوَّف قليـلًا في البدايـة خشـية أن يشـعر بـالألم لكنـه لم يحـدث وقـد شـجعه ذلـك لإجـراء المزيـد مـن التحديثـات..

بقـي شيء لم يـصرح بـه أمجـد لماهـر في جلسـتهم اليوميـة فكـرة عبقريـة أراد أن يختبرهـا أولًا ثـم يعلـن عـن صلاحيتهـا..

وبعد يومين من العمل والبحث الدؤوب

ضغـط أمجـد زر التشـغيل... وبهـذا أعطـى عقلـه أو الشريحـة الصغـيرة المختبئـة فيـه أمـرًا بقـراءة أفـكار الآخريـن عـن طريـق قـراءة لغـة الجسـد والتنفـس والحـرارة تقـوم بتوقـع مـاذا يفكـر فيـه الطـرف الآخـر.

وبدأت اللعبة أو التجربة..

في البدايـة شـعر أمجـد بالتوتـر حـين دخـل والـده الغرفـة فسـمع قبـل أن ينطـق أبـوه: هـل تريـد أن تـأكل وكيـف تشـعر؟؟

ممـا جعـل أمجـد يرتبـك لأنـه يسـمع الـكلام مرتـين.. لكنـه سرعـان مـا اعتـاد الأمـر بـل وقـام بتعديلـه لحـذف الصـوت وربطـه بهاتفـه المحمـول ليصبـح رسـالة نصيـة يقرأهـا فـلا يشـعر بالارتبـاك والتوتـر حـين يسـمع الـكلام مرتـين.

مرة داخل عقله ومرة من أذنه..

كتـم أمجـد الـسرَّ عـن الجميـع حتـى ماهـر شريكـه في التجربـة فقـد كان مسـتمتعًا بقـراءة أفـكار الآخريـن ورأى في ذلـك الكثير...

كيـف أن والـده يعـاني مـن أزمـات صحيـة شـديدة ويكتـم عنـه الخـبر حتـى يتعـافى مـن الحـادث ويطمئـن عليـه..

والدته لا تفكر في شيء سوى سعادته وأن ترى أولاده..

كيـف لم يشـعر مـن قبـل بهـذا المقـدار مـن الحـب والاهتـمام

وأمضى الكثير من الوقت في غرفته بين أجهزته وأهمل والديه ورعايتهما وهو ابنهما الوحيد..

أما صديقه ماهر فكان دائمًا ما يقرأ خوفه وتساؤلاته عن نجاح التجربة التي لا يصرِّح بها أبدًا حتى يطمئن على صديقه واكتشف أمجد كمًّا مهولًا من تأنيب الضمير لدى ماهر لكونه اتخذ قرار بداية التجربة وحده ورغم ذلك لم يصرح له كيف استفاد منها..

أسابيع قليلة استعاد فيها أمجد عافيته وعاد للعمل ومنذ اليوم الأول وهو يشعر بالإنهاك الشديد ولم يكن السبب الحادث إنما أفكار الآخرين.

فالجميع يكذب وينافق وتلك تتحدث مع الأخرى عن صديقته لهدف بغيض

وهذا يتقرب من المدير بالهدايا والأكاذيب ليحصل على منصب معين لا يستحقه.

بعد عدة أيام أصبح الوضع فوق الاحتمال فقد ضاق صدر أمجد بمعرفة ما يدور بعقول الآخرين وشعر أن ما كان يحلم به شيئًا بغيضًا..

حتى جاء ذلك اليوم حيث حضر ماهر لزيارته والاطمئنان على صحته فقرأ ما يدور بخلد ماهر من تساؤلات حول نجاح العملية والقلق الذي يساوره والخجل من سؤال صديقه.

فأجابه بدون تردُّد: العملية ناجحة لكنها ابتلاء شديد يا صديقي..

شعر ماهر بالذهول فلم يكن تفوه ببنت شفة بعد.. وأدرك أمجد أنه أجاب قبل أن يسأل ماهر

فاعتذر أنه أخفى عليه التطورات فقد كان يخشى الفشل..

وأخـذ يـسرد كل مـا مـر بـه، وكل الأسرار التـي كشـفت عـن طريـق التجربـة وقـام بقرائتهـا في عقـول الآخريـن

كيـف علـم بخيانـة البعـض وحقـد وبُغـضٍ آخريـن وكشـف عـن مقـدار مهـول مـن النفـاق في التعامـلات بـين البـشر.

صحيـحٌ أيضًـا أفادتـه التجربـة في التقـرب مـن والديـه وقـد كان مبتعـدًا عنهـم مهمـلًا لاحتياجهـم إليـه..

ووفاء صديقه وإخلاصه..

لكـن في النهايـة تعميـم التجربـة ضرر أكثـر بكثـير مـن فوائـده لذلـك فقـد قـرر التوقـف عنهـا والخضـوع لعمليـة جديـدة لإزالـة الشريحـة مـن رأسـه..

طأطـأ ماهـر رأسـه مجيبًـا: معـك كل الحـق يـا صديقـي، لقـد أغوانـا العلـم والتكنولوجيـا ونسـينا أن الله قـد سـتر تلـك الأفـكار وجعلهـا محجوبـة عنـا لكـي يحمـي سـتر العلاقـات ويبقـى الوصـال والتسـامح بـين النـاس ويجعـل التراحـم بينهـم عبـادة يتقربـون بهـا إليـه..

هـز أمجـد رأسـه مؤكـدًا: نعـم يـا صديقـي.. لـو علمتـم الغيـب لاخترتـم الواقـع..

لا يجب علينا انتهاك سترٍ سترَ الله به عباده..

وأغلقا سويًّا ملف تلك التجربة للأبد

ستر الله نفوسنا وعقولنا وأفعالنا وعوراتنا

اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض..

***

قلبك النور

بقلم: أنور صبري

- ألف مبروك يا بني قبولك في كلية الهندسة.
- الله يبارك فيكِ يا أمي.

سافر حسن إلى القاهرة للالتحاق بالكلية، ذهب لأخيه فيصل، طلب منه أن يسكن معه في غرفة في شقته، ويعمل حسن حتى يستطيع توفير مصروفات الكلية والأكل والملابس، كانت الصدمة عندما رفض أخوه أن يسكن معه، قال له دبِّر لك سكنًا، فردَّ حسن: أنا لا أستطيع على كل هذه المصروفات. كلية الهندسة من الكليات العملية التي تتطلب الحضور، الشغل سيكون وقتًا بسيطًا، نصف راتب، حتى أستطيع التوفيق بين مذاكرة دروسي والعمل، لكنَّ أخاه مصمم على كلامه. أصيب حسن بالحيرة والذهول من تصرف أخيه!!

سأل نفسه ماذا يفعل؟ هل يتخلى عن حُلم عمره أم يصبر ويكافح بالعمل؟

فاستقر في النهاية أن يترك كلية الهندسة ويرجع إلى بلده أسيوط ويدخل كلية التربية قسم رياضيات، لأنه الشغل سوف يؤثر على دراسته في الهندسة.

وكلية التربية قريبة من سكنه ومصروفاتها بسيطة، عندما

سـألته والدتـه عـن سـبب رجوعـه. فأجابهـا أنـه قـرر دخـول كليـة التربيـة قسـم رياضيـات حتـى يكـون بالقـرب منهـا، نفـس الوقـت يسـاعدها في أعبـاء البيـت عـن طريـق إعطائـه للـدروس الخصوصيـة لأنـه يعشـق الرياضيـات ويسـتطيع شرح أي مناهـج في أي صـف دراسي، كذلـك هـو يريـد أن يصبـح معيـدًا في الكليـة والتربيـة أسـهل لـه في التفـوق مـن الهندسـة، لم يَقُـل لهـا السـبب الرئيـسي لتخليـه عـن حلمـه حتـى لا تغضـب أمـه مـن أخيـه.

دخـل كليـة التربيـة وكان كلـما تقابـل مـع رفيقـه في الثانويـة الـذي دخـلَ كليـة الهندسـة ويحكـي لـه عنهـا يشـعر بالحـزن والحـسرة عـلى ضيـاع حلمـه.

طـوال سـنوات الكليـة كان تقديراتـه جيـد جـدًا وبذلـك حلـم المعيـد قـد ضـاع هـو الآخـر، فأصيـب باكتئـاب وبـدأ رحلتـه مـع العـلاج وحالتـه كانـت تـزداد سـوءًا عندمـا يقابـل رفيقـه ويـرى الفـرق في مسـتوى المعيشـة.

ومـن عشـقه للهندسـة بـدأ يعمـل مـع أي مكتـب هنـدسي حتـى بـدون مقابـل بجانـب عملـه كمـدرس رياضيـات في السـويس لمـدة بسـيطة، بعـد ذلـك حصـل عـلى عقـد عمـل في السـعودية ومكـث هنـاك ٥ سـنوات، ثـم قـرر الرجـوع إلى الوطـن حتـى يتـزوج ويسـتقر وخـلال مـدة عملـه في السـعودية قـد قـام بإنشـاء عـمارة سـكنية وقـام بتأجيرهـا كلهـا وتـرك شـقة ليتـزوج فيهـا. طـوال سـنوات الغربـة كان يتابـع مـع الطبيـب النفـسي مرضـه، ثـم تقـدم لخطبـة هـدى تعمـل محاسـبة وحكـى لهـا قصتـه كلهـا دون نقصـان أو زيـادة وأعطاهـا مهلـة أسـبوع للـرد، وبعـد هـذه المـدة جـاءه الـرد بالموافقـة فتزوجهـا. وتمـر السـنوات وابـن أخيـه يتـم قبولـه في كليـة هندسـة البـترول بالسـويس وأخـوه فيصـل يخـاف عـلى ابنـه محمـد

من أصدقاء السوء وأن يسكن بمفرده ففكر كثيرًا في أخيه حسن أن يسكن محمد مع عمه.

فاتصل بأخيه وطلب منه أن يسكن محمد معه. فكان رد حسن بالموافقة.

وعندما سألته هدى عن سبب الموافقة بالرغم مما فعله فيصل معه في نفس الظروف فكان رده أن هناك نورًا في القلب من الأفضل أن أتعامل به وهذا النور يجعلني لا أفكر في الأحقاد والكراهية وذكر لها مقولة يحبها جدًّا: (قلبك هو النور لهذا العالم لا تحجبه بعقلك) موجي

***

تخاريف يوجي

بقلم: نيرمين محمود

خيالات

يوجي حائر: ما كل هذه التخيلات؟
لم هذه التصورات والخيالات؟
هل هو الكبت أم الحرمان؟
أم هي أوهام من نسج الشيطان؟
هل هي الرغبة بجهل؟
أم خوف من الحقيقة في الحياة؟
هل هي انعكاسات العقل الباطن؟
أم هي تمرد على قوانين المجتمع والجهال؟
هل صحيح أرغب في أن أعيش هذه الخيالات؟
الحكيم: لم لا تجعل منها زادًا لقصص وإبداعات!

***

الأمل المفقود

يوجي: أشعر كعصفور محبوس في قفص مشروخ
ينقر بمنقاره ويصيح
إما أن تفتح ونطير سويًّا للنور
يا إما نضل في القفص والقلب يتيم مكسور
ده اللي أصعب من فقدان الأمل، هو فقدانه ثاني
الحكيم: لكن الراحة تأتي بعد الخلاص من الاثنين!

***

الأمل والوهم

يوجي مترددًا: هل الأمل مرادف متفائل للوهم؟
الحكيم نظر للشمس صامتًا
يوجي: ما الفرق بين الأمل والوهم؟
الحكيم: الإيمان.
الحكيم: الشمس موجودة برغم الاختفاء خلف الغيام
يوجي: أهذا من قبيل الأمل أم من الأوهام؟
الحكيم ناصحًا: اصمت، اسمع، ستعرف من فيهم هو أنت وما هو الوهم!

***

انت مش شبه حد

يوجي: هل أنا أشبهك؟

الحكيم: أنت شبه كل الناس

ليه عاوز تبقي شبهي

ما هو الأساس واحد لكن الهيئة ماتعدش

حاول تبقى شبه نفسك ومش زي حد

يوجي: الغريب إن كلنا كنا في يوم ما نطفة لا تميز

لكن في الدنيا فيه منا اللي أصبح شيخًا واللي أصبح في الخمر شاعرًا

الحكيم: في الدنيا محدش فينا شبه التاني لكن كلنا في الأصل واحد

***

تو نيس

يوجي غضبان: ليه الناس بتزعل لما بدور على حقي

ليه الناس بتضايق لما بتفضل أولوياتي

ليه الناس بترفضني لَمَّا أقولهم كفاية استغلال لي

ليه الناس بتسيبني لما أطالب باحترام حدودي

أنا مُش تو نايس لدرجة إنك تمشي فوقيا

الحكيم: أعلم أن روحك حرة.. عقلك حر.. مشاعرك ملك لك وحدك

روحــك عقلــك جســدك بيــد الله وحــده ولا يحــق لأي عبــد أن يســتغلك حتــى لــو مبقتــش في نظرهــم تــوووو نايــس.

***

ليه كل الحزن ده

الحكيم: ليه كل هذا الحزن؟

على إيه كل الضباب اللي في القلب ده

التنهيد اللي في الصوت ده

إنــت حزيــن عــلى العمــر الــلي ضــاع ولا عــلى العمــر الــلي لســه هيضيــع؟

يوجــي: حاســس إن ميــة البحــور ولا أمطــار الســيول كفايــة لغســل الهمــوم

الحكيم: سنين من الظلمات وترجع روحنا تبدأ في النشوء

موش بيقولوا الحب بيهدي النفوس

واللي شبعان حب، لقيمات الإعجاب لا تغنيه من الجوع

فما بالك بحب الله، حب يكفيك عن كل ما في الوجود

***

الفراغ

يوجي: ما هذا الفراغ

فراغ في عقلي وقلبي مليء بالأوجاع

فراغ في قلمي والحبر الأسود ينتشر في الجنبات

فراغ من الحروف وبداخلي سيل من الكلمات

الكلـمات تتدافـع تبحـث عـن مخـرج ولكنهـا تضيـع في متاهـة الحيـاة

أيـن أنـتِ يـا كلـماتي.. أنـت تعلمـين أنـك متنفـسي وأقـرب إلى قلبـي منـذ نعومـة أظافـري

كنت ألعب بالحروف وأهلل عند تكوين السطور

الآن العب بالكلمات وعند تكوين الجمل أتنفس الصعداء

وعنـد اكتـمال الشـعر أشـعر وكأننـي الطائـر الحبيـس وقـد أصبـح مـن الطلقـاء

***

الحكيم: لما تلاقي كل حاجة تتكسر

لما تلاقي الصور تتغير

لما تيجي عاصفة وتلاقي دنيتك بتتفركش

هتلاقي بذرة مدفونة من زمن ما صدقت تتنفس..

سيبها على الله

ده ربك بينظفها علشان تزرعها من الأول

فيـا تاخـد القـرار وتعيـش سـبب وجـودك، يـا إمـا القـرار هيتاخدلـك وتعيـش برضـو سـبب وجـورك

طب ما توفر وقتك ومجهودك!

***

يوجـي غضبـان: لحـد إمتـى هنفضـل نبنـي في أبـراج رمليـة شـوية

مطرة تجيبهم أرض

الحكيم: غضبان ليه؟ ما هي هي نفس المطرة اللي حييتلك بذرة مدفونة من زمن

***

الحكيم: هل أنت تتبع الجميع ولا لك طريقك اللي بتمشيه

هل إنت عاوز فعلًا اللي إنت فاكر إنك عاوزه؟

هو اللي أنا فيه ده إمتى طلبته ولا إمتى مطلبتوش؟

سألت هو ده أنا ولا حد تاني؟

ازاي هتعرف إذا كانت دي حقيقتك ولَّا دي صورة اللي جنبك في القطيع

في الحالتين هما إنت! المهم تعرف مين فيهم اللي بيسأل ومين اللي بيتبع كالبعير

***

يوجي: أنا مُش صبور ومُش فارق معايا، عذاب الصبر ملوش آخر؟

الحكيم: الصبر اختيارين إما التعذيب أو التهذيب؟

الحكيم: يعني في طريقين!

يوجي: طب قالوا الصبر لا بُد له من آخر، بس ماقالوش أي طريق ناخد!

يوجي: ليه كل ما أفتكر إن درس الصبر خلاص خالص، بلاقي في اختبار أصعب من الفايت!

يوجـي: خـلاص، اتعلمـت زي مـا اتعلمتـش، معايـا بقـي مـوش فـارق أكـون.

الحكيـم: التغيـير غـير التعليـم، كل شيء بالتمريـن أكيـد وبأمـر ربـك فـكل شيء يكـون

***

يوجي: مَن أشكر وعلام أشكر

الحكيم: شكر من أعماق القلب

لكل من أثار غضبك

لكل من رماك بمظلمة

شكر لكل من تسبب لك بمألمة

فكل ألم بعون الله يصبح جوهرة

وكل ظلمة بقدرته تبيت ليال منورة

كل غضبه تحفر بيت شعر في ملحمة

قصص أهل الكهف ما كانت للتسلية

ففي كل قصة درس وللمتدبرين موعظة

اللهم اجعلنا من المتأملين الهائمين في رحابك

فالعاشق لا يرى إلا بنورك ولا يرويه سوى رضائك

***

يوجي: بلاش تكون متفائل

الحكيم: ليه مكشر كده؟

يوجي: أوجاع في رقبتي، كتفي، قدمي وتكسير في ظهري

الحكيم: طب التكشيره خففت الألم؟

الحكيم: ليه عاملها ١١١؟ ملحقتش، مجبتش، ماخذتش؟؟

ليه سلبي ومضلمها كده؟ متخانقين، فقدت عزيز، عليك دين كبير؟

طب الضلمة نوَّرت لك طريق؟ السلبية رجعت لك حبيب؟ ١١١ خلصتك من أزماتك الكتير؟

مادام الزعل مش نافع ما نغير لطريق تاني متجرب وأكيد ناجح

ابتسم! بس ابتسم!

لو قفلت ابتسم، لو زعلت ابتسم

لو فقدت، ابتسم

ابتسم وشوف كل باب بينفتح

اشكر وشوف العوض لكل شيء فقد

الشكر هيزيدك من نعمه

والبسمة هطمنك لتدبير الله وحده

***

يوجي: في حاجة موش مريحة

في حاجة في فرحتي كسيرة

الحكيم: ما هي؟

يوجي: ليه أطلب بإلحاح، لما يحصل أرفض بإصرار؟؟

يوجي: لماذا الإقدام على شيء ثم لا يعني لي أي شيء؟

يوجي: دي المتاهة ولا إيه؟

الحكيم: مفيش تناغم مع الحياة الجديدة؟

يوجي: ولا كنت منسجم في القديمة

الحكيم: لمَ كل هذا الضيق بعد البراح؟

الحكيم: لمَ كل هذا اللي غضب اللي جواك؟

يوجي: أقسم بكل ما أؤمن به من مقدسات

لا أعلم! شعور غريب انتابني

الحكيم: فقط، راقبي وتقبلي

يوجي: ذراعي الأيسر متيبس

فكري يكاد يكون متحجر

نفسي متمردة

دقات قلبي سريعة مترددة

روحي مازالت عالقة بين عالم الأشياء الجهل الصغير، وبراح سبحانه الواسع العليم

أهو الخوف من الخروج من شرنقتي القديمة المظلمة

كأنه الخوف من حصولي أخيرًا على ما كنت أحسبه مستحيلًا

هل هو التمسك بنفسي القديمة ولا التعلق بعاداتي الكئيبة

إنه الخوف من ترك إحساس المظلومة.. الخوف من عيش الحياة غير المنقوصة

الخوف من الموت، موت النفس الباليه القديمة

نعم إنه الخوف من البعث لحياه جديده مضيئة
ما هذا النور المتغلغل في جنبات قلبي
هو نور الحق يبعث لي روحي
هو نور الله في طريقي يهديني
الله هو...

***

حلم

الحكيم: يوجي، لم لا تحدثني عن حلمك
يوجي: حلمي أن يعود العالم إلى قرية صغيرة
حلمي أن تزول الحدود والأسوار العتيدة
حلمي أن يعود العالم إلى ما قبل الخليقة
هل كل ما نحن فيه بسبب تفاحة بريئة؟
أم هي خلقت لكي تهوي بنا إلى الحياة الدنية
أليس الكل إلى الأعليين في النهاية مريدًا
إذا لماذا جئنا، إذا كان العود أملًا
إذا لماذا تعلقنا إذا كان الموت خلاصًا
الحكيم: أتعلم عن أي موت نتحدث؟
موت الخطيئة، موت الرذيلة
موت الشخصية المزيفة الكريهة
موت النفوس الصغيرة الهزيلة
موت بذور الحقد البُغض والغيرة
لتنمو زهور المحبة والتسامح

فتزهر براعم الخير والتقارب
تقارب العاشقين المتوددين
حياه الشاكرين الموحدين
حياه مع الله
حياه في ملكوت الهو
حياه لله وحده الله هو

***

انتظروا تخاريف يوجي متصوف

جحا والسندباد

بقلم: أحمد عبد الله

جحا والسندباد كل منهما كان له أسطولاته الخاصة به في كل زمان ومكان ومع اختلافها كحقيقة أم خيال فستتخيل أنهما اجتمعا مع بعضهما ليكونا لنا صداقة خيالية؛ فجحا يُحكَى عنه أنه شخصية خيالية من التراث الشعبي في كثير من الثقافات القديمة ونسبت هذه الشخصية إلى مجتمعات مختلفة كان فيها نفس الشبه شخصية جحا.

أما في الأدب المختلف فهناك شخصيات كثيرة نُسبَ إليها جحا ففي الأدب العربي نسبت إلى أبو الغصن دُجين الفزاري وهو أقدم الشخصيات التي نُسبَت إليها النكات العربية.

أما في الأدب التركي فنسبت شخصية جحا إلى الشيخ نصر الدين خوجة الرومي وهذه الشخصية كانت تتصرف بذكاء كوميدي ساخر في أغلب مواقف الحياة وقتها المختلفة وانتشرت القصص الكوميدية الساخرة وكانت تروى بأشكال ساخرة ويضاف عليها بعض الخيال حتى يومنا الحالي فكل ثقافة كونت جحا الخاص بها.

كان دائمًا ما يسمع عن رحلات السندباد ومغامراته ودار في

مخيلتـه الســاخرة مــاذا لــو رافقــت الســندباد في رحلاتــه ومغامراتــه وأضفــت إليهــا روح المداعبــة والكوميديــا.

أمــا الســندباد هــو أشــهر بطــل لأشــهر قصــص مــن قصــص البحر في الــتراث العــربي عامــة وحكايــات ألــف ليلــة وليلــة وكل مغامراتــه هــي مغامــرات مثــيرة ياختــلاف الأقاويــل والقصــص المختلفــة عــن الســندباد هــي أن كل مغامراتــه كانــت مثــيرة وأهــداف رحلاتــه كانــت طلــب للتجــارة والاكتشــاف وطلــب المعرفــة مــن خــلال مــا كان يقابلــه مــن مغامــرات وعجائــب في رحلاتــه.

وفي لحظــة مــن لحظــات الفكــر المــليء بالتشــويق والمغامــرات جــاءت فكــرة للســندباد أن يضيــف شــخصًا معــه يحكــي مغامراتــه بشــكل يســوده نــوع مــن المــرح والكوميديــا الســاخرة ليضيــف نوعًــا مــن الإثــارة التــي تحتويــه كل مغامراتــه القادمــة.

فقــرَّر أن يصطحــب معــه جحــا لمــا ســمعه عنــه وهــو في بغــداد وهــو ذاهــب يبحــث عنــه كانــت تــدور في خيالــه المغامــر كيــف أتكلم مــع مكيــف أقنعــه بفكــرتي وكيــف ســيكون لقاؤنــا.

مــرَّ الســندباد يبحــث عــن جحــا حتــى دلُّــوه عــلى بيــت جحــا وطــرقَ البــاب وأفــاق جحــا وذهــب ليفتــح وهــو يســأل نفســه مــن طــارق في هــذه الوقــت.

وفتــح البــاب مــن الطــارق لــو جئــت لطلــب المــال فأضعتــه ولــو جئــت لطلــب حمــاري فلــن يذهــب معــك أم لــو جئــت للضيافــة أو عابــر ســبيل فبيــوت القريــة أولى بــك.

الســندباد: تحــدث الســندباد لجحــا بعــد بدئــه للســلام عليــه الســلام عليكــم ياجحــا كيــف حالــك أنــا الســندباد وأعتقــد أنــك ســمعت عــن مغامــراتي ورحــلاتي.

وأنا أبحث عنك لم أسمع غير ما حدث لك وما فعلته بأموالك ما الذي فعلته يا جحا أريد أن أسمع منك أنت القصة.

ردَّ عيله جحا: أهلًا بك في بيتي المتواضع لكني لا أستطيع ضيافتك، هل جئت لتسخر مما سمعته.

السندباد يرد: لا أريد أن أسمع منك القصة وسأقترح عليك فكرة رائعة.

جحا: يفكر في مخيلته: ها إنها فرصتك يا جحا لتعوض ما فاتك. إنه السندباد.

ثم بدأ جحا يحكي ما فعله بأمواله.

وكيف دفن جحا كل ما يملك من أموال في الصحراء، وبعد أيام عاد يخرجه فلم يهتدِ إلى مكان، وبينما هو كمان مر ببعض أصدقاء واسألوا ماذا تفعل يا جحا، قال دفنت في هذه الصحراء كل ما أملك من مال ولا أستطيع أن أجده، قالوا له: كيف يجب عليك أن تجعل عليه علامات حتى تعرف بها مكان المال، رد عليهم جحا قائلًا: لقد فعلت لقد علمته بسحابة بيضاء في السماء كانت هنا لما دفنت المال، ولكنني لا أجدها ولا أعرف أين ذهبت يوم.

فلم يكن من السندباد إلا أن يواسيه ويعرض عليه فكرته التي جاء من أجلها خصوصًا بعد أن أضاع جحا أمواله وهو الآن بحاجة إلى أن يبدأ في جمع الأموال من جديد وما سمعه عن سندباد وتجارته ورحلاته وبحثه عن الكنوز أمرٌ يجعل أيَّ أحدٍ مكان جحا يوافق على هذا العرض لكنه كدهاء الساخر لم يوافق في بادئ الأمر وكان يعترض على هذا العرض إلى أن أقنعه

السندباد بعد أن حكى له بعض مغامراته المثيرة التي اندهش لها جحا وقرر أن يوافق على عرضه.

كان في نوايا السندباد أن يضيف نوعًا من الكوميديا الساخرة لجحا على مغامراته وأيضًا في ذات الوقت في نفس جحا أنه يريد تعويض ما فقده من أموال وأن يضيف لروحه المداعبة بعضًا من الإثارة والتشويق والخوف.

اشترط جحا على السندباد مبلغًا على أن يتقاسما أيَّ كنز يعثران عليه أو أي أموال وأن ترافقه دابته في الرحلة فوافق على شرط من السندباد أن يكون جحا مطيعًا ويستمع لإرشاداته ونصائحه وأن يتعلم منه روح الإثارة والمغامرة فوافق جحا على شروطه.

ركب جحا والسندباد الحمار وبدأ التحرك ببطءٍ شديد إلى السفينة الخاصة بالسندباد ليبدآ الرحلة سويًّا إلى المغامرة في الجزيرة العجيبة والتي سمع عنها كثيرًا السندباد وأغرب ما سمعه هو لا بُد أن يرافقه شخص ساخر وذو روح فكاهة والتي بدورها أوصلته لجحا واجتمع الاثنان في هذه المغامرة المثيرة التي سنرويها في القصة القادمة بإذن الله.

هذه من وحي خيال الكاتب وليس له أي صلة بالحقيقة لكنني أردت أن أجمع بين المغامرة والفكاهة فلم أجد أفضل من جحا والسندباد لأتخيل أنهما اجتمعا في مغامرة واحدة، وهل فعلًا ستكون هذه المغامرة تستحق الكتابة أم لا؟

***

الهروب.. من شُرفتي ف ميلان.

بقلم: رضوى حسين علي

إيطاليا 2019

لي عـادةٌ أعشـقها ولا أقـوى عـلى التخـلي عنهـا مهـما حـدث. كل يـوم بعدمـا أفـرغ مـن صـلاة الفجـر أتوجـه إلى المطبـخ لإعـداد قهوتي الصباحيـة ثـم آخـذ كتـاب وأذهـب إلى شرفتـي أجلـس فيهـا ممسكة بفنجـان القهـوة السـاخن بيـدي اليمنـى والكتـاب بيـدي اليـسرى. أشـم رائحـة البـن المنبعثـة مـن الفنجـان وأرى البخـار السـاخن يتطايـر أمامـي وأنـا مسـتمتعة بالنظـر إليـه تـارة وبالنظـر إلى تفاصيـل الشـارع والمـارة تـارة أخـرى.

ثـم أُطالـع صفحـة مـن الكتـاب كل حـين. وأحيانًـا لا أقـرأ ولكني أظـل أُطالـع الكتـاب ثـم أضعـه عـلى فخـذيّ وأفكـر فيـما أرى.... أرى كل شيء وكل شـخص مـن الخـارج بوضـوح لأنني أسـكن في الطابـق الأرضي. أحيانًـا أظـن أنـه ربـما ينبغـي أن أدعـو كل مـن يمر أمـام الشرفـة لاحتسـاء فنجـان مـن القهـوة الإيطاليـة الرائعـة معـي لنتحـدث عـن قصصهـم التـي لا أعرفهـا ولكننـي أتبـين بعضهـا في ملامـح وجوههـم.

بالتأكيـد هنـاك قصـة لـكل مـن يمـر أمـام شرفتـي.. حكايـة مختلفـة وغنيـة بتفاصيـل وافـرة. تُـرى مـا هـي قصـة ذلـك الرجـل

الـذي مـرَّ بسـيارته مسرعًـا للتـوّ دون أن ينتبـه لإشـارة المـرور وكان مقطـب جبينـه وكأن عقدتـه لا ولـن تُحـل أبـدًا؟

تلـك السـيدة التـي أراهـا تتريـض كل يـوم بملابسـها الرياضيـة ذات الألـوان المبهجـة عـلى وجههـا ابتسـامة تسـع الكـون، تضـع السـماعات في أذنهـا وتمـضي قدمًـا في طريقهـا كأنهـا لا تـرى مخلوقًـا. مـا قصتهـا؟

لعلَّهـا تسـتمع إلى الموسـيقى أو ربـما بعـض الأحاديـث التحفيزيـة. لكننـي أحيانًـا ألاحـظ أنهـا تتكلـم، لعلَّهـا تغنـي أو تتحـدث إلى شـخص مـا أثنـاء التريـض حتـى لا تمـل. لا أعـرف حقًـا ولكـن الثابـت أنهـا دائـمًا مبتسـمة.

أرى أيضًـا صاحـب المقهـى الموجـود أسـفل البنايـة المقابلـة لبنايتـي. كلَّ يـومٍ يَصـلُ في السـاعة السادسـة بالضبـط ليتابـع الخبـاز الـذي يبـدع ويتفنـن في عملـه حتـى تنبعـث مـن المقهـى كل هـذه الروائـح الجميلـة للشـطائر والحلـوى الإيطاليـة الـذي يخبزهـا باقتدارٍ. لم أرَ الخبـاز قـط، ولكـن لا بُـدَّ أن لـه قصـة هـو الآخـر. أمـا لويجـي صاحـب المقهـى، فهـو عبـوس جـدًّا. لا يضحـك ولا يبتسـم حتـى.

قـال لي مـرة ونحـن نتجـاذب أطـراف الحديـث بينـما كان يُحضر لي الكابوتشـينو أنـه حزيـن منـذ أن أتـى إلى شـمال البـلاد، فهـو إيطـالي جنـوبي أصيـل مـن صقليـة يُقـدس الأرض الزراعيـة والفَـلاح ودفـء التجمعـات الأُسريـة ولا تسـتهويه بـرودة الشـمال وسـكانه ولا الشـوارع الواسـعة ولا البيـوت الضيقـة ولا الشـوارع الفاخـرة المزيفـة، لكنـه لا بُـدَّ أن يعمـل ويـأكل ويعـول عائلتـه التـي عانـت

فقـرًا شـديدًا في صقليـة فقـرروا منـذ عشريـن عامًـا النزوح إلى الشـمال وبـدأ هـو وزوجتـه مـن الصفـر حتـى امتلـكا هـذا المقهـى في أحـد أهـم وأغنـى أحيـاء ميـلان.

قـال لي: «أنـا راضٍ جـدًّا عـن كل مـا وصلـت إليـه. ولكننـي غـير سـعيد في أعماقـي. أشـتاق لصقليـة في يومـي ألـف مـرة" تحـدَّث وهـو يبـذل جهـدًا كبـيرًا بهـدف ألا تـذرف عينـاه الدمـوع التـي احتبسـت بالفعـل فيهـما.

لا بُـدَّ أننـي عندمـا أمـر أنـا أيضًـا مـن مـكان مـا، هنـاك مـن يجلس بجـوار نافذتـه محـاولًا تخمين قصتـي. هل سـيصيب أم سـيخطئ؟

في الحقيقــة، أنــا قصتــي لا مثيــل لهــا. قصــة طويلــة وأحداثهــا متشــابكة حــد التعقيــد لدرجــة أن حتــى مــن يعرفونني لا يمكنهــم أبــدًا فــك خيوطهــا...

ربما لأنني لم أفصح عن خباياها قَط.

«حسـنًا، لا داعـي للحديـث عـن حكايتـي الآن؛ سـأحفظها بقلبـي كالعــادة. ســأكتفي بمشــاهدة الطريــق والمــارة والشــارع.." حدثــت نفـسي فـورًا قبـل أن أقـع فريسـة للتفكـير المفـرط الـذي يقتلنـي ويدفعنـي أحيانًـا لفـك شـفرات أعجزتنـي لسـنوات.

ثـم حدقـت مـن جديـد في الطريـق المكتـظ بالبـشر ولمحـت مـن جديـد في بسـمات وعيـون كل منهـم قصـة مثـيرة قابعـة في القلـب لم تُعلـن.

حكايات أعوام الوباء

بقلم: رضوى حسين علي

٢٧ نيسان ٢٠٢٢

الساعة الحادية عشرة صباحًا. ما زالت عائشة في سريرها رغم أنها استيقظت منذ أكثر من ساعة، ولكنها لا تريد أن تواجه العالم اليوم. جسدها يؤلمها وروحها متعبة جدًّا والجو بارد وهي لا تتحمل البرودة، ولذلك قررت المكوث لبرهة تحت اللحاف الأبيض الناعم.

شعرت بألم حاد في صدرها فجأة. تحسست قلبها وشعرت أنه يدق بشدة، أكثر من المعتاد. قد يبدو أنه في موضعه ولكنه ينتفض كأنه يريد أن يشق صدرها ليخرج منه وهي لا تعلم ماذا تفعل. هذه الحالة أصبحت تصيبها كثيرًا في الفترة الأخيرة.

تستيقظ في منتصف الليل أو في الصباح وهي تشعر بوخز عنيف في صدرها ورئتيها، ثم تكتشف أن الوخز حرفيًا مكانه القلب، وليس الصدر.

نهضت من وضع النوم وأسندت بظهرها على الوسادة وهي ما زالت جالسة على سريرها الفخم ثم أمسكت بزجاجة مياه تضعها كل ليلة بجانب سريرها ثم شربت رشفة واثنين وثلاث.

لم يحدث شيء. قلبها ما زال يتمرد داخل جسدها وهي لا تدري كيف تردعه.

تريد أن تستنجد بأحدهم ولكنها لا تعرف ماذا ستقول. ما الشكوى؟ هل سيفهمونها إذا قالت إن علة قلبها مُزمنة رغم أنها لا تتعلق لا بشرايين ولا بصمامات؟ قطعًا لن يفهم أحد وسيتعين عليها الشرح. وفيم الشرح إن كان الدواء لم يتم اكتشافه بعد!

حاولت الوقوف وهي تحاول التنفس بصعوبة بالغة. ارتدت ملابسها بنفس الصعوبة التي كانت تتنفس بها وكانت تمسك بقلبها كل دقيقة علَّه يتوقف عن الارتعاش داخل جسدها. نجحت بصعوبة في الاتصال بطبيب القلب وقالت له بصوت مرتجف:

- «صباح ال... خير يا... أنكل وافي. أنا عائشة...“

لم تكن تقوى على الكلام من فرط الألم. حاولت مرة أخرى وقالت: «ممكن أأ... أجي المركز لحضرتك أنا جالي نفس الوجع ف قلبي تاني“.

- «أكيد يا عائشة. اتفضلي! مستنيكي ولَّا تحبي أجيلك أنا؟ إوعي تسوقي». رد الطبيب الذي تَعَرَّف على صوتها فورًا.

- «هطلب تاكسي».

وصلت عائشة إلى مركز دكتور وافي لأمراض القلب بشارع ٩ بالمعادي، والذي لم يكن يبعد عن البيت إلا ببضعة كيلومترات ولكنها شعرت أن طريق الذهاب طويل جدًّا، أطول مما ينبغي.

الألم والانتظار يجعلان كل شيء أطول: الطرق والساعات والمسافات. وعائشة تعاني من كليهما؛ الألم والانتظار معًا، تتألم بقلبها وتنتظر الشفاء بلا أمل.

دلفت إلى غرفة الكشف والدموع تترقرق في عينيها. هي تعلم أن الطبيب لن يساعدها، إذ أنها لا تعاني من مرض عضوي بالقلب، ولكنها تظل تتمنى في كل مرة تذهب فيها إليه أن يجد لها علاجًا مبتكرًا من معاناتها القلبية اليومية. أليس اسمه طبيب القلب؟ إذًا، لا بُدَّ أن يجد لها حلًا سحريًّا.

- «طمنيني عليكي يا عائشة. إيه اللي...؟"

لم يكمل الدكتور وافي سؤاله لأنه استطاع أن يرى قلب عائشة يدق بسرعة بالغة بمجرد النظر إليه.

كان قلبها ينتفض بقوة حتى أن ملابسها أخذت تتحرك بسرعة لأعلى وأسفل مع كل دقة قلب.

رسم قلب سريع، كشف دقيق، تدريبات تنفس هدأتها بعض الشيء. ولكن كل هذا لم يسفر عن شيء. القلب سليم عضويًا ووافي يعلم بعدم وجود علة طبية.

وبعد أن هدأت عائشة قليلًا، قالت:

«أنا قلبي مش عيان يا دكتور. أنا قلبي تعبان.. موجوع. حضرتك عارف إن بقالي فوق السنتين بحاول أعالجه وماعرفتش. قُلت أجيلك تاني يمكن تعرف تتصرف. أنا من ساعة ما الڤيروس الملعون ده حل علينا وعَلي جوزي مشي وأنا قلبي فيه ثُقب عميق. زي ما يكون سابلي حتة ناقصة في روحي وقلبي وعقلي. حتة مش بعرف أملاها مهما فرحت ونجحت وأنجزت. في دايمًا حتة فاضية عَلي بس اللي كان بيعرف يملاها. لما كنا بنفرح مع بعض ونسافر ونضحك. لَمَّا كنّا بنقعد مع بعض ولما

كنا بنتكلم مع بعض. حتى لما كان بينام جنبي قبل ما يموت الكوابيس مكانتش تستجري تجيلي في المنام. عَلي لما اتوفى في حاجات كتير أوي ماتت. ومش قادرة أنسى العذاب اللي اتعذبه من يوم ما جاله كورونا لحد ما مات... بفتكر شكله وهو على جهاز التنفس وماسك صدره وأحس أن صدري بيوجعني أنا كمان. بفتكر نَفَسه اللي كان بياخده بالعافية وأحس أن أنا كمان مش عارفة أخد نفسي. قلبي بيوجعني يا أنكل وافي.. أووي... الله يلعنها الكورونا".

أجهشت عائشة بالبكاء وأسندت رأسها على المكتب وهي لا ما زالت ممسكة بصدرها تريد أن تُسَكِّن المعاناة بأي شكل دون جدوى.

دمعت عينا الدكتور وافي ثم قال:

«عائشة، انتي مش عيانة فعلًا وعشان كده مقدرش أكتبلك دوا. بس أنا هكتبلك مهدئ هيريحك شوية وأرجوكي غيري جو.

أنا عارف إن موت عَلي جوزك مكانش سهل عليكي بس اصبري واحتسبي.

كورونا خسرتنا كتير في السنتين دول، بس أقولك إيه يا بنتي!

صدقيني مفيش وجع بيفضل طول العمر. والدك الله يرحمه كان صديق عمري ولما اتوفى برضه من غير كورونا ولا غيره، أنا قُلت الحياة مش هتمشي، ووالدتك كمان تعبت أوي وانتي وإخواتك ماكنتوش عارفين تقفوا على رجليكم. فاكرة ولا نسيتي؟ لكن خليني أقولك يا بنتي إن ربنا رحيم وخلق الانسان وخلق له النسيان عشان من غير النسيان مكناش نقدر

نعيش. أنا مش بقولك تنسي جوزك بس طالب منك تهوني على نفسك شوية. النهارده بقالك سنتين بتجيلي بنفس الشكوى ووجع القلب. ربنا يريح قلبك يا عائشة ويجبرك ويسعدك."

استكمل دكتور وافي حديثه: «أنا حاسس بيكي صدقيني.. وجع الفقد اللي إنتي حاسة بيه ده يا بنتي مفيش حاجة في الدنيا بتمشيه. أول ما بيحصل قلوبنا بتتكسر وبنصحى كل يوم وأول حاجة بنفكر فيها هي اللي راح مننا لحد ما بنتعلم نلاقي طريقة نتعايش بيها مع وجعنا لحد ما نصحى كل يوم وبدل ما يبقى أول حاجة نفكر فيها بيبقى تاني حاجة وبعدها بيبقى تالت حاجة وهكذا».

ناولها ورقة الوصفة الطبية بالمهدئ ووجهه مليء بقلة الحيلة، وعائشة أخذتها وهي تبكي بصوت يرتفع تارة وينخفض تارة أخرى.

اصطحبها الدكتور وافي إلى الباب الخارجي وهو يربت على كنفها، ولم تكن عائشة تعرف أنه هو نفسه يفكر بالضبط فيما تفكر فيه هي. كلاهما حائر جدًّا وحزين. هو لا يدري ما خطب هذا الڤيروس الفتاك الذي جعله يشاهد ويفحص في العامين السابقين آلاف الحالات ما بين مُصابٍ صامد وجلود وآخر هزيل لم يقوَ على محاربة المرض، فانهزم نفسيًا وتلت الهزيمة النفسية هزيمة صحية منكرة، وبين أصحاء لم يصابوا بكوڤيد فلم يستطيعوا استيعاب ما عاناه أقرب الأقربين إليهم ثم مرِضَ منهم من مرض فما كان منه إلا أن رق قلبه وأدرك كل المكاره التي كان قد استكبرها بل وأنكرها على الآخرين.

«كيف لي أن أطمئنك يا عائشة وأنا نفسي غير مطمئن. يقتلني التفكير الزائد كل يوم ويخيفني كل ما أرى حد الرعب". حدَّث نفسه وهو يصافحها عند باب المركز.

انصرفت هي الأخرى وهي تنظر حولها. تتفرس وجوه المارة متصورة أن كلهم إما أُصيبوا بكورونا أو سيأتي عليهم الدور قريبًا. أخرجت هاتفها وطلبت أوبر وانتظرته وهي مصابة بحالة من اليأس والحيرة وعدم الأمان. مَصاب عائشة لا يكمن فقط في قلبها وآلام صدرها المستمرة، بل أيضًا في عدم قدرتها إلى الآن على استيعاب الماضي ولا التعامل مع الحاضر ولا تعلم ما يحمله المستقبل.

ابتلاع فكرة وجود الڤيروس وهضمها ما زالت مستحيلة وألم الفقد لا يزول.

وصل السائق وركبت عائشة السيارة مُحمَّلة بكَمٍّ هائل من الإحباط فقد كانت تعرف جيدًا أن زيارة الدكتور وافي لا جدوى منها وأن الدواء ليس هناك.

ألم القلب ليس عضويًا كما قال صديق وطبيب العائلة. ألم القلب كان سببه حبيب وزوج مر بعمرها وعرفها أكثر من نفسها، وعرفته أكثر من نفسه ثم رحل. وما إن رحل هو عن الحياة، رحلت عنها هي كل مظاهر الحياة.

***

استعادة روح

بقلم: منال رزق

استيقظ على إحساس مزعج وقد امتلأ فمه بالدماء، فاندفع إلى الحمَّام لكي يتخلص منها بالمضمضة والغرغرة، ثم بدأ في غسل أسنانه وأعاد فرشاة الأسنان إلى الكوب الزجاجي المخصص لها.

مرَّ أكثر من عام على هذه الحالة التي طرأت عليه، وبدلًا من أن يستعد للزواجٍ من خطيبته رودينا ويبحث عن الشقة المطلوب توفيرها بحي راقٍ كطلبِ حماته وحماه العزيزين، ظل يتأرجح بين الأطباء باحثًا عن علاج لحالته الجديدة المزعجة.

تحاول خطيبته مساعدته والتخفيف عنه، فهي زميلته منذ التحاقهما بكلية الهندسة، جمع بينهما قصة حب مبنية على توافق الأفكار والقدرة على التخطيط والتنظيم، حيث أن طبيعة دراستهما تضفي عليهما طريقة محددة للتعامل مع الأمور السلبية والإيجابية بشكل منطقي وعملي.

بدأ يشعر أن ظروفه المرضية الجديدة لن تكون مريحة ولا مُرضية لرودينا، بعد أن لاحظ تأففها وتباعدها عنه في الفترة الأخيرة، لذلك اتفقا على أن يتقابلا لمناقشة خطة الزواج والإجراءات الخاصة بها.

رآها من بعيد تجلس بالكافيه الذي عادةً ما يتقابلان به، جميلة، أنيقة، ذات عينين عسليتين وشعر كستنائي منسدل على كتفيها، جلست تنتظر وصوله وبين يديها كتاب يحمل اسم «استراتيجية البيت الحديث» شعر بعدم الارتياح من عنوان الكتاب، كان يتمنى أن يكون الكتاب متعلقًا بمرضه الجديد وطرق مختلفة لعلاجه.

كثيرًا ما شعر بأنها في عالم منفصل عن عالمه، لكم تمنى أن يشعر باهتمامها به كما يهتم هو بأدق تفاصيلها ويراعي ما تحبه وما تفضله دائمًا.

شعر بغصة في حلقه وبدلًا من الذهاب إليها توجَّه لحمَّام الكافيه كي يفرغ ما في فمه ويتمضمض وينظف أسنانه وفمه بالمعجون الذي أصبح لا يفارقه أبدًا مؤخرًا.

تذكَّر وهو في الطريق إليها يوم ظهرت نتيجتيهما وقد حصلَ هو على تقدير امتياز بينما حصلت هي على تقدير جيد جدًّا مرتفع بفارق درجتين فقط، مما جعلها تبكي وترفض الحديث مع أيٍّ من أصدقائها كما أعرضت عن الحديث معه كأنه هو السبب فيما حدث.

عاد إلى مكان انتظارها وأخذ يتأملها من بعيد، وتذكَّر حين كانا معًا بالكلية حيث كان ترتيبه الأول دائمًا، تذكَّر أنها هي التي بدأت بالتودُّد إليه لكي تستعير كشاكيل محاضراته وتستعين به ليساعدها على فهم ما يصعب عليها من مواد.

عاد بذاكرته إلى الوراء وتذكَّر حين كانت والدته مريضة ولم يستطع حضور بعض المحاضرات فقالت له إنها لم تحضر وبالتالي لن تعطيه كشكول محاضرتها، ثم علمَ فيما بعد من أصدقائهما بالصدفة أنها كانت حاضرة بل وناقشت أستاذ المادة

في بعض نقاط المحاضرات، وحين واجهها أجابت بأنها التبس عليها الأمر ولم تقصد التخلِّي عنه فسامحها ولم يعر الأمر انتباهًا.

أخذ ينظر من بعيد إلى وجهها الملائكي الجميل الذي طالما أعجبه وتمنى البقاء بجوارها كي يتأمله وينظر في عينيها الجميلتين، إلا أن هاتين العينين كانتا تتحولان إلى عيني نمرة شرسة إذا عارضها أو لم يحقق لها ما تريد.

وعلى الرغم من حبه لها إلا أنه كان يشعر دائمًا بضغط من جانبها، وظهر ذلك جليًا حين تقدم لخطبتها وبدأ كل من والدها ووالدتها في وضع طلباتٍ مغالٍ بها سواء من حيث مكان وموقع الشقة أو ما تحتويه من أثاثات وأجهزة بالإضافة إلى الشبكة الماسية باهظة الثمن.

وحين لجأ إليها لتقف معه أمام أهلها خذلته وأوضحت أن تلك الطلبات هي أقل ما يكون بالنسبة لمستوى عائلتها وأقاربها، فبدأ يعمل بأكثر من مكتب هندسي سعيًا لتوفير المطلوب.

رجع بذاكرته حين أصيب بمرضه الجديد وذهب لأكثر من طبيب ودخل في دوامة التحاليل والأشعة، حيث احتار الأطباء في حالته نظرًا لأن جميع الفحوصات تشير إلى أنه سليم من الناحية الطبية، وأشار عليه بعض الأطباء والأصدقاء أن يستشير طبيبًا نفسيًا للوصول إلى السبب الحقيقي، إلا أنه تعايش مع الأمر ولم يتوجه لأخذ الاستشارة النفسية المطلوبة.

حين وصل إلى مكان جلوسها حياها وجلس أمامها، عاتبته على تأخره عليها، شرح لها الأمر بأنه فوجئ ببعض الدماء بفمه فاضطر للتخلص منها مما أدى إلى تأخره بضع دقائق ليس أكثر.

قالت رودينا: «لإمتى يا على حنفضل على الحالة دي، أنا شايفة إنك لازم تشوف دكتور نفسي عشان نبدأ حياتنا الجديدة بصحة وعافية ونشاط».

ردَّ علي: «لكن أنا مشغول وفي إيدي مشروعات كتيرة لازم تخلص في ميعادها وإلا المكتب حيبجي عليه شرط جزائي».

رودينا: «لكن كده ممكن جوازنا يتأخر، ياريت تسرَّع شوية في الموضوع عشان نبدأ نجهز ونحضر لإجراءات الجواز».

صمت برهةً وأخذ يفكر محدِّثًا نفسه: «ألم تكن تلك الطلبات التي أدَّت إلى قيامي بالعمل بمكتبين والضغط عليَّ وبذل الجهود المضاعفة هي طلباتكم».

هزت رودينا عليًّا من يده: «علي.. إنت فين؟ أنا باكلمك.. إنت مش معايا خالص».

وابتسمت ابتسامة رقيقة.. ثم أردفت: «لازم نشوف دكتور كويس عشان مش حينفع نتجوز وانت تعبان كده» وظلَّ وجهها مبتسمًا.

انتبه علي إلى كلامها الذي يسمعه لأول مرة، وقال لها مندهشًا: «قصدك إيه يا رودي.. يعني لو أنا ما خفتش مش حتتجوز؟»

رودينا: «لأ طبعًا... على الأقل لازم نتطمن الأول إيه الأسباب وهل المرض ده ممكن يكون مُعدِي ولا لأ وهل حيأثر على ولادنا ولا إيه؟ لازم نتطمن الأول».

سكت على وقال «طيب تمام».

قام على من مكانه بشكل مفاجئ: «يلَّا بينا.. أنا مستعجل عندي شغل كتير متأخر».

رودينا: «طب مش حنشرب حاجة؟»

علي: «لأ.. مافيش وقت».

خرجا من الكافيه وأوصلها لسيارتها وتوجَّه مباشرةً إلى طبيب نفسي صديق لابن خاله كان قد رشحه له من قبل. وجد لافتة على واجهة العيادة من الخارج، شعر بحرج وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا ليتأكد ما إذا كان أحد يراه أو يعرفه، وبعد أن اطمأن لعدم وجود أحد، دخل وأخبر الممرض عن هويته وطلب مقابلة الطبيب.

استقبله الدكتور نادر بترحاب شديد بناء على توصية ابن خاله أحمد.

سأله الدكتور نادر مبتسمًا: «معاك الأشعات والتحاليل بتاعتك يا باشمهندس».

علي: «أيوه يا دكتور».

دكتور نادر: «فحوصاتك كلها هايلة مافيش أي مرض عضوي الحمد لله».

ردَّ علي متحيرًا: «ما هي دي المشكلة يا دكتور».

دكتور نادر: «احكي لي إمتى أول مرة بدأت الحالة وإيه اللي حصل في اليوم ده بالظبط؟»

علي متذكرًا: «بعد حفلة خطوبتي على رودينا بحوالي أسبوع تقريبًا، أهلها عزمونا عندهم في البيت، روحت أنا وأمي وأختي مها الصغيرة لأن والدي أساسًا متوفي من زمان، لاقينا أهل رودينا عاملين عزومة كبيرة أوي وجايبين سفرجية وطباخين، وبوفيه كبير، لاحظت أن أمي محرجة شوية وقعدت تقول لهم

«ليه كلفتوا نفسكوا كل ده إحنا أهل ومافيش داعي الحاجات دي بين الأهل».

أكمل علي حديثه: «لاحظت نظرات أم رودينا ورودينا لبعض وحسيت ببعض الحرج كانت نظراتهم فيها شيء من السخرية وحسيت أنهم بيبصوا لي من فوق أنا وأهلي».

صمت علي لثوانٍ ثم استكمل حديثه: «أنا عارف إن رودينا مستواها الاجتماعي أعلى مننا بس أنا مهندس شاطر جدًّا وكنت الأول على دُفعتي، وهي اللي قربت مني لأني كنت الأعلى في الكلية وفي العلم، أنا كان المفروض أتعين معيد لولا الوسايط والمحسوبيات كان زماني دلوقتي أستاذ في الكلية".

سأل الدكتور نادر: «هل شعورك إنك أقل في المستوى الاجتماعي أثَّر على حبك لرودينا؟»

سكت علي لفترة ثم أجاب: «أنا عمري ما حبيت رودينا، هي اللي توددت لي وقربتني منها، أنا كنت معجب بجمالها بس عمرنا ما اتكلمنا إننا بنحب بعض أو عشنا مشاعر رومانسية أصلًا».

دكتور نادر: «أفهم من كده إنها هي اللي اختارتك؟»

ابتسم علي: «تقدر تقول كده فعلًا».

دكتور نادر: «قل لي يا علي، إيه تاني في حياتك عملته ما كانش اختيارك؟»

نظر إلى الساعة المعلَّقة فوق مكتب الدكتور وصمت ثم قال: «أنا دخلت كلية الهندسة عشان مجموعي كان كبير، لكن أنا كنت عايز أدخل كلية الفنون الجميلة، بس دخلت هندسة مضطر».

الدكتور نادر: "ليه"؟

علي: «والدي قبل ما يتوفى وصاني إني أطلع مهندس عشان أبقى زيه وأشرف أسرتي، فلما اتوفى ما رضيتش أخل بوعدي معاه مع أني كان نفسي اطلع فنان تشكيلي».

دكتور نادر: «بقالك أد إيه ما رسمتش؟»

علي: «يوووووه سنين طويلة من ساعة ما دخلت الكلية رسمت مرتين بس تقريبًا».

دكتور نادر: «بص، خد الكارت ده فيه نمرة وعنوان مركز للعلاج بالفنون، خد ميعاد وروح اعمل معاهم جلسات وابقى طمني على أخبارك بالتليفون، أنا متأكد إن الأمور حتختلف معاك بإذن الله، وياريت لو النهارده على طول تبتدي ترسم لوحة جديدة وتفصل نفسك عن أي توتر أو ضغوط، وياريت تكلمني بعدها».

ابتسم علي ابتسامةً عريضةً: «أوكي يا دكتور أنا حابدأ في لوحة النهارده بإذن الله، بس رأيك العلاج بالفنون ده ممكن يجيب نتيجة فعلًا؟ ويعني إيه علاج بالفنون أصلًا؟»

دكتور نادر: «ده علاج بيُستخدم بره من زمان بس يُعتبر جديدًا نسبيًّا في مصر، بيعتمد على تقليل التوتر والضغوط النفسية باستخدام أنواع الفنون المختلفة زي الرسم والموسيقى والحركة لأن الأعصاب اللي موجودة بأطراف الأصابع متصلة مع أعصاب في المخ بتخزن التوترات اللي بنتعرض لها وبالتالي الفنون المختلفة بتساعد على تحرير المشاعر السلبية الناتجة عن الضغوط اللي بنمر بيها، بص مش عايز أدوشك، هو علم مختلف بس ثبت نجاحه وأنا متفائل خير إنه حيجيب معاك

نتيجة إن شاء الله، وكده كده إحنا مع بعض وحاشوفك كمان ١٠ أيام، اتفقنا؟"

علي: «إن شاء الله، متشكر جدا يا دكتور».

وأردف متسائلًا: "هو لازم اللي بيتعالج بالفن يكون بيحب الفن ده؟"

الدكتور نادر: «لأ مش شرط خالص».

خرج علي وهو سعيدٌ بالعودة لهوايته القديمة، خرج من العيادة وذهب لشراء ألوان وأقلام ولوحة وتوجَّه إلى منزله على عجل وشعر أنه صغر عشر سنوات على أقل تقدير.

وبعد أن اتصل بالمكتب الهندسي للاعتذار عن عدم حضوره، دخل على المنزل وتناول طعامه مع أمه وأخته، ودخل غرفته وأغلق بابه وموبايله وطلب من أسرته عدم إزعاجه لانشغاله بأمرٍ في غاية الأهمية.

شرع علي في إعداد طقوسه الخاصة بالرسم من تشغيل أغنية لأم كلثوم ووضع الألوان وكوب الماء والفُرَش المستخدمة وأوراق المناديل، وبدأ في رسم لوحته وانساب صوت أم كلثوم بأغنية ألف ليلة وليلة.

لم ينم على في هذه الليلة وظل مستيقظًا مع لوحته وصوت أم كلثوم حتى أشرقت الشمس وسمع زقزقة العصافير معلنة بداية يوم جديد.

بعد أن أنهى علي لوحته أحس برغبة شديدة في النوم فأفرد جسده وراح في سباتٍ عميقٍ، ورأى في منامه العديد من الشخصيات المحيطة به، حيث ظهرت رودينا كقطة بيضاء

ناعمة تلاعبه وفجأة كشرت عن أنيابها أظهرت مخالبها بشكل أخافه في الحلم، ثم ظهر أبوه مبتسمًا وكان يقف بجانبه.

يتابعه وهو يرسم اللوحة الخاصة به معجبًا بكافة تفاصيلها، وظهر أشخاصٌ عديدون من أصدقاء الطفولة وبعض المحيطين به في العمل إلا أنه لم يتذكر دورهم في الحلم.

استيقظ علي فزعًا على صوت دقات على باب غرفته وقالت له أخته ضاحكة: «إيه يا علي النوم ده الساعة بقيت ٣ إنت حتنام طول اليوم ولا إيه؟»

ردَّ عليَّ مغمغمًا: «إيه يا مها عايزة إيه ما تسيبيني أنام شوية» ردت مها: «مافيش نوم كفاية كده... إيه ده الله... إيه اللوحة الجميلة دي».

علي: «طيب سيبيني ربع ساعة كده وبعدين تعالي صحيني».

خرجت مها من الغرفة وأكمل علي نومه قليلًا ثم صحا على دقات أخته على الباب، فقام مسرعًا وتوجَّه إلى المكتب الهندسي الذي يعمل به. تحسَّس جيب البنطلون فوجد الكارت الخاص بمركز العلاج بالفنون.

بعد أن أنهى عمله المسائي توجه مسرعًا إلى مركز العلاج بالفنون على أمل اللحاق بموعده مع الكوتش ليلى مسؤولة تدريبات العلاج بالمركز.

دخل علي متوترًا بعد تأخره حوالي ربع ساعة عن موعده، استقبلته إيمان وطلبت منه ملء استمارة التسجيل ودفع الرسوم المطلوبة وطلبت منه عدم إصدار أي صوت ثم أدخلته حجرة بها حوالي ١٠ أفراد، الجميع في حالة سكون تام وينساب صوت

خافت لموسيقى هادئة ناعمة وجميع من في الغرفة مغمضو العينين وفي حالة أشبه بالنوم.

دخل إلى الغرفة على أطراف أصابعه وجلس في أقرب مقعد صادفه لعدم إحداث أي ضجيج بالغرفة.

بمجرد ما أخذ وضع الاسترخاء أسوةً بباقي الحاضرين وبدأ يتّبع إرشادات المدربة ليلى التي توجِّه الجالسين من خلال صوتها الهادئ ببعض الكلمات الإيجائية بالاسترخاء والهدوء، شعر على بالخدر بأطرافه وبدأت جفونه وأعضاء جسده بالاسترخاء وبدت له بعض الصور والذكريات، حيث ظهر له وجه أمه باسمًا ثم وجه أبيه مطمئنًا، تذكَّر أن رودينا لم تظهر له وهو في تلك الحالة من الاسترخاء إلا أنه بعد ثوانٍ ظهر له وجهُ رودينا مبتسمًا ثم أحسَّ بعدم الراحة ففتح عينه وجد المدربة تقف بجانبه وتوجه له الكلام ولاحظ أن الموجودين بالقاعة ينظرون إليه، فشعر ببعض الحرج ونظر إلى ليلى مستفسرًا، ابتسمت ليلى وقالت له: "كنت باحاول أصحيك لكن الظاهر إنك دخلت في حالة استرخاء عميقة"، أجاب علي: «متأسف غالبًا أنا مرهق فنمت من غير ما أحس».

ليلى: «أبدًا أبدًا، ده طبيعي جدًا، أتمنى تكون استمتعت بالرحلة».

همس على لنفسه مندهشًا: «رحلة!»

قالت ليلى: «أيوه رحلة».

علي: «عرفتي إزاي إني قلت رحلة في نفسي».

ضحكت ليلى وتوجهت للمجموعة: «ودلوقتي حنبتدي الجزء العملي، ياريت تكونوا جبتم أدواتكم معاكم».

ثــم قامــت ليــلى بتوزيــع ورق مرســوم عليــه صــور مختلفــة مطبوعــة ليقــوم الحــاضرون بتلوينهــا وأوضحــت لهــم أن الرســومات تســمى الماندلا وهــي مــن الوســائل المعروفــة عــلى مستوى العــالم في التلويــن بغــرض إفــراغ التوتــرات والضغــوط التــي يشــعر بهــا المــرء، وتُســتخدَم مــع الكبــار والأطفــال أيضًــا، كــما يتــم اســتخدامها لعــلاج حــالات العنــف لــدى الأطفــال وبالمراكــز المتخصصــة لصعوبــات التعلــم.

انخــرط عــلى في تلويــن الصــورة الخاصــة بــه واســتغرق الأمــر أكثــر مــن ســاعة، بعــد الانتهــاء مــن ورشــة العمــل شــعر عــلى بالهــدوء والاســترخاء وأحــسَّ كأنــه طائــرٌ حــرٌ خفيــفٌ ثــم انتبــه إلى أنــه لم يشــعر بــأيٍ مــن الأعــراض التــي تســبب لــه صعــود الــدم إلى فمــه، فحــاول إبعــاد الفكــرة عــن ذهنــه واســتعاد حالــة الهــدوء والاســترخاء والراحــة التــي شــعر بهــا في أثنــاء الورشــة. وبعــد أن صعــد إلى منزلــه توجــه إلى غرفتــه دون أن يبــدل ملابســه واســتغرق في نــومٍ عميــقٍ.

**

صحــا عــلى صــوت جــرس التليفــون نظــر إلى شاشــته فوجــد اســم خطيبتــه، أغلــق الصــوت وعــاد إلى نومــه، ثــم انتبــه إلى أنــه يجــب أن يذهــب إلى العمــل فانتفــض مســتيقظًا ووجــد الســاعة قــد تعــدت الثامنــة صباحًــا فــأسرع إلى الحــمام ووجــد بعــض الدمــاء في فمــه، تمضمــض عــلى عجــلٍ وأخــذ دشًــا سريعًــا وانطلــق مسرعًــا إلى عملــه بعــد أن تنــاول مــع والدتــه وأختــه بعــض الساندوتشــات اللذيــذة التــي عــادةً مــا تُعدهــا لــه أمــه حتــي لا يخــرج إلا بعــد أن تطمئــن عــلى أنــه تنــاول فطــوره والشــاي باللبــن الــذي يعشــقه.

نـزل مسرعًـا ثـم اتصـل بخطيبتـه ليخبرهـا بتجربتـه الجميلـة وكيـف أن رسـم اللوحـة ورجوعـه إلى شـغفه أثَّـر عـلى نفسـيته بالهـدوء والاسـترخاء ثـم حضـوره ورشـة العـلاج بالفنـون وأخـذ يتكلـم ويحكـي حتـي فوجـئ بمقاطعـة رودينـا لـه «إيـه يـا عـلى الـكلام ده.. بقـى أقـول لـك روح لدكتـور نفسـاني أو تشـوف دكتـور باطنـة تقـول لي رسـم وعـلاج بالفنـون، أنـا مـش مقتنعـة بالـكلام ده خالـص عـلى فكـرة، ولازم تبتـدي تتحـرك في موضـوع التعـب الـلي عنـدك ده، بـص أنـا حاقفـل دلوقتـي لأني باعمـل شـعري عنـد الكوافـير ومـش حاعـرف أكمـل كلام معـاك، نتكلـم بالليـل، بـاي».

أحـس عـلي أن هنـاك دشًـا بـاردًا نـزل فـوق رأسـه، وشـعر بإحبـاط شـديد وتذكـر مقولـة العـراب أحمـد خالـد توفيـق عـن الخـذلان حيـث قـال إنـه كطفـل هـرول إلى أمـه باكيًـا لتحتضنـه، فتلقـى صفعـة ليكُـف عـن البـكاء.

بعـد مـرور عـدة أيـام تذكـر عـلى الدكتـور نـادر وهـو عائـد مـن عملـه المسـائي، فاتصـل بـه وابتسـامة عريضـة تمـلأ وجهـه وأخـذ يحكـي لـه عـن تجربتـه مـع الرسـم والعـلاج بالفنـون وكيـف أن حالتـه النفسـية والصحيـة أفضـل بشـكل ملحـوظ حتـى إن والدتـه وزمـلاءه بالعمـل لاحظـوا ذلـك.

عـاد إلى منزلـه منهـكًا مرهقًـا بسـبب العمـل والذهـاب إلى جلسـات العـلاج بالفنـون ثـم السـهر عـلى لوحـات جديـدة تشـعره ببهجـة الحيـاة، توجـه إلى فراشـه واسـتلقى محدقًا بسـقف الغرفـة، ومر شـريط حياتـه أمامـه مـا بـين ذكريـات سـعيدة وحزينـة ومجموعـة مـن الصدمـات التـي أنهكـت قلبـه حزنًـا، وتذكـر جدتـه الحنـون وكيـف كانـت تهتـم بـه وتمنـع أمـه وأبـاه مـن أن ينهـراه وتذكـر كيـف حـزن عليهـا بعـد وفاتهـا وفوجـئ بدموعـه تنسـاب عـلى وجنتيـه، أحـس

بحنين غريب وشعر برعشة خفيفة بجسده النحيل، وقرر أن يحجز جلسات العلاج بتحرير الصدمات مع اللايف كوتش سلمى كما أشار عليه الدكتور نادر الذي حظي بثقته مؤخرًا نتيجة توجيهاته التي أثبتت نجاحها خلال أيامٍ قليلة.

ذهب في الموعد المحدد لجلسة تحرير الصدمات، ولاحظ أن الحجرة المخصصة لها هادئة ويغلب عليها الألوان الفاتحة وتنساب موسيقى ناعمة من أرجاء الغرفة، أجلسته المساعدة على كرسي مريح كالشيزلونج الذي يراه في الأفلام القديمة، شرد بذهنه قليلًا لحين حضور الكوتش سلمى.

**

حضرت سلمى وبيدها دفتر أورق وأقلام وبدأت تسأل عليًا: «انت هدفك إيه من الجلسة يا علي؟»

أجاب: «أنا زي ما قلت لك في التليفون إني بأحس فجأة بدم في بوئي مع غثيان، ده غير الإحراج لو ف وسط ناس“

سلمى: «يعني انت هدفك التخلص من الدم ولا عايز تعرف السبب؟»

علي: «الاتنين“ مشيرًا بأصابعه ثم متسائلًا: “هو ممكن أعرف السبب؟ »

سلمى بابتسامة مريحة: «بإذن الله، بس ده بيتوقف عليك».

علي: «إزاي؟»

سلمى: «عايزاك في الجلسات تدي لنفسك ولروحك الفرصة إنها تتعرف عليك أكتر»

علي مندهشًا: «معلش.. بس أنا مش فاهم».

سلمى: «حتفهم وإحنا في الجلسات إن شاء الله». بدأ صوت سلمى ينخفض بالتدريج وقالت: «عايزاك تقعد على الكرسي ده وتغمض عينيك وتركز مع الموسيقى ومع صوتي، وتتنفس زي ما حاقول لك بالظبط.. تمام؟"»

أشار علي بإصبع الإبهام ما يعني أنه تمام. فبدأت سلمى جلسات التأمل والتوجيه لعلي.

وتابع علي جلسات العلاج بالفن والألوان مع جلسات تحرير الصدمات مع سلمى بالإضافة إلى مواصلة تخصيص وقت لرسم لوحاته، وبدأ يشعر بالراحة وانخفضت مرات وصول الدم إلى الفم، واستعاد بعض الذكريات الخاصة بعلاقته بوالده ووالدته كما ظهر له في أثناء الجلسات مدى أنانية ونرجسية خطيبته رودينا وانزعاجه الشديد مع تذكر مواقف لم يكن يشعر فيها بالراحة من ردود أفعالها وأحيانًا غلظتها.

بعد مرور ٣ شهور، ذهب علي إلى الدكتور نادر بعيادته ليدعوه لحضور المعرض الجماعي الذي سيشارك فيه ببعض اللوحات التي رسمها في أثناء فترة علاجه، وكذلك ليشكره على نصيحته بعد أن شفي تمامًا واستعاد نفسه وروحه.

ابتسم الدكتور نادر ابتسامة عريضة: «ألف مبروك يا علي، إيه يا عم الغيبة الطويلة دي، مبروك على الشفا وعلى المعرض، لازم آجي بإذن الله، بس فهمني إيه حكاية استعادة الروح دي؟»

علي ضاحكًا: «دي حكاية طويلة، لازم تحضر جلسة علاج بالفنون وجلسة تأمُّل مع سلمى عشان الموضوع يبان لك أكتر، «آه نسيت أقول لك أنا وسلمى اتخطبنا».

دكتور نادر: «ألف ألف مبروووووك معقولة وأنا ما أعرفش، طب انت ما قلتليش مش كانت سلمى تبلغني، أنا معزوم على الفرح من دلوقتي، بس قل لي.. انت مش كنت خاطب وحتتجوز واحدة تانية؟»

ضحك علي وقد بدا في عينيه بريق جميل: «ما هي دي استعادة الروح».

***

كانت تشبهني

بقلم: مي الجريسي

انبلج الفجر من خلف البحر الفيروزي، يداعب الأمواج الرقيقة القادمة من الأفق، في سباق سرمدي لتنال سجدة شوق عند أقدام الشاطئ الرملي، كآلاف المريدين الذين يذوبون في حضرة وليهم، ملقيين حملهم الثقيل على أعتابه.

انهمكت أعبث بالرمال في ضيق وضجر، أمسك بالألعاب البلاستيكية زاهية الألوان، فتارة ترتفع الرمال بين يدي قصور وتارة أخرى أغوص في حفرة تلون ضفائري الشعثة بلون بني فاتح، ليرسم مع اللون الأبيض الذي تركه على جبيني ملح البحر ووجهي الملوّح صورة لمصايف تلك الأيام البعيدة، كانت أعوامي الثمانية تعشق الصيف والمصيف، ولكن تلك الصيفية كانت مختلفة عن سابقتها.

«لن ترافقنا خالتك وبناتها إلى المصيف هذه السنة، فهم ذاهبون إلى (رودس) مع أصدقاء لهم» لا بُدَّ أن أمي قد رأت الإحباط على وجهي لأنها سرعان ما تابعت بلين:

«ولكننا سنذهب لمكان جديد سيعجبكم» زممت شفتيَّ وسكتُّ. لم يبالِ إخوتي الأصغر مني سنًّا، فلخالتي تلك ابنتان

تماثلانني في العمر، بينما كان شقيقاي دائمًا رفقاء لبعضهم البعض، أما أنا فاحزنني الخبر أيما حزن.

مرت الأيام رتيبة وأنا ألعب وحيدة، أطلب من أبويَّ أن يشاركاني اللعب أو السباحة، فيستجيبان حينًا ولا يفعلان معظم الأحيان، فبقيت ألهو بلا رفقاء.

- هل يمكنني أن ألعب معك؟

رفعت عيني ونظرت بفضول للسائلة الواقفة فوق قصري الرملي، وأمعنت النظر في وجهها، بدت في نفس عمري، ترتدي فستانًا أبيض واسعًا منقوشًا بدوائر ملونة، بينما ضفائرها تؤطر وجهها الباسم وتتلوى بشريطة بيضاء لتنعقد فيونكات على كتفيها. شعرت بالفرح والألفة وفكرت في نفسي (ما أجمل هذا الفستان، كم تشبهني هذه الفتاة الصغيرة)، ابتسمت لها مرحبة فاتسعت ابتسامتها وهرعت لتبدل فستانها بلباس البحر، ثم سرعان ما انضمت إليَّ في اللعب واللهو.

أذكر عن صديقتي تلك أنها كانت لطيفة، أسعدتني برفقتها ولين جانبها. كانت سهلة في لعبها، رقيقة في حوارها، لم أجد منها كبرياء كما كنت أجد من قريباتي وصديقاتي الأخريات أحيانًا.

قضينا اليوم بمرح واستمتاع، أمازح صديقتي وألهو معها بالرمال ثم إذا فرغنا انطلقنا إلى البحر نخوض الأمواج ونضحك حين تداهمنا فنهرع هاربين. كانت أمي تطعمنا سويًّا، فأمها لم تمانع أن تقضي صديقتي اليوم معي، حتى إذا غابت الشمس، وقفت أمها عند باب غرفتهم المطلة على الشاطئ تناديها بإصرار. عندئذ التفتت لي صديقتي بحرج واضح، واعتذرت مني أنها يجب أن تذهب لتساعد أمها في استحمام أخواتها الصغار،

ذهبت مسرعة واختفت خلف الباب. بقيت أنا أنتظر أن تعاود الظهور ولكنها لم تفعل إلا مع ميلاد صباح جديد.

اعتدت على وجود صديقتي في مصيفي الذي لم يعد وحيدًا بوجودها، فقضينا معظم ساعات النهار سويًّا، ونسينا أنفسنا في اللهو والضحك، حتى اختفاءها مع حلول الليل لم يعد يضايقني.

ثم جاء ذلك اليوم الحزين الذي ظهرت فيه صديقتي بفستانها الأبيض ذي الدوائر الملوَّنة لتبلغني أنهم عائدون إلى العاصمة، وأننا قد لا نتقابل من جديد، وأوصتني ألَّا أنساها. حزنت لفراقها ولكن بطبيعة أحوال الصغار، لم يدم حزني طويلًا، فسرعان ما انقضت الأيام الباقية من الصيف وعدنا منها ببشرة لوحتها الشمس.

وكما انقضت الإجازة بسرعة، أعقبتها أعوام الطفولة في رحيلها العاجل، وأنا لا زلت أتذكر صديقتي الصغيرة، فوجهها لم يفارق خيالي، كنت إذا شعرت بالوحدة أو تشاجرت مع بعض أصدقائي، استرجعت كيف ظهرت في حياتي وقضت معي أيام من الطفولة اللذيذة الممتعة.

كبرت وكبرت معي أحلامي، حتى إذا بلغنا المراهقة وبواكير الشباب، عزفنا عن الذهاب لحديقة المراجيح حيث كنا نلهو صغارًا، أصبحنا نذهب للنادي لنتمشى ونقابل الأصدقاء متحاشين المرور بتلك الحديقة، حيث تجتمع الأمهات بأطفالهن، فقد كنا في عيون صبانا الغض، شابات لا يليق بنا أن نتواجد في مثل تلك الأماكن المخصصة للصغار.

حتى كان يوم خريفي لطيف النسمات، يرحب بدخول المدارس ويبشر بشتاء غير بعيد، كنا أنا وزميلاتي نتمشى

متأنقات بثيابنا التي تحاكي أحدث صيحات الموضة في عالمنا الصغير، واضطررنا أن نمر على عجل بجوار حديقة الأطفال. فمن بين المراجيح لمحت طيف فتاة تحاول الاختباء خلف أعمدة الألعاب النحيلة، وفي محاولتها الفاشلة لفتت نظري إليها.

كانت هي.. صديقتي القديمة فأنا أبدًا لم أنسَها.

ولكنها لم تعد تشبهني..

فستانها الأبيض ذو الدوائر الملونة استحال مريول رمادي كئيب المنظر، ولم تعد جدائل شعرها مزدانة بالشرائط البيضاء، ولكن احتجبت خصلاتها خلف منديل ممزق.

عندها فهمت لمَ كانت تختفي كل ليلة لتساعد أمها ولا تعود، عرفت أن تلك السيدة لم تكن أمها أبدًا وأن هؤلاء الأطفال لم يكونوا إخوتها. تألمت من أجلها، صديقتي اللطيفة.

أشحت وجهي عنها لأجعلها تظن أنها استطاعت أن تحتفظ بالسر الذي أخفته عني أنذاك، أكملت طريقي بقلب ثقيل، أفكر كيف كانت تشعر صديقتي الصغيرة وهي تخرج لتلعب معي ثم تضطر للعودة لمباشرة أعمال لا تمت للطفولة بصلة.

أسرعت الخطى مبتعدة عن صديقتي بلا سلام..

صديقتي الغالية اللطيفة..

صديقتي التي لم تعد..

تشبهني

***

لن أسألك البقاء

بقلم: سناء السمان

أعرف رسالتي لن تقرأها ذهبت أو بقيت، فهي مجرد ورقة ضمن أوراقي ربما تراها يومًا وتعرف ما أخفيت عنك من مشاعر وربما لا.

أتعرف عندما تغيب عني لا أعرف متى سأراك مرة أخرى، أو هل سأراك أو لا، ولكن أعرف أني سأتذكر كل شيء، منذ يومك الأول ومنذ ميلادك كنت أمام عيني أيقنت أني سأكون أمك وحسب وستكون عالمي، ستكون كل شيء لدي، الأيام تمر سريعًا أراك أمامي الآن تحبو ثم تستند وتتكأ وتحاول أن تخطو وحدك فأشد على يديك وأشجعك لأولى خطواتك فتقف وتمشي وتركض أمامي في كل مكان، كنت تتلعثم في الكلام وتحاول أن تنطق خلفي كلماتي فتمر الأيام وتصبح كلماتك أكثر وضوحًا، وتمر الأيام فتحاور وتتناقش وتطلب بعد أن كنت تبكي عندما تريد الأشياء أصبحت تسألني تقبل وترفض رأيًا لي، تحتاج مساعدتي أحيانًا وأحيانًا أخرى تذهب إلى عالمك الخاص فتغلق باب غرفتك عليك، مررت معك بمراحل دراستك في المدرسة ثم الجامعة أصبحت أكثر اعتمادية على ذاتك حقًا، ولكنك يومًا لم تشعر إلا أنني خلفك أدفعك أمامًا أتمنى وأدعو لك وأسهر

على راحتك، أراك تنجح معي فأشعر كم أنا نجحت معك تتفوق في دراستك فأسعد أكثر من سعادتك، تتألق في رياضتك المفضلة التي اخترتها بنفسك لا التي اخترتها لك، تمر الأيام وتوشك على نهاية دراستك الجامعية أخذت قرارك بنفسك ستذهب ستسافر وتتركني وحدي، أأصبحت تشعر أنك لا تحتاج عنايتي ولا وجودي؟؟؟، كنت دومًا تحمل نتائج قرارتك مثلي على كتفك دون أن تتراجع، واليوم لن أسألك البقاء أو التخلف عن قرارك ولكني.. سأسألك إن غبت عني هل تعرف أنني أصبحت لا أقوى على المشي وحدي دون يديك، لا أقوى على الأكل دون أن تساند يديَّ، هل فكرت فيما ستصحب معك من أشيائك في عالمك الجديد، أتعرف أنك ستترك شيئًا منك في عالمك هنا؟؟ أتعرف أنك لم تنهِ مهام عالمك القديم ولم تغلق أبوابه بعد؟؟، أتعرف ستتركني يومًا وسأتركك دون إرادتي، والآن كنت أتمنى لو أستطيع أن أرجوك أن تنتظر فستظل عصاي التي أتكئ عليها ما تبقى من العمر ولكن علمتك كيف يكن لك عالمك وحريتك فاصنع بهم ما شئت.

***

من لندن

بقلم: سناء السمان

كان اليوم الأول للقائنا غير متوقع، فلم أكن استعددت بعد لمواجهتها، فقد كنت أخشى فقدَها يومًا فهي الوحيدة التي استطاعت أن تعيدني للتواصل مرة أخرى مع الآخرين بعدما كنت قد فقدت قدرتي على التواصل مع العالم الخارجي بطريق مباشر بعد حالة من الإحباط واليأس وسنوات طوال من محاولات أن أجد مَن يؤنس وحدتي، صديق أو قريب أو حبيبة أو زوجة، كنت قد تخرجت من المدرسة إلى المرحلة الجامعية ومع اختلاف المراحل الدراسية كان اختلافًا أيضًا في الالتزام وبدأ حفظ القرآن وارتداء الجلباب وإطلاق اللحية، لم يكن ذلك لي انسياق إلى فكر متطرف أو عادات متشددة، ولكنه كان محاولة للتقرب إلى الله والتنزه عن أمور الدنيا، ولكن ذلك أثار حفيظة الجميع في التقرب مني أو التعامل معي كشخص بعيدًا عن لحيتي أو ملبسي، ابتعدت عن الجميع وانطويت على نفسي وحملت معي طموح التفوق وأنهيت دراستي بتميُّز، وحاولت خوض سوق العمل بثقة شخص مميز يحمل العديد من الشهادات الحرة بجانب شهادة التخرج، ولكني فوجئت بصد رهيب من الجميع في محاولة منهم إثنائي عن لحيتي، ودب اليأس بابي عندما اضطريت لأن أقبل بعمل أقل من قدراتي لمواجهة

أمور الحياة وكسب الخبرة، وكنت في ذلك الوقت في انتظار ترشيح الجامعة لي لإحدى المنح التي أستحقها للدراسة في لندن ولكني لم أنَل الترشيح بعد أن بنيت آمالًا وأحلامًا، وبدأت في القراءة عن البلد وعن عادات شعبها وعن شوارعها، وبدأت نفسي تهدأ بعض الشيء لأنني سأنتقل في بلد آخر لن تميزيني عن غيري بمظهري، ولكن سرعان ما أطاحت بي الدنيا أرضًا بعدما عرفت أنه تم ترشيح شخص آخر، وحاولت البحث عن ما يشغلني ليخرجني إلى بصيص أملٍ في الحياة فقررت البحث عمَّن تشاركني رحلتي وتكن ونيستي الوحيدة، وتطرقت لطرق التعارف المختلفة عن زوجة تتناسب معي، وتذكرت ذلك الشاب الذي كان يجلس بجواري في أحد المطاعم القريبة من منزلي وهو يحادث صديقته عبر الإنترنت، وقررت خوض التجربة والتقينا ولم أكن أتوقع أن تتلاقى أرواحنا وأفكارنا معًا بسرعة فقد مرَّ على حديثنا شهرٌ واحدٌ لم يَشُبه إلا كذبة واحدة، فقد أخبرتها منذ البداية أنني أقيم في لندن نعم إنها مدينة أحلامي وقد قررت أن أخوض معها جميع أحلامي فقد كنت أصدِّق حلمي حتى إن المطعم الذي كنت أتردد عليه تحمل أحد جدرانه لوحة كبيرة رسم فيها أحد أهم شوارع لندن، وكانت اللوحة كبيرة وواقعية لدرجة تشعر من يشاهدها بأن جلوسه على الطاولة المقابلة لها تعني أنه دخل لندن وبدأ يجوب شوارعها، وبالفعل فإنني تحدثت معها عدت مرات عبر كاميرا الموبايل من أمام اللوحة حتى أيقنت أنني أجلس يوميًّا لأخذ قهوتي في ذلك الشارع العريق من لندن، فكرت مرارًا أن أصارحها ولم أستطع وكنت أخشى كثيرًا فقدها وأصبحت أخشى مواجهتها وأباعد في أوقات الاتصال بها، إلى أن ارتضيت مع نفسي بأن أخبرها

أنني سأعود لألقاها والمكوث في مصر ولم يكن لدي سبيل آخر، ورتبت كلماتي وهممت بالاتصال بها فوجدتها تدق الهاتف وأجبتها وأخبرتها ما قررت وسألتها عن أحوالها كالمعتاد وعن يومها، فأخبرتني أنها في الطريق للقاء صديقه لها تنتظرها في أحد المطاعم وتمنيت لها وقتًا سعيدًا وأغلقت الهاتف على أن تحادثني عندما تعود إلى المنزل ورفعت عيني من الهاتف وأنا أغلقه فوجدتها تقف أمامي تنظر لي وللوحة في حالة ذهول.

***

أرواح تأبى الرحيل

بقلم: سناء السمان

انتقلت منذ شهرين إلى المنزل الجديد في المدينة الجديدة ذات الشوارع الواسعة والخضرة التي تملأ المكان والراحة النفسية، لا أحد يجرح خصوصيتي أو يلتفت إلى عندما أقف في البلكونة أو الشباك، الحياة هنا غير حياة وسط البلد المليئة بالبشر الذين يستطيعون أن يقتحموا حياتي دون استئذان، الشعور بأنك قد تكون في مكان غير مراقب يشعرك بأنك في حالة من الاستجمام والراحة، الأيام تمر على في سلام والعمل لا يبعد كثيرًا عن هنا والأجمل أن لدي ابنة جميلة تؤنسني بعدما أصبحت وحيدة بعد وفاة زوجي، شهران استمتعت فيهما بكل اللحظات مع ابنتي، ولكن الأيام الجميلة لم تَدُم والإحساس الذي استطعت أن أهرب منه بدأ للعودة سريعًا إحساس أنني مراقبة تحت أعين أحدهم، ليلًا وعلى غير العادة السكون يحل المكان إلا من ذلك الصوت التي ظهر فجأة أنه صوت صفير شخص ما بالقرب من شباك غرفتي، نظرت من الشباك فوجدته يقف وينظر إليَّ وكأنه أنتظر قدومي ولكنه لم يتحدث ولم يغير اتجاه نظرته الثابتة إلى ولم يأبَ لأنني أغلقت الشباك أم لا، ظللت أقف خلف الشباك أراقب وقوفه الذي لم يتغير حاله حتى بعد ساعتين كاملتين. مللت الوقوف واتجهت إلى سريري وشرعت في النوم فوجدت صوت

صفيره يعلو، تجاهلت الصوت وغفوت واستيقظت لأكمل يومي كالمعتاد وحلَّ الليل في سكونه ولم يهدأ صوته ولم يتغير حاله عن الليلة السابقة ومرت أيام لا أعلم كم عددها واعتدت قدومه وصوت صفيره وتجاهلت وجوده، ولكن في كل يوم كان يؤكد لي أنه ربما يراني في كل يوم يهدأ صفيره بعدما يراني ويعلو مرة أخرى بعد أن أشرع إلى النوم كنت قد سألت ابنتي يومًا أن تنام جواري، ولكنها وبالرغم من السكون التام لم تسمعه وعندما وجدتني أفتح الشباك لم تأبَ أن تسألني عن الصوت، تعمدت أن تمر الأيام وأنا أتجاهل أحيانًا صوته وأنتبه أحيانًا أخرى فأعرف أنه يرقبني بطريقه ما وأنه يعلم متى أرقبه ومتى أقف خلف زجاج غرفتي، بدأ يكرر فعلته نهارًا وبدأ وكأنه أصبح يحاوطني ليلًا وينتظرني نهارًا عند قدومي من العمل، أصبحت أظن أنه يعرف عني الكثير وأصبحت أشعر بالحيرة من أمره فهو لا يتحدث أبدًا ولا يحاول الاقتراب مني، ولم تلحظه ابنتي أبدًا منذ قدومنا، وبدأت أشعر بأمر ما غريب عندما أطلت النظر إليه فهو ينتظر تحت الشباك منذ الواحدة صباحًا حتى صلاه الفجر إلا أنه يرحل فجأة دون أن ألحظ متى رحل وإلى أي اتجاه بالرغم من أنني أنظر وأدقق النظر في عدة أيام كي أرى من أين يأتي أو إلى أين سيرحل، كان لدي الفضول أن أعرف إلى أي منطقة ينتمي وفي أي مكان يسكن فلا بُدَّ وأنه مكان قريب جدًّا فهو يرحل في طلعة النهار ويعود مرات ومرات على مر اليوم منذ عودتي من العمل إلى أن يسكن الليل ويظل في وقوفه الساعات والساعات، مرت أيام وأنا أحاول لفت انتباه ابنتي إليه علها تسأل عنه أو تلمح أنها ترى شخصًا غريبًا، ولكنها لم تفعل، جاء يوم في ميعاد قدومي من العمل فوجدته يقف أمام

العمارة التي أسكنها بثبات وفكرت أن أعبر إليه وأسأله عن سر وجوده، ولكنني أبيت أن أبدأ بالحوار، ادعيت أنني سأسقط من على الرصيف كي أعطيه الفرصة أن يقترب أو يتكلم ولكنه لم يفعل، ندهت على البواب وسألته عنه من يكون ربما رآه من قبل والتفت فلم أجده وأخبرته أنه يأتي أحيانًا مساءً، وطلبت منه أن يوقفه لو رآه ويسأله عن سر وقوفه ولكن الأيام تمر ولم يره بالرغم من أنه يأتي في موعده المسائي، قررت في يوم أن أتصل بالبواب فجرًا كي يخرج له ويبعده عن تلك الفعلة المسائية من وصلة الصفير المتصل ولكنه أخبرني أن لا أحد يقف بالقرب من العمارة ولكنني أراه إلى الآن من الشباك، أراه بنفس الوقفة ونفس الصفير، وكيف لم ألحظ يومًا أن لا أحد يقوى على الصفير كل هذه الساعات دون توقُّف، وما يعني أن لا أحد غيري يراه ولا أحد يسمع صوته، ماذا يعني أن ينظر إليَّ فلا تهتز عيناه أو يذهب فجأة دون أن أراه، اتخذت قراري أن أفهم ما يحدث حولي وكيف يفاجئني بحضوره وكيف يفاجئني برحيله وقررت أن أذهب إليه وأسأله عن سر مطاردته لي، وانتظرت قدومه في ميعاد رجوعي من العمل فهو الوقت الأنسب عن الوصلة المسائية المعتادة، واتجهت صوبه وعيناي تنظران إليه وكأنني أخبره أنني قررت مواجهته ولكنني اضطررت في لحظة أن أنظر نحو السيارة القادمة وأنا أعبر له الشارع ورفعت عينيَّ، ولكنني لم أرَه لقد ذهب فجأة، ولكن كيف بهذه السرعة يغيب عن الشارع ولا أراه يمينًا وشمالًا.

***

كريمة المهندسة واللقاء مع عمرو

بقلم: محسن صالح

شمس الطالبية غربية هذه الأيام، كريمة في الدور الرابع هناك في شقتهم المطلة على الشارع الرئيسي أمام شركة الأدوية الوحيدة في المنطقة، شركة هادئة على غير عادة الشركات الأخرى المجاورة للسكني حيث حالات العراك التي لا تنتهي، الكل هنا هادئ فيما عدا عم برادعي البقال الذي يتردد صوته من آنٍ لآخر على من بجواره من المحلات ويتضاحك الكل من أفعاله وحركاته وطيبة قلبه رغم علو صوته "الحياني" كما تقول أمي.

تنشر كريمة الغسيل وتتزاحم في رأسها العديد من الصور التي تتقابل وتتنافر وتتقافز في غليان عجيب، أنه اليوم السادس عشر من مارس عيد ميلادها القريب إلى قلبها، لقد بلغت الثلاثين ولا جواز هناك في الأفق، فقط نظرات من حولها، نظرات تطعنها وتقلق عليها حياتها. تحس في كلماتهم الصامتة بالشفقة للدرجة التي جعلتها ذات مرة تنفجر فيمن حولها: «يقطع الجواز وسنينه».

هي خريجة الهندسة، الحياة لديها معادلة رياضية محسوبة

الجوانب، لا تحب السطحية في الكلام حتى ولو على سبيل المجاملة، لا تحب الكلام التافه الخالي من المعنى دائمًا صادقة في كل ما تقوله وتعبِّر عنه لدرجة أن من يعرفنها يقولن لها أن تتخفف قليلًا من هذه الحالة حتى تتماشى مع مَن حولها. ستقابل غادة صاحبتها من أيام الدراسة الجامعية وكم من المرات ساعدتها في تذليل عقبات بعض مقررات الجامعة المعقدة. اللقاء في نادي شباب الجزيرة، حينما ذهبت وجدتها ومعها صديقة وشاب. سكتت وأخذت غادة تكلمها ليدور الكلام وتفاجأ بأن الشاب الذي يجلس معهم يتطابق معها في كل شيء وفي ذات طرق التفكير. حينما جاء الكلام عن أحد الموضوعات العامة وجدته يحلله على نحو عجيب وعميق بل ويكاد يذكر بعض المعادلات الرياضية في كلامه للدلالة على دقته في التحليل. أراد أن يتوقف عن الكلام ولكن كريمة أومأت برأسها له أن يكمل وظلال ابتسامة خافتة تلوح على وجهها. غادة صامتة وتحس بتوافق غريب بين كريمة وعمرو، بل تتعجب حينما وجدت أن كريمة قبلت توصيله لها، وهما لم يتعرفا إلا من ساعتين فقط، في طريق عودته حيث يسكن مع والديه في إحدى الشقق الجديدة القريبة من ترعة المريوطية في الهرم.

لم يمر شهران حتى كانت خطوبة كريمة وعمرو وبعد ثلاثة أشهر كان الزفاف والسفر إلى إحدى الدول الأوربية. الآن تمر السنة العشرون على هذا الحدث وكريمة مع زوجها في لندن وقد فازت بعدة جوائز هي وزوجها وأولادها الثلاثة وابنتاها. أسمع كلامهم وأرى ملابسهم في أحد البرامج التي تتناول نجاحات المغتربين، فأشعر بالقلق والضيق من نفسي وأنا الآن في

الأربعين وقد تزوَّج أحد أولادي والدور على الثاني وأنا مُطلَّقة منذ أكثر من عشر سنوات وأجتر الماضي حتى هذه اللحظة الكئيبة دونما استغلال حتى لموهبتي في الموضة والتي كانت ستدر عليَّ ربحًا طائلًا وأنا الموهوبة فيها.

***

الباب الحديدي

بقلم: محسن صالح

نفس الباب الحديدي القديم الذي كنت أراه عند خالي الأكبر، الباب العريض الثقيل، ذو الصوت الحاد المكتوم. نفس عيدان الحديد العريضة الضخمة التي يعلوها الصدأ، عمر هذا الباب من عمر المنطقة التي جاء منها أنه قديم يحكي خالي عنه وظروف شرائه لأبي ليحل مكان الباب الخشبي الذي اهترأ منذ ثلاثة أشهر، وكيف أنه كان بابًا في إحدى العمارات القديمة، قال مَن باعه لنا إنه باب مسكون، لكن أبي نهره وقال له: «بلاش كلام فارغ» حكى لنا أحد البوابين القدامي بأن دماء كثير من البشر غطت هذا الباب حينما كان صاحب العمارة يتعارك مع تجار الكيف الآخرين، وأنه شاهد بنفسه خمس جثث مغطاة بالدم ترتكن عليه. يتملكني الرعب أنا وأخواتي البنات فننكمش في أبي الذي يضحك وهو يضمنا لصدره الواسع العريض كأنه باحة دار خالي الأكبر والتي نجد فيها تكعيبة العنب والنخلتين. في المساء وحينما يغلق أبي النور، ننكمش في صدره حينما نسمع صوت صرير الباب لنكتشف أنه أخي الأكبر الذي عاد من عمله. يرانا فيضحك ويضحك أبي وتضحك معهما أمي، أنا وأختي الصغرى نظل في خوفٍ حتى ننام.كم من المرات غطت

دماء الأضاحي هذا الباب من الداخل حينما كانت ترفس آخر رفساتها في حياتها الدنيا قبل أن تتلقفها سواطير عم أبو ياسر الجزار العجوز المحنك. نأكل كبدة الخروف الصغير ونضحك أنا وأختي ولكن مع قدوم المساء وظلام صالة الدور الأرضي من منزلنا، نجري إلى داخل حجرة النوم لننكمش تحت السرير خوفًا من الباب المسكون لنكمل لعبنا حتى ننام.

ذات ليلة سمعت أبي يهمس في أذن أمي: الباب دا لازم نغيره، سكت حتى يكمل كلامه لكنه لم يكمل. علمت بعد ذلك أنه كلما حاولوا أن يصلحوه أبي أو أخي أو خالي، فإنه يحدث لأي منهم مكروه إصابة في يده أو انزلاق على الأرض ينجم عنه كدمة أو أكثر في الساق أو الفخذ أو خلافه. وأخيرًا انغلق فجأة على أحد أصابع أخي الأكبر الذي سبَّه بصوتٍ عالٍ وهو يقول «باب ملعون» في اليوم التالي انغلق الباب على إصبع آخر من ذات اليد. أختي الصغري انكسر أحد أصابعها من جراء هذا الباب الذي انغلق فجأة. لم يمر أسبوع إلا وأبي يرتطم به في وجهه وينزف دمه. لقد جاءت هذه الأحداث على نحو غريب جعلني لا أقترب من الباب مطلقًا. حينما نزعناه من الحائط وجدنا صوت نزعه كأنه صراخ أو مواء عالٍ. قذفناه في الشارع حتى تم بيعه خردة للمعلم داوود.

أتذكر هذا الباب الآن وأنا أنظر إلى الدولاب الخشبي العجيب الذي أراه أمامي في حجرتي والذي اشترته زوجتي من أحد أسواق بيع الأثاث القديم والذي أحسست بعدم راحة حينما شاهدته بل يملؤني القلق من وجوده بلونه البني المحروق ورائحته المميزة وخاصة بعد أن رأت ابنتي بالقرب منه في الظلام

ما يشبه كلبًا أسود كبيرًا. تذكرت ما حدث مع الباب الحديدي القديم منذ مايربو عن عشرين عامًا وأنا أردد في نفسي ما أقرب الليلة بالبارحة ويدور في رأسي أن الجمادات لها عالمها الذي لا نراه بل ينفلت أحيانًا لنحس به ونشاهده وأنا أكمل قراءة القرآن الكريم في حجرتي بعدما تم بيع الدولاب بثمن بخس، وكأنني أحصن المكان من تأثيره وأفاعيله في حياتنا.

وفاة سامية

بقلم: محسن صالح

هي تعرف فقط كيف تعبر عن نفسها ولكنها الآن خائفة للغاية من الموقف برمته، الموقف صعب ومعقد، فهذه هي المرة الأولى التي ترى فيها أختها الكبرى سامية هناك على سريرها لاتتحرك، بشكلها الأسمر المميز وجرمها الضئيل والذي صارت عليه منذ عام تقريبًا وهي تعاني من آثار داء السكري وارتفاع الضغط. تنادي عليها تهزها لا تتحرك. تتذكر غادة الطبيبة التي تقطن إلى جوارهما والتي كم من المرات أنقذتها في منتصف الليل في حالات الطوارئ، تهرع إليها تدق على الباب بشدة وهي تردد «دكتورة غادة إلحقيني، إلحقيني، أختي مبتتحركش».

تجري دكتورة غادة ومعها حقيبتها لتكشف على سامية ذات الستين، تتوتر حركاتها التي تنبئ عن قلقها لقد أحست أنه هناك خطبًا ما، فأخذت تكشف على إمارات الحياة في هذا الجسد الأسمر الذي عانى ويلات الأمراض في حياته كلها وبخاصة في السنوات الأخيرة حينما هجمت عليه الأمراض والتي معها غيرت شرايين القلب. ينهض محسن من نومه متوترا يحملق هو وأخوه فيهم فيما يدور حولهما لا يفهمان شيئًا غلالة النوم لا تزال تحوطهما، فأختهما سامية لم يمر عليها سوى ثلاثة أيام من

عودتها من الرعاية المركزة بإحدى المستشفيات الخاصة حيث كانت تعالج من مضاعفات مرض السكري الذي ضرب الكلى والقلب معًا.

جاء صوت الدكتورة غادة جادًّا سيبونا لوحدنا، لم يمر سوى بضع دقائق حتى جاء صراخ أختهم الصغرى منى كجرس الإنذار وإعلان عن نهاية حياة سامية وانتقالها لعالم آخر. اخترق صوت القرآن جدران المنزل وليعلن عن دخول الحزن لهذه الشقة. تنام سامية، التي حفظت القرآن الكريم وتفوقت فيه وكانت تتابع مع غادة حفظها له، على سريرها في وداعة وفي سلام لقد أنتقلت إلى بارئها ولم يعد هناك ألم ولم تعد هناك معاناة. ارتج الشابان من البكاء ودكتورة غادة هي الأخرى تمسح دموعها حيث لا تنسى دور سامية في احتضانها لها حينما ماتت أمها وهي شابة وظلت تبات معها حتى مرَّ عام على تلك الوفاة.

جاء صوت غادة عميقًا: «اللهم ارحمها وتغمدها برحمتك يارب» وأختها الصغرى منى تفتح المصحف على سورة «يس» ودموعها تختلط ببعضها لتشكل ضبابا أمام عينيها يجعلها لا تتبين ما تقرأه من آيات الذِّكر الحكيم.

صديقي عدنان

بقلم: محسن صالح

أغـرق في الضحـك حينـما أقابـل صديقـي عدنــان، نضحـك حتـى نمـلأ المكان ضجيجًـا ثـم نذهـب إلى مـكان آخـر وكلـما غيرنـا الموضـوع بترديـد آخـر النـكات والقفشـات، نعـود لـذات الحلـم الغريـب الـذي ينتابـه كل عـدة أشـهر، حلـم غريـب يـرى فيـه ترانيـم الاسـتعادة أمامـه كأنهـا أوراق الـبردي، يقرأهـا والغريـب أنـه حينـما يسـتيقظ يتذكـر فقـط كلمـة واحـدة. يغمـض عينيـه ويتذكـر خالـه، وبعـد عـشر دقائـق يسـمع صـوت خالـه عـلى الهاتـف، لم يأخـذ في بالـه حينـما تذكَّـر خالـه ثـلاث مـرات فوجـده كل مـرة يكلمـه بعـد ربـع سـاعة أو سـاعة عـلى الأكثـر. حينـما تذكـر والـده الـذي مـات وجـد عمـه يكلمـه يطمئـن عليـه ويذكـر لـه بـأن والـده جـاءه في إغفـاءة خاطفـة وقـال لـه: «اطمـن عـلى عدنـان». تذكَّـر أمـه التـي ماتـت منـذ خمـس سـنوات، فوجـد خالتـه تكلمـه في نفـس اليـوم وتخـبره بـأن أمـه جاءتهـا في المنـام وأخبرتهـا أن تكلمـه.

يصمـت عدنـان وهـو يمسـح دموعـه ويتذكـر زوجتـه التـي ماتـت في حـادث سـير، يقـول بأنـه حينـما يتذكرهـا وتتدحـرج دموعـه عـلى خديـه، بعدهـا بـأي فـترة كانـت تأخـذه سَـنة مـن النـوم فيراهـا أمامـه وهـي تسـأله كـما كانـت تسـأله في الدنيـا وتقـول لـه «عدنـان

اطمـن عـلى أنـا بخـير، خـلّي بالـك مـن نفسـك حبيبـي، ليـلى بنتنـا بخـير وحلـوة كـبرت هنـا وبقـت أمـورة، خـلِّي بالـك مـن نفسـك»، يكتـم صرختـه وهـو يخـبرني بهـذه الحالـة التـي تنتابـه.

كنـت حينـما أعـود مـن جلسـتي مـع عدنـان، أتوضـأ وأنـام وأنـا أدعـو الله أن أرى أختـي التـي ماتـت منـذ عـدة أشـهر فـلا ألبـث أن ألقاهـا وهـي تـردد عـلى مسـمعي: «أنـا بخـير حسـني، أنـا بخـير حبيبـي، خليـك مـع عدنـان، الـكل هنـا بيحبـوه» أنهـض مـن نومـي وأنـا أبكـي فرحًـا للقـاء أختـي التـي ماتـت منـذ عـدة أشـهر ولم أرَهـا مـن سـاعتها. ورد عـلى خاطـري أبي الـذي مـات منـذ عشريـن عامًـا فوجدتـه أمامـي بسُـمرته المعهـودة وضحكتـه التـي تميـزه والتـي تعكـس همـوم الدنيـا التـي يحملهـا ووجدتـه يخـبرني «بأنـه في خـيرٍ وأنـه فقـط يريـدني ألا أتـرك عمـي وأكـون بجـواره ويخـبرني بأنـه سـيأتي عنـده بعـد أربعـين يومًـا».

انتابنـي القلـق وظللـت عـلى مـودتي لعمـي حتـى مـرَّ ثمانيـة وثلاثـين يومًـا، أخـبرني بعدهـا أولاده أنـه سـقط أمـام البـاب وأصيـب بجلطـة في المـخ، مـات عمـي وكانـت عـلى ملامـح وجهـه شِـبه ابتسـامة قبـل أن ينتقـل إلى العـالم الآخـر حيـث أبي.

أتذكـر هـذه الأيـام وأنـا في السـبعين مـن عمـري وذلـك بعـد أربعـين سـنة مـن لقائـي بعدنـان الـذي كان دليـل خـير لي للقـاء عـالم الأمـوات مـن الأقـارب الذيـن تركـوني وتركـوا أقـاربي الأحيـاء وغـادروا مـن غـير رجعـة. أنـا الآن عـلى سريـر الرعايـة المركـزة وأصـوات كل مـن رحلـوا معـي وحـولي وهـم يخبروننـي سـتصلي الجمعـة القادمـة عندنـا فطلبـت مـن أولادي شراء جلبـاب أبيـض لي لصـلاة الجمعـة القادمـة في العـالم التـاني وهـم ينظـرون إليَّ ولا يتكلمـون بـل يبكـون.

أنا لست جميلة

بقلم: شيرين عادل

يـوم جديـد في كتابـة هـذه المذكـرات وبنـاء هـذه العـادة الجديـده الغريبـة

فلقـد قفـزت الفكـرة الـلي ذهنـي بعـد أن مـررت في أحـد ممـرات المدرسـة التـي أعمـل بهـا فأنـا أعمـل مدرسـة لغـة إنجليزيـة في مدرسـه كـما تعلمـون.

أو كـما لا تعلمـون. فأنـا لا أعلـم مـع مـن أتحـدث في الأصـل فقـد سـمعت أسـتاذ اللغـة العربيـة ينصـح تلاميـذه في الصـف السـادس الابتدائـي وهـو يـشرح لهـم مواضيـع التعابـير. كيـف أن الكتابـة عـلاج روحـي في حـد ذاتهـا. وأنـه مـن فـترة بـدأ يهتـم بالعلـوم الإنسـانية وعلـم النفـس. وعلـم النفـس الإيجـابي. أنـا لا أعلـم حقًـا مـا هـو علـم النفـس الإيجـابي ولكـن يبـدو أنـه علـم متقـدم مـن علـم النفـس. وهـل علـم النفـس بـه سـلبي وإيجـابي. حقًّـا لا أعلـم.

فبَعْـد أن اسـتغرق الأسـتاذ في شرح الأسـلوب التعبـيري وأنـواع الكتابـة ومـا إلى ذلـك. توقـف ولمعـت عينـه وبـدأ يحكـي للطلبـة كيـف تغـيرت حياتـه منـذ أن بـدأ يكتـب مذكراتـه وهـو في المرحلـة الإعداديـة، وأنـه بـدأ يـسرد تفاصيـل حياتـه ويتخيـل أنـه سـوف يصبـح في يـومٍ مـن الأيـام ذا شـأن عظيـم ويحتـاج كُتَّـاب الأفـلام

والمسلسلات إلى تفاصيل حياته فيفاجئهم بمذكراته. فكرة لطيفة هذا ما قلته لنفسي وابتسمت وأكملت طريقي بعد أن رفعت يدي وقلت له سلام عليكم، ولكن من دون ابتسامة لا أدري لماذا فلقد كنت ابتسم منذ لحظة. هل هذا خجل حقًا أم سوء أدب اجتماعي كما يقول الكبار.

آه الكبار أقصد بهم كبراء عائلتي. أبي وأمي وجدتي وعماتي وأعمامي وخالتي عائلتي دائمي التحدث في التجمعات العائلية وفي الأغلب يكون الحديث عن الناس. أو أنا بالأخص. عن سني عن طبعي عن حالتي الاجتماعية وعن شكلي. فأنا لست جميلة كما قالوا. لا كما دائمًا يقولون فلا أذكر متى أول مرة قيلت فيبدو أنها قيلت وأنا لا زلت جنينًا إذًا. آآآه لا أدري هل أضحك أم أبكي حقًّا، ولكن دائمًا هناك صوت يصرخ داخلي ويقول. قولي لهم كفى أقسمت لكم أني عرفت وصدقت أني لست جميلة شكلًا ولا موضوعًا.

أقول لكم شيئًا؟! أنتم من لا أعرف من سيقرأ هذا الكلام؛ فربما بعد وفاتي يجدون هذه المذكرات ويقرأونها وحين إذ سيعرفون كل ما يدور بداخلي وأنا صامتة.

المهم هذا الشيء هو أني توقفت عن النظر للمرآة منذ أكثر من خمسة أعوام؛ فأنا أنظر نظرة سريعة خاطفة لأتأكد أن ملابسي كل شيء في مكانه وأن حجاب رأسي مربوط بشكل منمق وشكرًا.

فأنا أكره المرايات فهي تذكرني بكلمة تصرخ داخلي بصوت مرتفع جدًّا. أني لست جميلة. فلماذا إذًا أنظر. هل خلق الله لنا أعين لنرى بيها القبيح؟! أبدًا فالله جميل يحب الجمال ومن المفترض أن أنظر لجميل صنعه وأسبح بحمد، ولكني أحيانًا

يـدور بداخـلي هـذا الـصراع أأأخ هـل هـذا اعـتراض عـلى صنـع الله فأنـا مـن صنعـه وهـل يصنـع أو يخلـق الله شـيئًا غـير جميـل.

فـإذا كنـت أنـا مـن صنـع الله وصنعـه كلـه جميـل فلـما يـصر الكبار عـلى أني لسـت جميلـة هـذا تفكيرهـم وهـم زرعـوه بي أنـا، فهـم مـن اعـترض عـلى خلـق الله. أسـتغفرك ربي.

مـاذا جـاء بي إلى هنـا ؟ ألم أكـن أكتـب مذكـراتي كـما قلـت في أعـلى الصفحـة؟! شيء غريـب كيـف أسـتغرق في كتابـة هـذا الـشيء وكأنـه تنويـم مغناطيـسي أو سـاحر يخـرج مـا بـرأسي ولا يخـرج أبـدًا مـن فمـي.

فلنغلـق هـذا الـشيء حـالًا ولنسـتعد للذهـاب للمدرسـة التـي أعمـل بهـا أنـا دائـمًا منضبطـة في موعـدي بـل أذهـب قبـل موعـدي. أعشـق النظـام والانضبـاط. أعشـق طـلابي ونظراتهـم ورائحتهـم في الصبـاح عـلى عكـس أغلـب زميـلاتي. أحـب العلـم والتطويـر مـن نفـسي دائـمًا في مجـالي. فلذلـك تـم ترقيتـي أسرع مـن أي أحـد في قسـم اللغـة الإنجليزيـة؛ فأنـا لسـت أكبرهـم سـنًّا ولكنـي رئيسـتهم جميعـا. وأيضًـا مسـند إليَّ أعـمال الإدارة. اعتـبر وكيلـة المدرسـة. ومسـؤولية عــن النشــاط الثقــافي في المدرســة كالحفــلات الســنوية والنشــاط الإذاعــي.

بالنسـبة للإذاعـة المدرسـية آآه هـذه قصـة طويلـة أريـد أن أكتبهـا الآن الكلـمات تزاحـم عقـلي، ولكنـي إذا استسـلمت للكتابـه سـأتأخر عـن موعـدي المعتـاد. سـأكتب لكـم أيهـا الغربـاء سريعًـا في الأتوبيس في الطريـق. لطالمـا أحببـت أن أشـارك في الإذاعـة المدرسـية لقـدرتي عـلى الكتابـة ولوجـود الكثـير مـن الأفـكار عنـدي وأيضًـا لإتقـاني للغـة الإنجليزيـة منـذ كنـت صغـيرة. ولكنـي كنـت دائـمًا أخشـى مواجهـة أعينهـم وحكمهـم عـليَّ، وكنـت أقـول لنفـسي أنـتِ لسـت

في حاجة إلى هذا الصراع خارج المنزل وفي هذا الساعة المبكرة في الصبح.

لقد وصلت سريعًا الكتابة ونسي الجديد، أسرعت الدقائق على ما يبدو.

أتدرون سآخد هذه المذكرات معي إلى المدرسة كل يوم فكرة رائعة. وعندما أجلس في غرفة المدرسات بدلًا من أسمع حكاياتهم وحكايات أسرهم التي حقًّا لا تهمني. أو أتصفح جوالي سأكتب والآن سلام أو إلى اللقاء.

عدت إليكم أيها القراء الذين حقًّا لا أعلم من أنتم. يا ترى أين ستقع هذه المذكرات بعد وفاتي؛ فقد بدأت تتسارع دقات قلبي منذ أن خرجت بها من المنزل. ماذا إذا حدث لي حادث مروري في طريق عودتي للمنزل حين إذ سيأخذها المسعفون وربما سيقرأونها من باب الفضول أو ممكن من باب أن يكشفوا عن جثتي أسهل من أن يبحثوا عن بطاقة هويتي.

ربما يجب أن أكتب في أول صفحة من أنا ورقم هاتفي وعنواني وتفاصيل أرقام أبي وأمي للاحتياط.

وربما أرجو من من يجدها ألا يقرأها أو ألا يوصلها لأحد غيري إذا كنت على قَيْد الحياة وماذا إذا لم أكن على قيد الحياة. الفكرة نفسها أرعبتني قليلًا لأني أحب الخصوصية جدًّا مهلًا، ولماذا أكترث سأكون متوفاة. لن أشعر بمشاعري الآن، ولن أهتم لتعليقاتهم كما يهمني الآن. لن أسترضيهم وأجمل الكلمات لكي يتقبلوني كما أنا دائمًا حريصة. لن أشعر بالذنب كما أشعر دومًا. فلأكتب فلربما هذه الكلمات هي طريقي للنجاة، ليس في حياتي للأسف، ولكن بعد وفاتي.

آه، لقد هدأت قليلًا لن أنكر. ربما كان أستاذ اللغة العربية على حق. هذه الكتابة معالج نفسي حقًّا، ولكن ماذا إذا كنت أحتاج مساعدة نفسية بعد أن اكتشفت كل هذه الكلمات بداخلي. هل سيكون عندي جرأة في يوم من الأيام للبوح بهذه المشاعر والأفكار لأحد وهل سيقبلني. وكيف سأتحمل نظرة الحكم في عينه وكيف سأتحمل نظرته في الأصل لي وأنا لست جميلة. فنادرًا ما أنظر في عين من يكلمني. أنا أهرب حرفيًّا من النظرات. أخاف أن أرى في أعينهم أني لست جميلة. وربما أخ فإذا نظرت إليهم أن يروا الصوت الداخلي الذي لا يرى.

ماذا أريد أن أكتب الآن فبعد أن رجعت للمنزل وتناولت معهم وجبة الغداء كما هو معتاد وسمعت أخبار الجيران من والدتي. وأخبار أخوي من والدي. وأخبار العائلة كلها من جدتي. وسمعت منهم جميعًا دعواتهم لي أن أستقر في بيتي سعيدة ويطمئنوا على كما يفعلون كل يوم بلا كلل ولا ملل منذ أن أصبح عمري ٢٤ عامًا. فأنا الآن ٣٥ عامًا فترة طويلة حقًّا فلقد حفظت الكلام عن ظهر قلب ولكنهم لا يعلمون ماذا تفعل بي هذه الكلمات. أريد أن أرد عليهم بآلاف الكلمات ولكني أصمت أصمت صمتًا يمزق رأسي يوميًّا فأستأذن بأني سأغفو قليلًا وأصحو على المغرب كما أهرب كل يوم. ولا أحد يدري أني لم أنم يومًا واحدًا وأني أكره نوم الظهيرة في الأصل. وأخاف دائمًا أن يفتح أحدهم باب غرفتي دون أن أدري ويكتشف أني لست نائمة.

فأنا غالبًا أستغل هذه السويعات في تصفح الموبايل بلا هدف لأضيع الوقت وتمر الساعات، وأخرج من غرفتي لأصلي المغرب، وأحتسي الشاي مع جدتي في شرفة منزلنا في فصل

الصيف وفي حجرتها في الشتاء. فأنا دائمًا أفعل هذا، وآخذ نية أني أجلس معها حتى لا تكون بمفردها. عسى أن يجعل لي الله في يوم من الأيام ونسًا حينما أحتاج في شيخوختي.

فأنا حقًّا لا أشعر باحتياجي للونس في عمري هذا فأنا لي أصدقاء في عملي وأصدقاء من أيام الدراسة. طلابي الأحباب عائلتي وهاتفي، ولكن في المستقبل عندما أشيخ وينشغل الجميع وربما يختفي الهاتف أو يخترعون شيئًا غيره ماذا سأفعل ومن يكون ونسي بعد الله. لا أدري.

ربما سأقرأ هذه المذكرات إذا وأتذكر هذه الأيام ربما سأكون في مكان مختلف. لا أدري، ولكن ما أعلمه أني أريد أن أتزوج لسبب واحد فقط ليس هو الونس حقًّا وصدقًا. هذا السبب هو أبي فهو ينظر لي نظرة شفقة وكأنه يقول يا لسوء حظ ابنتي فهي ليست جميلة وتكبر ولن تتزوج مثل أخواتها وسنتركها وحدها وكأنه يؤنِّب نفسه على قبحي مع أنه لم يصنعني أنا صنع الخالق. فمَن خلقني سيتولاني هذا ظني به.

وأيضًا يوميًّا أنا أسمع منه كيف يعاني كلَّ من أخي وأختي في حياتهم الزوجية؛ فأختي تريد أن تنفصل بعد أن اكتشفت أن زوجها تزوَّج عليها سرًّا، ولكنها تنتظر الوقت المناسب لالتزامه بمصاريف أولادها في مدارس دولية، تكتم غضبها وكرهها له ولحياتها الجديدة المفروضة عليها لأجل مصلحة أبناء لا ذنب لهم في اختيار والديهم، ولكن ما هو حقًّا يشغلني كيف يتزوج على أختي الجميلة، فمنذ نعومة اظافري وأنا أسمع من العائلة أني لست جميلة مثل أختي. إذًا هي مثال الجمال الذي أقيس عليه. عندما أرى شخصًا أقارن بينه وبين أختي إذا لم يتطابق إذًا فهو مثلي ليس جميلًا؛ فكيف له أن يتزوج غيرها وهي الأجمل.

أليس الجمال أهم الصفات للارتباط كما يقولون. وأما عن أخي فهو يعاني في صراع من الهم والحزن للحصول على ذُرية من زوجته. فلقد صبر كثيرًا وطَرقَ كل الأبواب العلاجية واستنزف كل ما يملك حتى يحصل على طفلٍ ولكنها إرادة الله حتى الآن لم يرزقوا بأطفال. وأنا دائمًا أفكر لماذًا هذا اللهث وراء الأطفال وهم أصبحوا بلا مستقبل مادي. ماذا إذا جاء هذا الطفل ليس جميلًا مثلي؛ فأنا اعتمدت على الدراسة لأستمر في استحقاق الحياة. ماذا سيفعل هذا الطفل المسكين. لمَ لم يستثمروا هذا المال في احتضان طفل مثلًا. أو إنشاء مشروع ويتركون أمر الذرية لله لا أدري.

صباح يوم جديد لم يكن نومه الأفضل على الإطلاق فلقد استغرقت في السهر ليلة أمس. أمر الكتابة هذا ربما يزاحم الأفكار أكثر في رأسي وكأني كنت أدفن أفكار وأسئلة كثيرة يئست منها في عقلي ولربما كنت أشعر أن دفنها أحسن فهي أشياء لن أبوح بها لمخلوق وفي نفس الوقت ليس لها حل فلمَ أظهرها. تفكيري ووقتي يوجهون لعملي أفضل.

لقد سهرت ليلة أمس أبحث عن ما يسمى علم النفس الإيجابي. يا إلهي إنه عالم وللأسف عالم ظهر من أواخر التسعينيات، ولكنه وصل حديثًا في رأسي. في الواقع وصل ليلة أمس. تعمقت في البحث عن معناه وعن الفرق بينه وبين علم النفس العادي الذي درسته في المدرسة وهل يوجد علم سلبي وعلم إيجابي. ووجدت أنه يسمى إيجابي لأنه لا يعالج حالات مرضية، ولكنه مصل يحفر طريق جديد لحياة أفضل بجودة أحسن وبأكثر إيجابية. بدلًا من أن يعالج عرضًا أو مرضًا. فهو

يعتبر كالوقاية الخيرُ من العلاج. يعمل على تفعيل أكثر الأشياء الإيجابية والقوية بك ليكمل النواقص أو يعدل المسار الذي تريد تعديله.

وجدت علماء أجانب ونظريات كثيرة. وجدت علماء ومعالجين مصريين وغير مصريين يعملون في هذا المجال. لا أخفي عليكم لقد شد عقلي وقلبي واستغرقت حوالي خمس ساعات في البحث عنه.

ووجدت أيضًا شخصيات كثيرة مصرية تنشئ صفحات لتوعية باقي المستخدمين بفوائد هذا العلم.

أنا لم أكن أعلم أني يمكن عن طريق الفيس بوك على سبيل المثال أن أتثقف. هذه البرامج أصبحت ليس فقط للتسلية فلقد أصبحت للتوعية والشفاء المجاني وعن بُعدٍ. عالم كبير. أحببت وجودي فيه بالرغم من حرماني من النوم، ولكني سوف أجد له وقتًا محترمًا من الآن وطالع خلال يوم. وسأسميه وقت ونسي المستقبلي. أجل فالعلم كان دائمًا ونسي ودعمي وسندي للمستقبل. من دون العلم كيف كنت سأقابل طلابي أحبابي الذين أعتبرهم حقًّا أبنائي وربما هم من سيتذكرني بعد رحيلي. فبدون علمي أبدًا لم أكن استمررت في حياة رفضتني ورفضت شكلي ووجودي. إذا كان أقرب الناس لي يشكون حظهم أن ابنتهم ليست جميلة. ماذا عن باقي المجتمع.

آه وفعلت إنجازًا آخر في خلال سهري هذا

كتب تفاصيل على أول المذكرات

فلربما وجدها أحدهم وأراد معرفة صاحبته

أنا نبيلة. ٣٥ سنه وهذا رقم هاتفي إذا وجدت هذه المذكرات في حياتي. أرجوك أعِدها إليَّ.

وإذا وجدتها بعد وفاتي ورأيت جسدًا بجوارها اقرأها لربما تلمس قلبك وتترحم عليَّ.

ولكن إذا أيضًا كنت ترى وجهي بجانبك في نفس الحادث فاعلم أني أعتذر لك من قلبي

فأنا لست جميلة

• يوم جديد لليلة رائعة. أشعر أني أريد أن أقول لجميع البشر. صباح الخير على غير عادتي شيء غريب حدث بي لا أدري ما هو، ولكن بداخلي طاقة غريبة لا أعلم مصدرها. ليست كطاقة الرياضة أو الأكل. لا إنها مثل تدفق دموي يجعلني أريد أن أفعل شيئًا جديدًا. لربما هذا بسبب ما حدث ليلة أمس.

فلقد كنت أتصفح الفيس بوك عادتي الجديدة في وقت ونسي ووقع عيني على صفحة سيدة شابة متخصصة في هذا العلم الجديد علم النفس الإيجابي وتصفحت صفحتها واستمتعت حقًّا. كيف لبعض الكلمات أن توقع في نفسك هذا الأثر من الحماس والسعادة. لا أدري ولكنه شيء مثير للاهتمام. وبعد أن تصفحت معظم منشوراتها. وجدت آخر منشور مكتوب به. أن هذه الصور جميعها ترمز لشيءٍ ما. من يعرفه له مني جائزة. آه تذكرت وقت فوازير رمضان حين كنت طفلة. فلقد كنت دائمًا أجلس بجوار جدتي وأختي لنعرف حل الفزورة ذكريات جميلة فما بي غير أني تصرفت بطبيعتي المعتادة وأصررت على حل هذه الفزورة الإلكترونية الجديدة.

نظرت نظرة جيدة للصور وقلت إنها تشير إلى شخصٍ يبتسم باستمرار، ولكن بداخله صراع حقيقي لا يعرف عنه أحدٌ. وأن بعض الصور إذا دققت النظر فيها ترى أن هذا الشخص عيناه تصرخان وفمه مبتسم. شعرت أنه كلام عميق وأنه يبعد عن هدف صفحتها تمامًا. هممت أن أمسح ما كتبت ولكني أرسلته ولا أعلم لماذا. والغريب أني مذ أرسلته أشعر بهذا الحماس والترقب اللذين شعرت بهما يوم ظهور نتائج الإعدادية والثانوية والجامعة. أنا مدركة تمامًا أنها لعبة. ولكني أشعر هذا الشعور..

وقت الذهاب للعمل...

من غرفة المدرسات وأنا أتصفح الفيس بوك وآكل ما بين الحصص تأتي زميلة لي نعتاد أن نبتسم ونقول بعض الكلمات لبعضنا البعض ثم تذهب كل منَّا في حياتها. جاءت لي مبتسمة ابتسامة غريبة وجلست بجواري وقالت: أراكِ مختلفة اليوم!! «أفندم!» بصوت يرتعش وكأنه لم يُسمع. مختلفة كيف قالت؛ لا أدري وكأنك حدث لك حادث سعيد ووجهك مختلف.

قلت: أحقًّا. أنا آسفة إذا كنت أزعجك بشكلي. أقصد بوجهي. أقصد لا أدري ولكني آسفة. تمتمت هذه الكلمات ولملمت حاجتي واستأذنت وكأنها بداية حصة جديدة، ولكني كنت أشعر بنبض قلبي كأنه يُسمع عن بُعد. ووجهي أحمر مثل عَلَم الصين وصوتي لن يعود كما كان.

ذهبت لحصتي مبكرة جدًّا فاضطررت أن أقف خارج شباك الفصل. وكان مدرس العلوم يشرح للطلبة عن الدم وتدفقه، وكيف أن الانفعال يفرز الأدرنالين والكورتيزول وهم مثل هرمونات تعلو في الجسد وتتسبب في ردود أفعال مثل احمرار

الوجه والخفقان والتعرق وجحوظ العين. ما هذا. هل يدري هو أيضًا ما بي. أنا أشعر اليوم أني كأني شفافة يُرى ما بداخلي. ماذا حدث؟!

تمنيت أن يمر اليوم وأعود لغرفتي وأنام حقًّا اليوم بعد الغداء. أريد أن أهدأ، وأنسى ما يحدث.

ذهبت لغرفتي أنتوي النوم، ولكني تذكرت أن نتيجة المسابقة الخاصة بصفحة الفيس بوك ستُعلن. فقلت في نفسي. وماذا إذا أعلنت فهذا شيء لا يعني شيئًا. نامي.

وجدت يدي تسبقني إلى الهاتف وتجري بين الصفحات إلى أن وصلت للمنشور المذكور به.

اسمي؟!!!!!!!

كيف ماذا. ما يعني هذا. تسارعت ضربات قلبي أكثر وتأملت المنشور القائل. نبيلة مبروك لقد ربحتي جلسة استشارة نفسيه مجانيه معي. أرجو أن تنظري لبريدك الخاص لتحديد موعد مناسب.

ماذا. أنا ربحت؟! هل كانت بالفعل إجابتي صحيحة أو منطقية؟

ماذا سأفعل. وهل أحتاج هذه الجائزة أم أتظاهر أني لم أرَ المنشور. أم أعتذر من باب الذوق. ماذا أفعل. يا ربي. يا ليتني أستطيع أن أستشير أحدًا. ولمَ لا. ولكن من أستشير؟!

قررت أني سوف أقرأ كل ما كتبت في مذكراتي حتى الآن، وإذا وجدت أي علامة تشير للموافقة سأوافق والعكس صحيح. لعبة جديدة.

تصفحتها ووجدت أني كنت أتساءل من قبل إذا كنت بالفعل محتاجة لمساعد نفسي. فقبلت الهدية مباشرة بلا إعادة تفكير.

مرَّ يومان لم أكتب بهم شيئًا اشتقت لك يا مذكراتي. اعذريني ولكني كنت كمن ينتظر حدوث هذا الشيء لأحكيه. هذا الشيء هو جلسة استشارتي المجانية.

لقد تحدثت معها ليلة أمس

تسللت إلى غرفتي وتمت الجلسة بشكل عظيم من أول دقيقة.

فلقد كانت مبتسمة وأنا لا أراها. ولكن صوتها كالمبتسم.

مرُحبة كأني في بيتها. تفهمني وأنا لا أتكلم. وقالت لي صوتك يقول إنك رقيقة وجميلة وصغيرة في السن. ابتسمت وقلت لست صغيره فأنا ٣٥ عامًا.

فقالت لي وماذا عن باقي الأشياء قلت لا أنا لست جميلة ولا رقيقة بالطبع. صمتت قليلًا وقالت. ما هو هدفك من هذه المكالمة!

هدف. ليس لدي أهداف. أنا فقط ربحتها. فقالت لي أدري. ولكن ألكِ هدف تريدين الحصول عليه. يمكنني مساعدتك للوصول لهذا الهدف.

صمتت قليلًا. فأنا أريد حقًا أشياء كثيرة. وأكون لا بُدَّ أن أختار شيئًا واحدًا وبعناية شديدة فهي مكالمة وفرصة واحدة. الصمت زاد عن المتوقع. فابتسمت هي وقالت هل تريدين العمل على مفهومك عن نفسك؟!

لم أتنفس للحظات وقلت: نعم! مفهومي. نفسي. لماذا. أنا ما بي ما مفهوم.

قالت من ردك علي أشعر وكأنك في صراع ما بين داخلك

وخارجـك. أو لا. فلربـما أنــتِ في صراع مـا بـين مـا يقولـون ومـا تصدقــين.

قلت: كيف؟! ماذا تقصدين؟

فقالـت: لقـد قلـت لـك إن صوتـك يـدل عـلى جمالـك فرفضتـي وبشـدة هـذه الكلـمات والمجاملـة وكأني أخطـأت في حقيقـة واضحـة وكأن ليـس مـن حـق أي إنسـأن أن يذكـرك بعكـس مـا تعتقديـن. هـل أنـا مُحقـة.

قلت باندفاع: نعم محقة. فأنا أعلم أني لست جميلة.

فقالت: وما الدليل. قلت. أي دليل. ألست أنا. أنا؟!

فقالـت: بـلى. أنـا أسـأل عـن دليـل أنـك لسـت جميلـة. فقلـت لهـا كل مـن حـولي قالـوا هـذا.

فقالـت: وأنـتِ مـاذا تقولـين؟! صمـتُّ صمتًـا غريبًا طويـلًا. وكأني اعتـدت أن لا أقـول. اعتـدت عـلى أن مـا يقـال حـولي حقيقـة. كيـف لي أن أعيـش مـن عمـري ٣٥ سـنة دون أن أسـمعني مـرة واحـدة.

فلنفـترض أني سـمعت صـوتي. فـما هـو رأيـي عـن نفسي. حقًـا لا أعلـم. فـلا رأي لي عنـي. ويبـدو أني قلـت آخـر جملـة بصـوت مرتفـع ليـس فقـط في عقـلي ولم أدرك ذلـك إلا بعـد السـؤال الثـاني.

ولـو كنـتِ أنـت مـن يتحـدث كيـف تصفـين نفسـك؟ ومـا هـو تعريفـك للجـمال؟ وكيـف يمكننـا قياسـه! وهـل لـه مقيـاس واحـد ومحـدد؟

وهـل الجـمال شيء داخـلي أم داخـلي وخارجـي أم خارجـي فقط؟. كـم شـخصية أعرفهـا جميلـة وكيـف نختلـف وكيـف نتفـق؟ أسـئلة كثـيرة كثـيرة.

ومع كل سؤال وكأني أمسك بمشرط وأزيل طبقه من على قلبي لا أعلم حقًا ما هي ولكني أزيل وأزيل. أنهكت فداعبتني قائلة: لا بُدَّ أنك تقولين الآن ليتني لم أكسب. ضحكت وقلت بلى أنا أقول يا ريتني فعلت ذلك من عشر سنوات.

استكملت الأسئلة وقالت لي: كم صفة حلوة فيكِ؟. أجبت أني طيبة فقالت ليه إجابة أخرى غيرها أرجوكِ مازحه.

وظلت تتحدث وتسأل والأهم دائمًا أنها تسأل عن براهين. إثباتات لكل شيء أقوله. لا تأخذ أي أمر مسلَّم به أبدًا.

وقالت لي: أتدرين. أنا أكره الكلمات المعرفة سواء بألف ولام أو بالإضافة؛ لأن الناس تعتبرها هدفا أو عفريتًا وأمرًا مسلمًا به.

قالت لي الكثير يقول هدفي. السعادة. اليقين. الهدوء. ماذا تريدين ممن حولك. أريد. التفاهم. الاحتواء وآخرون يريدون. راحة البال حياة صحية وهكذا. وكأن كل هذه الأشياء لها كتب سماوية وتعاريف لا تتغير.

ولكن الحقيقة أن لكل مننا تعريف للجمال. للصحة. للسعادة للاستقرار.

وبعد ما يقرب من ساعتين. من كلامها السحري المعسول المنطقي الذي مس قلبي كلام ابكاني وأضحكني. كلام أشعرني بالحسرة مرة وبالفخر مرات.

قالت لي مداعبة. ولكني أصر أن صوتك يدل على أنك رقيقة وجميلة. هل هذا صحيح.

قلت لربما أكون جميلة في أعين وقبيحة في أعين
ولكن هدفي الآن أصبح أن أعرف أنا إذا كنت جميلة حقًّا أم
أنا لست جميلة

أغلقت الهاتف وقد أخذت بضعة قرارات منهم
أن أستمر في التحدث معها مرات أخرى
أن أستمر في السعي والبحث والتعلم
أن أستعين بالله دايمًا فليس أحسن من قدر كتبه على وأنا لا أدري
أن أخفض الأصوات الخارجية وأعلى صوتي الداخلي لربما أعرف عني شيئًا جديدًا
أقسمت إني أبدًا لن آخذ مسلمات وتعريفات غيري وأني سوف أصنع مذكرات أخرى فقط أكتب بها تعريفاتي الخاصة.
معنى السعادة. معنى الجمال. معنى الطموح وهكذا
أن أحب نفسي واتقلبها فهي رفيقي الوحيد والشخص الوحيد الذي بدأ معى وسينتهي معي.
أن أدرس أكثر عن العلوم الإنسانية وعلم النفس وعلم النفس الإيجابي. وأدرسه لطلابي. حتى لا يعانوا مثلما عانيت
أن أستمر في الكتابة لي أو لغيري.
أن أقول لنفسي كل يوم
أني جميلة إلى أن يثبت العكس

***

عفريتي

بقلم: إنجي سعيد

«شط إسكندرية يا شط الهوي روحنا إسكندرية ورمانا الهوى» ظلت هذه الأغنية ترن في أذني طوال ركوبي القطار إلى الإسكندرية لم أصدق ما حدث ولا يستوعبه عقلي كيف أقدمت أو بالمعنى الأدق استطعت أن أسافر وحدي إلى الإسكندرية وآخذ إجازة من كل شيء في الحياة ومن أدواري فيها كأم وزوجة وابنة وأخت. وقد يتعجب البعض ما الإعجاز في سفرك لوحدك إلى الإسكندرية فنحن في الألفية الثانية سنة 2021 والبنات مستقلة وتسافر إلى آخر الدنيا لوحدها هقولكم ماليش فيه المعجزة بالنسبة لي سفري لوحدي إلى الإسكندرية قمة التحدي للحياة والظروف.

فقد نشأت وتربيت في بيئة تتعامل مع البنت بشكل مختلف فيجب توفير جميع الاحتياطات والضمانات سواء في الخروج أو السفر العادي رحلة خروجة عائلية، ثم كبرت وتزوجت فأصبحت أسلم من أهلي إلى زوجي ومن زوجي إلى اهلي تسليم أهالي؛ بمعنى وجود محرم في الموضوع المهم إن دي نبذة مختصرة على القوقعة اللي أنا فيها وطبعًا إذا لم أجد من يتفرغ لمشواري أو رحلتي تتأجل لغاية ما محرم يفضى.

مش قادرة أوصف سعادتي إن القطر بدأ يتحرك وأنا متقمصة شخصية عبد الحليم حافظ يا حبايبي يا أهلي يا جيراني أنا عايز آخدكوا في أحضاني. قفلت تليفوني لأول مرة من عشر سنين من ساعة ما اتجوزت وخلفت ولادي وأنا عارفة إنهم بيكلموني كل شوية لو خرجت وسيبتهم جعانين بيتخانقوا وممكن قبل دخول الحمام كمان أهلي هيقلقوا عليا ده أنا ماعملتهاش من ساعة ما سيبت بيت بابا مش عارفة جيبت القسوة دي منين ونيمت ضميري وقفلت تليفوني وبدأت رحلتي. عالم القطار عالم ساحر ليه علاقة معايا بقصص الطفولة والحكايات وأفلام الأبيض والأسود وخاصة لو الدنيا هادية ومفهوش أطفال أو السواق مركز ومفيش قطار جاي قصاده، ونعمل زي الفيلم «مبيعرفش يوجفها» ونروح كلنا شهداء وتطلع السفرية سفرية استشهاد. نفضت كل الأفكار المزعجة والحوادث اللي خطرت في بالي يكون بطلها القطار وقرأت دعاء السفر واستودعت نفسي وأولادي وأهلي الله وبدأت أهدا، بدأت الذكريات تمر كأني شايفاها. تذكرت كم كانت طفولتي سعيدة فقد كنت أحب اللعب والحركة كثيرًا وأحب الرحلات والمغامرات والتعرف على الناس وتكوين أصحاب وأصدقاء فكانت بالنسبة لي مرحلة الطفولة والمراهقة هي فترة لعب وضحك ومسئولياتي هي المذاكرة فقط وكانت هوايتي هي القراءة. كنت أعتقد أني كلما قرأت كلما عرفت الحياة أكثر ولكني أدركت فيا بعد وهو الوقت اللي أنا فيه في القطار الآن أن الإنسان بيتعلم الحياة ويفهم العلاقات الإنسانية من الاحتكاك في الحياة، فليس بشرط أن يكون الشخص الناجح في دراسته هو شخص ناجح في علاقاته، فقد كنت أرى أمامي بعض الأصدقاء من أصحابي البنات لسن

من أصحاب الجمال الفتان ولا متفوقة دراسيًّا ومخلية جوزها ده خاتم في إصبعها ورغم اعتراضي على المثل، فأنا مثلا كنت متخيلة زمان إن العلاقات بتقوم على التعاون والتفاهم ولكن اللي اكتشفته ومش لازم أفكركوا اكتشفتة فين (القطار) سياسة جديدة (يا ألبسك يا تلبسني) لإما الراجل يلبس الست كل المسؤوليات في الحياة لأما الست تلبسة كل المسئوليات وده طبعًا بيتوقف على مدى الخبرة، خبرة. وبما إني ساعة ما اتجوزت مكنتش أعرف أي حاجة عن موضوع الخبرة ده وكان عندي كأم فكرة ساذجة عن العلاقات البشرية فأنا اللي لبست وده جايز يرجعني على سبب قسوتي وقفل التليفون والمفروض الكلام ده ينزل مع خليفة لأغنية سميرة سعيد (أنا قاسية ولا ده من كتر الأسية) كلمة واحدة قادرة تغير حياة ستات كتير عايشين مطحونين والطحنة دي بقيت مش بمزاجهم الكلمة هي (مبعرفش لوحدي) مرواح الولاد للدكتور، شراء الطلبات، مرواح الكوافير. كلمة ياريتني كنت عرفتها من زمان يااااه ياريت. افتكرت إني جاتلي فترة كان بيجيلي صداع شديد عملت فيها فحوصات وأشعة ورُحت لدكتورة صديقة ليا قالتلي إن الصداع ملهوش سبب عضوي وده ضغط نفسي فقولتلها متأكدة؟ مش جايز أكون محسودة أو راكبني عفريت أسمع إنهم مبهدلين نص الستات فضحكت وقالتلي خدي الدوا ونشوف أخبارك إيه فبعدها كلمتني وسألتني عن أخبار الدوا آه ريح العفريت فضحكت وقولتلها ريحه على الآخر.

سرحت شوية في فكرة العفريت، فكرة مش بعيدة دي مبهدلة نُص القنوات الفضائية وملعبة الستات على الشناكل اللي جيالها فتور وكسل من الحياة يبقى راكبها عفريت واللي مش مستحملة

جوزها وعيالها راكبها عفريت واللي مش متوفقة في حاجة في حياتها راكبها عفريت الله يكون في عون الستات هيلاقوهها من مين ولا مين الاعباء ولا العفاريت واللي يشوف القنوات دي يحس أن هناك عفريت لكل مواطن، اتريقي اتريقي ده اللي انتي فالحة فيه مش جايز يكون صح وحقيقي ويكون راكبك عفريت.

أنا: آه لو شفته.

قاطعني صوت بائع الحاجة الساقعة فناديته أجيب حاجة أشربها وبعد ما حاسبت البائع وجيت أحط الفلوس في الشنطة لاقيت حد قاعد ادامي جيت إمتى ما الكراسي كانت فاضية قعدت إمتى وشكلك عامل كده ليه زي العفريت بتاع إسماعيل ياسين يا مصطفى يا مصطفى.

أنا العفريت مش انتي اللي كنتي عايزة تشوفيني أنا جيتلك

أنا: وملقيتش غير الأجازة وتجيلي عامة كويس إنك ظهرت عشان أقوللك اللي في ضميري انت اللي مأخرني ومعطلني عن كل حاجة كويسة.

العفريت: انتي ظالماني أنا بحافظ عليكي مش عايزك تزعلي أو تتعبي

يا سلام وهو في كده في الدنيا

العفريت: انتي فاكرة إني لسه عارفك، أنا معاكي من زمان بس انتي محستيش بيا غير متأخر.

أنا: قصدك لما بدأت تأثر على تصرفاتي وأسمع صوتك بوضوح معايا كل ما أفكر في حاجة أو أتعرض لموقف يكون ليك رأي عكس رأيي تفضل تزن بيه على دماغي.

العفريت: أنا اللي بدور على راحتك وبفكرك بنفسك وبقولك متخليش حاجة تيجي على حساب راحتك.

أنا: لا مش حقيقي انت بتخليني منسحبة من الحياة هربانة من مواجهة أي حاجة في الحياة.

عامة يلا اختفي أنا مش عايزة أشوفك تاني غير لو هتيجي بحاجة مفيدة فلوس، سفرية حول العالم حاجات زي كدة فاهم.

العفريت: ماشي بس هنتقابل تاني.

- آه ده اللي حصل هو اللي حصل ده حقيقي شكل السفرية دي مش هتعدي على خير، المهم وصلت بحر إسكندرية من أكتر الحاجات اللي بتشبهني وتريحني فأنا أحب الموج وحركاته الثائرة ولا أميل إلى السكون والأشياء الساكنة أو هكذا كنت لا أعرف بالتحديد إمتى بقينا بالانهزامية دي ولا ده هو الاصطدام بالأمر الواقع، والحياة الواقعية اللي مفيش حد بيقولك عليها وانت صغير إنك هتقابل حاجات كتير صعبة في الحياة لازم تستعدلها حفاظًا منهم على طفولتنا أم حتى لا يشعر الشخص الكبير بالضغف أمام الأصغر منه فلسفة لا أعرف من صنعها، تذكرت أعز صديقاتي سها كم قضينا أوقاتًا جميلة وطويلة على شط إسكندرية وتذكرت حزنها لفراق والدها، وكيف أن فراق الأحباب يطفئ الروح والبهجة التي توجد بها فأحزن لحالها وأطلب من الله أن يخلف عليها بالخير ثم سرحت في منظر البحر فإذا بشخص جانبي: شوفتي زعلتي إزاي.

- لا إله إلا الله انت تاني وجالك عين تظهر بعد ماقولتلك تختفي.

العفريت: يعني انتي جاية عشان تغيري جو ولا جاية تفتكري حاجات تحزنك وتزعلك.

أنا: يعني جايلك عين تكلمني في موضوع سها بعد اللي عملته معايا. فاكر كنت بتقولي إيه لما كنت زعلانة عشانها ملاقيتش منك أي مساعدة أو مساندة بالعكس أحبطتني كنت تقولي لا متكليمهاش انتي زعلانة ولو كلمتيها هتزعلي أكتر بدل ما تشجعني اقف جنب صحبتي وتساعدني إني أفرحها

العفريت: يعني إعمل إيه؟

أنا: لا أنا اللي هقولك تعمل إيه اعمل أي حاجة تثبتلي انك عفريت، جوزها وخليها مبسوطة.

العفريت: آه الحاجات الصعبة دي، انتوا البني آدمين فاكرين إني إحنا نقدر على حاجات متقدروش عليها ولو كان الأمر كده كنا نفعنا نفسنا الكلام ده مذكور في القرآن أجدادنا قالوه مع سيدنا سليمان (لو كانوا يعلمون ما لبثوا في العذاب المهين) أنا مندهش فعلًا.

بس عشان مزعلكيش أنا ممكن أكلم حد من عندنا يتجوزها.

لا إنت أكيد بتهزر يعني بدل ما أساعدها أعقدها أكتر لا أنا عايزة من البني آدمين مش العفاريت.

العفريت: لا موضوع البني آدمين ده صعب عشان أقنع بني آدم إنه يتجوزها هيكون عدت سنين يعني أسهل إني أقنعة يعمل علاقة في الحرام أسهل بكتير إنه يعملها في الحلال. انتي فاكرة البني آدمين دول سهلين ده الشياطين رفعتلكوا القبعة، هقولك على حاجة مش عشان انتي قاعدة قدامي إحنا دلوقتي عندنا بنستعيذ من شر البني آدمين.

أنـا: والله ده شيء جميـل إن البنـي آدمـين بقـى عندهـم إنجـاز في حاجـة، طيـب هنعمـل إيـه في موضـوع صاحبتـي.

العفريت: نصيحة مني مفيش أحسن من إن إحنا ندعيلها.

أنـا: طـب هتختفـي ولا أزعـق وأقـول عفريـت أخـلي النـاس ترجمـك وتبقـى مـزار سـياحي في إسـكندرية كل الـلي عايـز يرجـم يجيليـك.

العفريـت: كـده برضـو ده جـزاء النصيحـة هختفـي بـس زعـلان منـك.

– امـشي، أنـا مـش ناقصـة شـلل، إيـه الغلـب الـلي أنـا فيـه ده كل الأسـاطير بتنهـار قـدام عينـي وأنـا الـلي كنـت فاكـرة إن العفاريت تقـدر تعمـل كل حاجـة فلـوس وسـفر وحـل مشـكلات.

(لو كانوا يعلمون ما لبثوا في العذاب المهين)

ماما: الحمام

أنا: القطار، إسكندرية، العفريت

ماما: عايز ادخل الحمام

أنا: لسه الرحلة مخلصتش

ماما: قومي كفاية نوم اتأخرنا على المدرسة

أنا: الله يسامحكوا سبوني أكمل الرحلة وأه بحراه

***

بعد الفراق

بقلم: نهى مصطفى

بعد الفراق كل حاجة في الحياة بتكون غريبة وصعبة الحياة بتكون ثقيلة أوي وباهتة مفيش أي طعم أو إحساس بيها، إحساس بالفراغ مميت هو حبيبي فين وليه الناس دي.

كلها هنا دلوفتي هما زعلانين كده ليه وفي ناس كمان بتعيط هما بيقولوا إيه يعني إيه أشد حيلي وإزاي يعني هو خلاص كده حبيبي مشي من غير ما يقول من غير سلام من غير ما يقولي أعمل إيه من غيره طيب.

بعد الفراق الإحساس الغالب هو إحساس بالغربة إحساس بالغربة من كل حاجة حواليك كل حواسك شغالة بس مش حاسسها مش حاسس غير بوجع غريب في القلب وجع صعب يتوصف لأي حد الدنيا ماشية من حواليك وانت واقف مكانك شعور بإن الناس بتجري وانت بتتحرك في مكانك بسرعتك انت كأنك مش معاهم في نفس الحياة.

إحساس بإن جزء منك خلاص مالوش وجود في الدنيا ماتقدرش تسمع صوته ولا تشوف ضحكته ولا تحكيله ولا حتى تتخانق معاه، إحساس إنك لما تحتاجه مش حاتلاقيه موجود إحساس إنك تتعود من اللحظة دي كل حاجة كنت بتعملها

معـاه تعملهـا لوحـدك، كل الـلي حلمـت بيـه معـاه خـلاص حاتكمله لوحـدك، كل فرحـة وكل حـزن وكل ذكـرى جاية حاتعيشـها وتحسـها لوحـدك.

إحسـاس بـإن جـزء منـك في مـكان ماتعرفـش توصلـه فيـه غـير بالدعـاء والأعـمال الطيبـة الـلي تقـدر تعملهـا وتدعـي الله إنـه يوصلها لـروح حبيبـك وتدعيـه إنـه يجمعكـم مـن تـاني في جنتـه زي مـا جمـع بينكـم في الدنيـا.

بعـد الفـراق بتبقـى الحيـاة صعبـة وثقيلـة إنهـا تتعـاش بتكمـل الحيـاة بـس لأنهـا أمـر مـن الله

عايـش بـس بأمـر الله بتعيـش كل مظاهـر الحيـاة وتمـارس كل أنشـطتها ولكـن بـدون روح بـدون رغبـة أو شـغف للحيـاة.

حقيقـي إحسـاس الفقـد أصعـب إحسـاس في الدنيـا ممكـن يعيشـه أي إنسـان أو يمـر بيـه.

ومـش عـادي إن إنسـان يعيـش الفقـد ويرجـع تـاني زي مـا كان. أيـوه بيرجـع بـس بيرجـع إنسـان جديـد، إحسـاس الفقـد بيعلـم عـلى الـلي عاشـه وفي نفـس الوقـت بيعلِّمـه حاجـات كتـير لحـد لمـا يتعـود عـلى الفـراق ويرجـع مـن تـاني يحـس الحيـاة بعـد لمـا يوصـل للرضـا والاستسـلام.

الـلي ربنـا بيوجِـده في القلـب الاستسـلام لأمـر الله وإنـه هـو وحـده المعـين عـلى الحيـاة مـن تـاني بعـد الفـراق.

وكأنـه بيعيـش المـوت وهـو عايـش ويرجـع للحيـاة مـن تـاني ولكـن بعـد الفـراق.

***

كلمات الحظ

بقلم: راندا مجدي

قد نجد كلمات مقروءة أو مسموعة وأحيانًا ملموسة بالقلب وأكون أكثر تأثرًا عندما تلامس الكلمات قلبي وأكثر حظًّا عندما تلامس قلبي وعقلي معًا.

فمتى آخر مرة كنت محظوظًا وجدت فيها كلمات أضافت لقلبك وعقلك معًا سمعتها أو قرأتها أم لم يحالفك الحظ بعد..؟ وإن لم يحالفك الحظ فلما لا تبدأ البحث عن كلمات حظك من الآن..؟!

فالكلمات هي من تغير حياتك يومًا ما للأفضل أو العكس

وشئنا أم أبينا سنتأثر بكل ما نسمعه أو نراه حولنا سواء شعرنا بذلك أو بدون أن نشعر...

فقد تجرفنا الحياة دون أن ندري وتؤثر بنا وتشكل حظوظنا بل أقدارنا بما يدور حولنا من كلمات وأفكار إيجابية أو سلبية.

فقد تجد كلمات تسمعها في مواقف مررت بها أو برامج أو فيديوهات أثَّرت كثيرًا في حياتك وقد تكون قرأتها أيضًا في كتاب أصبح مفضلًا لديك ففي أحيان كثيرة نحب أن تكون الكلمة مقروءة في هدوء تام.. دون أن تزعجنا بعيدًا عن ضجيج الحياة بل تكون أكثر رقيًّا ممتزجة بمذاق المعرفة والهدوء.. وقد وجدنا

أنفسنا كثيرًا في ذلك الركن الهادئ للمعرفة؛ فكثير من الكتب منها من وجدنا أنفسنا في جزء منها ومنها من وجدنا أنفسنا في معظم صفحاتها.. وتلك الأقرب لقلوبنا بالفعل كـ «الخروج عن النص» و «لا بطعم الفلامنكو» و «أربعون للشقيري».. وغيرها من الكتب الرائعة التي بكلماتها جعلتنا نفهم ذواتنا أكثر وغيرت تفكيرنا للأفضل.

وليس بالشرط أن تجعلنا كلمات الكتب الأفضل تفكيرًا أو أشخاصًا خارقين كما يسخر البعض أحيانًا ولكنها تجعلنا نسخة أفضل من ذواتنا مقارنة بالسابق ولو بنسبة صغيرة تزداد مع الزمن وذلك يحدث لنا أيضًا مع الكلمات التي نسمعها وتترك أثرًا طيبًا في حياتنا.

وما عليك سوى أن تُحسن اختيار ما تسمعه أو تقرأه

حتى تكون محظوظًا بكلمات حظ مؤثرة في حياتك

التي تحب تقرأها أم تسمعها؟ ومِن مَن..؟

***

وسط الدايرة

بقلم: منى عبد الغني

وهناك في تلك اللحظة التي تنظر لنفسك فلا تعود بعدها أبدًا كما كنت

تلك اللحظة التي تنقلب فيها حياتك رأسًا على عقب.. ربما من كثرة ما تعودت على العادي وألفت وجوده، لم تدرك أن هذه اللحظة ممكنٌ حدوثها..

نعم يا صديقي تأتي بغتة.. تباغت تعوُّدك واعتيادك على كل شيء...

تأتي لتنتزعك.. ربما بوفاة عزيز أو مرض قريب أو فقد حبيب أو صديق.. أو ربما تفقدك نفسك، هويتك.. وربما وربما تعددت الأسباب والآلام والتوهة واحدة.. توهة الفكر وألم الجسد ونزاع المشاعر..

نعم يا صديقي فقد عشت بعض تلك التيهه وتهت فيها ومعها لحظات، وأيام، وأعوام.. وكانت رحمه ربي بي هي ما تخرجني منها كل مرة.. لم أستسلم لتلك الصدمات ولكني كنت أسمح لنفسي بالحزن وأسمح لنفسي بعدها بالنهوض منه..

نعم يا صديقي فالحزن مثل البئر إما أن تشرب منه القليل فتروي عطش ألم نفسك أو تهوي فيه فتغرق في غياباته فيبتلعك..

وأنت من تقرر وتختار..

نعم يا صديقي قرارك واختيارك في النهوض بعد كل انكسار أو الانغماس فيه..

نعم يا صديقي مررت مثلك بأوجاعٍ لم يشعر بها أحد.. أوجاع قررت أن أخفيها مثلك عن الجميع.. وسجنت نفسي في تفاصيلها.. وهوى جسدي أعوامًا في أعراض جسدية مميتة لم يكن لها أي تفسير طبي.. غير انها أنهكت جسدي ونفسي وبهتت روحي..

تراكم الحزن داخلي ورسمت ملامحه في وجهي حتى أصبحت انظر في المرآه فأري عيوني زائغه حزينة سارحه في أعماق اعماقي.. واتساءل إلى متى...؟؟؟؟ إلى متى سأظل أتكتم على حزني أخفيه عن الجميع أتحمل أحزان من حولي وأعِينهم عليها ولا أبوح بما يدور داخلي..

وجاءت لحظة انهارت فيها قوتي.. وانعزلت عن الجميع في حجرتي المظلمة أخاطب ربي وأرجوه أن يخرجني من غيابات حزني، ينتشلني من نفسي يخرجني من ظلم نفسي لوسع نوره..

وفي أعماق روحي بحثت عما يدور ويدور ويدور داخلي..

ورأيت يا صديقي.. رأيت النور في عز ظلمتي.. رأيت تفاصيل لم أكن أدركها من قبل..

نعم لم تكن تلك الظلمة ظالمة مثلما ظننت.. فقد كنت أنا.. أنا مَن ظلمَتْ نفسها وسجنتها في الكثير من الأحزان..

أنا من حاوطت نفسها بمن يستنفد قوتها ويباغت سريرتها دون أن تدري..

فأنـا يـا صديقـي عشـقت العطـاء للكـون كلـه.. واسـتثنيت نفـسي.. وبالغـت في حرمانهـا ظنًّـا منـي أن العطـاء خارجيًّـا فقـط..

وحـين اسـتفاقت روحـي وأدركـت أن الله سيحاسـبني عـلى نفـسي..

حينها فقط بدأت رؤيتي تختلف..

ورأيـت مـا كنـت أختبـئ منـه وأخفيـه.. رأيـت اعتيـادي وتعودي واستسـلامي في بعـض الأوقـات.. وبـدأ النـور في الظهـور في تلـك الأنـات المظلمـة التـي أهلكتنـي أعـوام.. وتغـيَّر الحـال.. حـين أردت.. فحـين أردت بـدأ عقـلي في التفكـر والبحـث والتعلـم..

نعـم يـا صديقـي لا بُـد أن تكـون حـاضرًا مـن أجـل نفسـك.. فعـلى نفسـك ستُحاسَـب، فترفَّـق يـا صديقـي بهـا، اسـتمع إليهـا فقـد عانـت مـن إهمالـك.. والآن.. الآن حـان وقـت النهـوض مـن تلـك الأحـزان والآلام.. حـان وقـت الاسـتمتاع بـما هـو موجـود والتركيـز عليـه..

فكلـما انغمسـت في التركيـز في النعـم زاد شـعورك بهـا وزاد وجودهـا (فـما أنـت فيـه نتـاج مـا تركـز عليـه)

ابحـث يـا صديقـي في أعماقـك عـن ابتسـامتك، ابحـث عـما يفرحـك ويدخـل السـرور عـلى قلبـك ولا تنتظـر يـا صديقـي أن يمـلأك سـواك بهـا.. فأنـت الدائـم الوحيـد معهـا..

فأحيهـا. أحيهـا.. وأيقظهـا مـن ثباتهـا وأزِل ظلمتهـا وأنرهـا واسـتنِر

انظـر داخـل نفسـك، ابحـث عـن مـا يسـعدك، افعلـه وداوم عـلى فعلـه، ابحـث أكثـر وأكثـر داخلـك سـيظهر الكثـير، دع الابتسـامة تعلـو عـلى شـفتيك، تحـدث إلى نفسـك بإيجابيـة، علمهـا كيـف تحيـا

ربـما بممارسـة هوايـة جديـدة، ربـما بالمشي أو الرياضـة ربـما بالرسـم والتلويـن، والأكيـد أنهـا سـتكون مـن صنعـك بنفسـك لنفسـك هكـذا سـاعدت نفسي عـلى النهـوض فانهـض معـي إن أردت..

ودَعْ النـور يغمـر ظلمتـك فجسـدك مـرآة فِكـرك، ابحـث عـما يـضيء روحـك يعيـدك إلى نـورك، اصنـع جنتـك عـلى الأرض تقبَّـل بشريّتـك وتجـاوز الصعـاب برحمـة لتتعلـم مـن كل عثـرة..

وانظـر لنفسـك بعـين الرحمـة وخـذ نفسًـا عميـق وتذكَّـر أن تعيـد إلى نفسـك البريـق..

لا تلـقِ بعـبء سـعادتك عـلى الظـروف والأحـوال والمُحيـط والبـشر أجمعـين.. انهـض مـن تلـك التعاسـة فأنـت صانـع كل شيء فعالمـك مـن صنـع أفـكارك ومشـاعرك فاصنـع ما شئت ولا تحاسـب غـيرك عليـه.

تـأتي الحيـاة عـبر الـولادة إنـما الحكمـة، الخـبرة، الفـرح فهـذه عليـك أنـت اكتسـابها، عليـك أن تبحـث عنهـا أن تسـعى إليهـا باجتهـاد.

كثـيرون يـا صديقـي مـن وُلِـدوا وماتـوا ظانـين أن لا حيـاة في هـذه الحيـاة.. فـلا تكـن منهـم يـا صديقـي. .فأنـت تسـتحق الحيـاة..

فدائـمًا يـا صديقـي نعتـاد عـلى حـب الآخـر ولم نتعلـم كيـف نتناغـم مـع أنفسـنا،

وتأكـد أنـك في وسـط الدائـرة. أنـت المركـز ونقطـة الارتـكاز فيـك.

***

الخوف من المجهول

بقلم: نسرين هشام

تعبث في خزانتها وتبعثر ما بداخلها، تختار فستانًا تجربه وهي في قمة السعادة، وكيف لا وهي على موعد لقاء حبيبها وخطيبها. يستوقفها تأمُّلها لجمالها في المرآة، وتبديل الملابس أكثر من مرة حتى ترضى. وتعدل النافر من خصالات شعرها الكستنائي المتهدل على كتفيها. تنمق أحمر شفاها، وتقبِّل نفسها قُبلة على المرآة استعدادًا للخروج.

ندى:

خلاص فرحنا قرب وحنسافر، أنا بتخيل حياتنا سوا وأولادنا، حنجيب الأول ولد حيبقى شبهك وبفكر إزاي أسعدك وأخلي حياتنا جنة.

أحمد يستمع لكلام ندى ولا يجيبها ونظرات عينيه تهرب منها ويحاول أن يقطع كلامها، ولكن دون جدوى فالسعادة كانت تغمرها ولا تكف عن الكلام وعن فرحهم وحياتهم سويًّا لكن أحمد بصوت حاد.

أحمد: اسمعي يا ندى. إحنا مش حينفع نكمل مع بعض. أنا عايز واحدة تعرف تعيش معايا في لندن. انتي مخرجتيش بره المنصورة متعرفيش الحياة بره في لندن عاملة ازاي، انتي...

ندي تقف تحاول أن تستوعب ما قاله أحمد والدموع تملأ عينيها وتمسك يدها تستعطفه وأنها ستتعلم وسوف تفعل ما يريد حتى يرضى عنها، ولكن كل محاولاتها باتت بالرفض وأنها لا ترتقي لمستواه الفكري والحضاري.

ندى فتاة ساذجة وطيبة ذهبت لصديقتها تبكي ولا تعرف ماذا تفعل. ومرت أيام وشهور على حالة الاكتئاب التي تعيشها ندى إلى أن قرأت على الفيسبوك عن إعلان لجامعة في لندن لدراسة الماجستير. قررت أن تلتحق بهذه الجامعة والذهاب إلى لندن.

كان في داخلها فضول وتساؤل: ما المميز هناك؟ بسببها تركني حبيبي، ماذا تستطيع أن تفعله نساء لندن وأنا لا؟

سافرت ندى وفي داخلها تحدٍّ وخوف من المجهول، لا تعرف الحياة هناك ولا طبيعتها ولكنها ولأول مرة قررت أن تواجه خوفها، وأن تكسر الحواجز المحاطة بها.

تمر الأيام الأولى صعبة على ندى، وتحاول أن تندمج مع الأناس المحيطين بها وتتعرف على زميلة لها في السكن وتكون الأقرب لها لأنها أيضًا من أصول عربية.

تتعرف ندى على الحياة وتواجهها بنفسها وتعمل في مطعم كنادلة حتى تعول نفسها أثناء دراستها، وتتعرف على سلمان شاب باكستاني يعمل في السفارة الباكستانية في لندن وتنشأ بينهم صداقة ولأول مرة تشعر بالحرية وعدم الخوف معه وأنه متقبلها كما هي ويحب شخصيتها وعفويتها كما هي.

تذكرت لحظات الألم التي كانت تشعر بها مع أحمد خوفًا على زعله وعدم تقبُّله لها ولطبيعتها.

تنشأ قصة حب بين ندى وسلمان وتشعر ندى لأول مرة بالسعادة الحقيقة ويقرران أن يرتبطا. وفي غمرة السعادة تكتشف أنها كانت على موعد مع رحلة البحث عن الذات واكتشافها.

ندى في الطائرة جالسة في الدرجة الأولى وبجوارها مقعد فارغ وعلى الجهة الأخرى يجلس أحمد خطيبها السابق وهي بكامل اناقتها وجمالها.

أحمد: ندى مش معقولة، انتي اتغيرتي.. انتي كنتي في لندن بتعملي إيه؟

ندى:

إيه الصدفة دي. أنا أخدت الماجستير من جامعة كامبريدج ونازلة مصر زيارة

أحمد:

اااه مبروك، انتي لابسة دبلة؟

يرجع سلمان ليجلس بجوار ندى.

ندى:

أعرفك ده سلمان خطيبي والملحق الثقافي في السفارة الباكستانية في لندن.

وده أستاذ أحمد جارنا في المنصورة

***

حنين

بقلم: رشا هاني

ذهبت إلى مقهى صغير بحي مصر الجديدة. كانت مرهقة للغاية نفسيًّا وجسديًّا

تحبس الدموع بعينها تحاول إخفاءها عن الآخرين بقدر الإمكان تتساءل في صمت ماذا حدث لكل ذلك

والإجابة لا يوجد سبب واضح لا شيء بالفعل لا شيء كان اليوم عادي جدًّا يوم عمل ممل كباقي الأيام ذهبت صباحًا إلى العمل من أجل الحصول على أموال آخر الشهر حتى تستطيع العيش منها والخروج والتنزه والسفر، لا تحب عملها هذا نعم وأيضًا لا تكرهه.

لا تشعر في ذلك العمل بأنها مميزة أو منجزة، لا شيء تعلم جيدًا أنها لو تغيبت لمدة شهر عن العمل لن يتصل بها شخص من العمل من أجل الحصول عن معلومة تخص العمل أو أن الشركة توقفت اليوم من أجل عدم حضورك وإن استمرت لمواعيد ما بعد العمل لن تزيد من حجم إنتاج الشركة بأي شيء.

هي تعرف ذلك جيدًا وأصبحت لا تسعى إلى أي شيء تذهب من أجل الراتب ولا تفكر بأكثر من ذلك، ومنذ ذلك الحين أصبحت الأيام مكررة ومملة أيام في انتظار الراتب ليس أكثر.

تسافر بين الحين والآخر من مكان إلى مكان داخل البلاد وخارجه تكتشف أماكن جديدة وحضارات وتراثًا قديمًا تأكل طعامًا جديدًا في بلاده وطعامًا جديدًا بالخارج تمشي في دروب لا يعرفها إلا القليل جدًا أصبحت خبيره في روائح البلاد تستكشف أيضًا أناسًا جديدة شخصيات كثيرة منها الطيب والشرير والغامض والكئيب والمهزوم. في بادئ الأمر كانت تصدر أحكامًا على كل شخص وتضع له إطارًا، الآن لا تصدر أحكامًا نهائيًّا لأي شخص على الأرض تعرف أن الغامض الذي لا يتحدث عن حياته ربما كان وراء ذلك قصة طويلة من خيبة الأمل وخيبه الثقة، وأيضًا الشخص المؤذي تعلم أن وراء ذلك ربما قصة طويلة من التربية الخاطئة من أم وأب غير مؤهلين لتربية أطفال وما أكثرهم في مجتمعنا الحبيب.

أصبحت الآن توزع الحب على كل الأشخاص المجاورين لها أصدقاء الرحلات أصدقاء العمل حارس العمارة السايس نادل المقهى تنشر الحب غير المشروط للبشر كلهم.

لا تحب أن تطلق على زملاء العمل هذا الاسم فهي تجلس معهم أكثر من نصف اليوم وتعرفهم جيدًا الطيب والشرير والمتباهي والمؤذي تشعر أيضًا أنها في أسره والأسرة تحتوي على كل هذه العناصر لولا خوفها أن يطلق عليها المختلة كانت أطلقت عليهم اسم إخوتي في العمل ولكنها اكتفت بإطلاق اسم أصدقائي في العمل.

ذهبت إلى هذا المقهى الذي حدثها عنه صديقها في العمل وقال إنه سمع أغاني جميلة، وأيضًا أنه يضع بعض إعلانات فترة التسعينيات وأيضًا صورًا قديمة لعهود مضت.

قـرارت أن تذهـب وحدهـا لتبحـث عـن إجابـة سـؤال لمـاذا كل هـذا الحـزن الـذي اعتراهـا

هـل كل ذلـك بمناسـبة ذكـرى ميلادهـا الأربعـين التـي عـلى مشـارف الحضـور قريبًـا

لم تكـن قبـل ذلـك تعبـأ بالأيـام أو العمـر تحتفـل كل عـام كالأطفـال تشـتري الهـدوم الجديـدة وتتزيـن وتخـرج مـع أصدقائهـا في أفخـم الأماكـن للاحتفـال بذلـك اليـوم السـعيد، ولا تنـسَ أبـدًا أن تشـتري بالونـة هليـم أو يشـتروها لهـا أصدقاؤهـا وتأخـذ كميـة كبـيرة مـن الصـور في ذلـك اليـوم ولا تنـسَ أيضًـا بعـد الانتهـاء مـن مراسـم الاحتفـال أن تتشـاجر مـع كل مـن تخلـف عـن حضـور هـذا الحـدث الجـلال.

مـاذا حـدث هـذا العـام هـل هـو سـن الأربعـون لمـاذا هـو سـن فـارق هكـذا فقـد تمـت تسـعة وثلاثـون عامًـا قبـل ذلـك ولم تشـعر بـأي شيء.

هـذه المـرة تشـعر بالقيامـة النفسـية تجلـس في مـكان وتسـترجع كل ذكرياتهـا الحزينـة والسـعيده تسـترجع أخطاءهـا وأيامهـا هـل هـي أهـدرت أيامهـا.

تسـأل نفسـه سـؤالًا هـل هـذه الحيـاة هـي التـي كانـت تحلـم بهـا أم لا.

والإجابـة أنـه نعـم كانـت تحلـم دائـمًا بحيـاة مليئـة بالفـرح والمـرح والكثـير مـن السـفر، ولكـن أيضًـا كانـت تحلـم بـأن يكـون لديهـا طفلـة صغـيرة تنقـل لهـا كل خبرتهـا وتخـرج وتسـافر معهـا في كل مـكان كانـت تحلـم أيضًـا بحـب كبـير ولكـن تبـدد هـذا الحلـم وأصبحـت تملـك عـددًا كبـيرًا مـن العلاقـات الفاشـلة وتسـخر دائـمًا

من ذلك وتقول إليسا ملكة الإحساس وأنا ملكة العلاقات الفاشلة أصبحت هذه السخرية الآن موجعة بعض الشيء.

من الممكن الآن أن تحصل على علاقة ناجحة بعض الشيء ولكن احتمال الإنجاب أصبح أقل من ذي قبل تحمد الله أيضًا تحمده كثيرًا على ذلك فهي ترى بعينها أصدقاءها وهم في مشاكل كثيرة، منهم من أخذ طليقها الأبناء ولا تراهم ومنهم من ترك الأبناء لها ولا تجد أموالًا لكي تنفق عليهم، ومنهم من استمر في زواج فاشل خالٍ من المشاعر من أجل الأبناء تحمد الله أنها لم تتعرض لهذه الخبرة المؤلمة ولكن هذا هو حلم الفتاة الدائم حلم الأمومة هو حلم أو غريزة نتعامل معها على أنها حلم وأمنية وتقول أيضًا لعله خير ولا نعرف ما هو القادم.

وفجأة تأخذ أغنية في المقهى كل انتباهها وترسم على شفتيها ابتسامة ذكريات وتعود للكتابة مرة ثانية إنها أغنية حمزة نمرة شلشل عليا يا رمان أغنية حزينة جدًّا ولكن سبب هذا الضحك هو الذكرى لأنها كانت دائمًا تسمع هذه الأغنية مع صديقتها التي تركت البلاد من أكثر من عام، كانتا تذهبان دائمًا إلى أحد المقاهي ودائمًا يسمعون هذه الأغنية وهي أغنية لمطرب عراقي مما أثار فضولهم أن يبحثوا عن معاني هذه الأغنية. تفاجئوا عندما عرفوا أن هذه الأغنية تعبر عن قهر وحيرة الشعب العراقي إبان الاحتلال العثماني والإنجليزي. بالفعل نقل المطرب العراقي بصوته الحزين هذا القهر وهل يوجد قهر أكثر من وطن محتل؟! تذكرت هذه الصديقة المغتربة بالرغم قلة سؤالها عنها لكن هذه هي الغربة بالرغم من توفُّر الكثير من وسائل التواصل الاجتماعي تظل الغربة غربةً تأخذ صاحبها إلى البلد الجديد للتعرف عليها والضياع في دروبها حتى

يصبح غريبًا عن وطنه وأيضًا غير منتم للبلد الجديدة فكرت فجأة في الاتصال بهذه الصديقة البعيدة لًتذكرها بالأغنية التي سمعوها كثيرًا سويًّا، وبالفعل اتصلت بها وأخذ ضحكهم يتعالى ويملأ المكان كله بعد ذلك الصمت الحزين، وبينما أنا أحتسي الشاي الأخير لهذا اليوم شاهدت وجهها وهو يتحول من الحزن إلى البهجة والإقبال على الحياة أرجو أن تسامحني حنين، هذه الفتاة على كل ما اختلسته من قراءة مدونتها دون أن تدري.

***

حب النفس بين الإيجو والسلام الداخلي

بقلم: نهى الوكيل

لطالما حيرتني مفارقة حب النفس

أوليست كل المشاكل بين الناس وبعضها بسبب حبهم لنفسهم بشكل أناني ومبالغ فيه؟

لدرجة أنه طغى على إنسانيتهم وإحساسهم بالآخر؟

أوليست المعاناة معظمها نتيجة حبي لنفسي ومصالحي وتفضيلها على كل ما سواها؟

أوليس مصدر الصراعات أنا ومِن بعدي الطوفان؟

إذًا فكيف لحب النفس أن يكون هو الحل والأساس وكيف يكون جسري لحب الآخرين أن أحب نفسي أولًا؟؟

وهل لن أعرف الحب الحقيقي إلا عندما أبدأ بحب نفسي أولًا؟

أوليس كل ما سبق دربًا من المفارقات؟

في رحلة حياتي اختبرت هذه المفارقات عمليًّا بشكل متبادل ومستمر..

وتكشَّـف لي أنـه عندمـا كان حـب نفـسي مقتـصرًا عـلى حـب البقـاء، حـب الجانـب الفـاني بداخـلي كمخلـوق، حـب الجـزء المـادي فقـط، المرتبـط بالغرائـز وإشـباع النقـص، والسـعي وراء الرغبـات.. كنـت أتحـرك مـن منطقـة إحسـاس بالخـوف، بعـدم الأمـان، بالتهديـد، أني في حاجـه دائمـة أن أفعـل شـيئًا لحمايـة نفـسي، لتأمـين نفسي، لإكـمال نفـسي، للسـيطرة، للتحكـم، سـعي بنَهَـم لأي إنجـاز عـلى أمـل أنـه

يضيفلي، يكملني، يؤمّني..

صراع مستمر وراء سراب الشعور بالرضا عن نفسي.

وبـما أن الوقـود المحـرك لهـذا النـوع مـن حـب النفـس هـو النقـص، الخـوف، اللـوم، التأنيـب.

فبالتـالي الحيـاة كانـت لا تخلـو مـن الأنانيـه، الطغيـان، الطمـع، الحسـد،الغيرة، دور الضحيـة، حـب السـيطرة، رغبـة في التحكـم، عـدم تحمـل مسـؤولية مـا يحـدث لي ودائـمًا «هـم السـبب»...

لأن شـغلي الشـاغل هـو دائـمًا سرعـة تـدارُك مـا يجـوز أن يمـضي، والحسرة إن مـضى ولم أدركـه،

الرثـاء لحـالي، الرغبـه في الظهـور، أبحـث دائـمًا في الخـارج عـن الكـمال...

فأصبحت أحيا أطمع في المستقبل أو أحذر منه..

أو أقتر في أمجاد الماضي أو أهرب منه...

وأما لحظتي الحاضرة، التي هي كل ما أملك بالفعل، تشوب رؤيتها نظارات الماضي وأحكام عقلي، فلا أراها على حقيقتها ولا أعيشها كاملة بكل إمكاناتها لأن رؤيتي مزدحمة بزخم توقعات..

حالة عدم رضا طوال الوقت إلا لحظات انتصار قليلة وهمية، لحظات تغذية الإيجو الشره، ثم الخواء والنقص والبحث عن ما يسد النهم الجديد، الذي لا يشبع، ويطغى على حضور اللحظة التي أنا عليها على حقيقتها صافية من كل هذا اللغط العقلي.

اللغط العقلي الذي يحرص على إبقائي مشغولة، مضغوطة، مشغولة بالبحث والقلق والخوف، مشغولة بالماضي والمستقبل...

دائماً اللحظة الحاضرة ليست كافية، وأتطلع لأفضل منها.. دائماً في اللحظة الحاضرة، أنا غير حاضرة..

لأني مشغولة بما ينقصها، مشغولة برفضها مشغولة بانتقادها مشغولة بالحكم عليها.

أحيا داخل أرشيف عقلي، أرى من دفاتره المخزَّنة القديمة.

أشعر بناءً على هذه الدفاتر.

وتفوتني الحقيقة المجردة بالفعل.

وكان هذا هو في تجربتي؛ وهم حب النفس بل هو في الحقيقة كره صريح للنفس.

ليان للنشر ولتوزيع

وأنـى لـه أن يكـون حـب وكل محركاتـه خجـل وخـزي ودونيـة، أو طمـع وترقُّـب وحقـد لأني باسـتمرار أشـعر أني أحتـاج.. أحتـاج مـا يكملنـي..

وبالتـالي أفسر كل الأحـداث بطريقـة شـخصية بائسـة مليئـة بالارتيـاب، والمؤامـرة ودور الضحيـة، وأسـعى إلى التحكـم والانتقـام والسـيطرة وحـب الظهـور لخلـق شـعور مزيـف بالاكتفـاء..

أمـا حـب النفس الحقيقـي، حـب النفـس الشـافي، حـب النفـس المشـع بالحـب والسـكون والبهجـة والاحتـواء والسـعادة والسـلام، هـو حينـما أدرك الجـزء الخالـد بداخـلي حـين أرى حقيقتـي، نفخـة مـن روح ربي..

حـين أعلـم أن القـوة بداخـلي، وأن نظـرتي لنفسي هـي المسـؤولة عـن أحـداث حيـاتي.

حـين أتحمـل مسـؤولية مشـاعري وأسـمح لنفسي أن أشـعرها بـلا أحـكام ولا لـوم ولا كبـت ولا حـرج،

حـين أكـون حقيقتـي ولا أدعـي صـوره مثاليـه مقبولـه مجتمعيًّـا حتـى أحصـل مـن ورائهـا عـلى رضـا مزيـف، ومكاسـب ظاهريـة.

حـين أتخـلى عـن أنـماط عقـلي ونضاراتـه وفلاتـره وأحكامـه وسـيناريوهاته التـي أعيـش مـن خلالهـا في عـالم مـوازٍ أنـا مـن خلقتــه..

حـين أختـار أن أسـتيقظ مـن ثبـات عقـلي العميـق وأحيـا الحقيقـة في كل لحظـة كـما هـي.

حين أوقن أن ما من شيء سيفوتني لأدركه..
وأن اللحظة مكتملة كما هي الآن لا ينقصها شيء

أن أقبلني كما أنا على حقيقتي بدون أحكام أو إدانة أو جَلْد أو انتقاص.

هنا يتجلى الحب في شكل قبول تام وسكينة مستمرة لكل لحظة حاضرة بدون أحكام ولا توقعات ولا إحباطات، بكل رضا وتسليم.

أحبني واقبلني بالظبط كما أنا الآن، بدون أي شعور بالنقص من أي نوع، فأنا في راحة معي في كل أحوالي.

ومتفهمة. وادعمني واحتوِني واقبل مني كل جوانبي المظلمة وأحبها لكي تنفتح لي وتسلم لي وتكشف لي أسرارها فتُشفى، واقبلني كما أنا، ومكتفية بي في كل أحوالي.

وأَصْدُق مع داخلي لكي أرى كل جوانبي بدون أحكام وبقبول تام واحتواء واستيعاب وحرية..

واعية ومدركة ومشاهدة لأنماط العقل القديمة والبرامج المخزَّنة فيه واختياري ألا أرى اللحظة من خلالهم، أختار أن أراها كما هي مجردة من كل تصنيف أو أحكام، أختار أن أرى الحقيقة..

اختياري أن أعيش بقلبي عندما يشعر المشاعر أصيلة، حقيقية على جسمي مباشرة في اللحظة بدون تأثيرات عقلي وأفكاري.

و تحررت من أسر أرشيف العقل، وسمحت بقبول التحديث للخبرات السابقة كل آن، بدلًا من الاحتباس داخلها وعدم رؤية فُرَص «الآن» اللانهائيه بتجريد اللحظة، والاتصال بمصدر الإلهام الدائم.

لم أعد أنتظر كلمة تؤكد لي ولا إنجاز يكملني، وأسعى باستمتاع لاختبار اللحظة، وليس بتعلق لتحقيق النتيجة.

وشتان الفرق بينهما، فرق بين المتعة الخالصة في كل عمل بكل جوارحي وأنا مطمئنة مكتفية وراضية.

أو التعلق بالأمل اليائس ووهم أنه سيكملني وكلي خوف وقلق وريبة، والذي يحركه دائمًا وقود
«لست جيدة بالقدر الكافي بعد»

فرق التسليم التام والاطمئنان أني لا أحتاج أن أُدرك أي شيء، لأنه ما من شيء ليفوتني.

كل ما أحتاجه الآن موجودٌ الآن، وكل ما سوف ينفعني ويخدمني سيأتي كاملًا في وقته.

أنا في سلام وسَكينة الآن متصالحة مع الماضي لأني أدركت

أنه كان مناسبًا لما كنت عليه، ولولاه لما وصلت لهنا، ومطمئنة على المستقبل لأن حضوري في اللحظة بصدق يصنعه وهذا كل ما أحتاج..

أدركت أن المستقبل لم ولن يصنعه قلقي ولا خوفي ولا همي، المستقبل صنعه حضوري الصادق للحظاتي الحاضرة.

وهذا هو الوهم الكبير الذي فقت منه؛ أننا لم نُخلَق للشقاء وللكراهية والنزاعات والمنافسة والانفصال والهم والغم..

بل خُلقنا للحب، وبالحب، وبدايته حبنا لأنفسنا.

ومن هنا استوعبت وأدركت حب النفس الحقيقي الذي يعم علينا وعلى كل من حولنا بالكمال والرضا والسلام والقبول والترابط والوحدة.

حب النفس الذي أعرف أنه حقيقي كلما اتسع قلبي وامتلأ حبًا واحتواءً للكل.

وأعرف أنه وهم كلما صاحبه ضيق وانفصال وبُغض وكراهية وهم وغم..

***

الأحلام المؤجلة. أو الصديقة الوحيدة. أو وحدة امرأة

بقلم: دينا الملاح

ركبت سيارتها الحمراء وظلت تجوب بها الشواع بدون هدف.. لقد كانت تشعر بالملل الشديد ولا تريد الاختلاط بأحد، كانت تريد أن تستأنس بنفسها ووحدتها..

وبعد ساعة من القيادة شعرت بالإرهاق فترجلت من سيارتها وذهبت لاحتساء كوب من القهوة في أحد المقاهي في حي من أحياء الزمالك..

كانت الساعة التاسعة صباحًا يوم الجمعة، وهو يوم إجازتها من عملها.. فقلد كانت أميرة موظفة في شركة استيراد بمنطقة العجوزة.. كانت تعيش مع أخيها بعد وفاة أمها وأبيها حتى تزوَّج أخوها وأصبح لديه أطفال وزادت مسؤولياته فاضطر أن يسافر إلى قطر بحثًا عن فرصة عمل أفضل وذهبت معه زوجته وأطفاله. عرض أخوها عليها مرات عديدة أن تسافر معه ولكنها رفضت وبشدة.. فهي لا تريد أن تترك المنزل الذي نشأت فيه وترعرت، لا تريد أن تترك منزل أبيها وأمها فإنه آخر ما تبقى لها منهم، فسافر أخوها وترك أميرة تعيش وحيدة في مصر.

كانت أميرة في بداية العقد الرابع من عمرها، متوسطة الطول

والجمال.. كانت تعلم بأنها ليست جميلة على الرغم من أن أمها كانت دائمًا تتحدث عن جمالها وتقول لها كم هي جميلة وأنها أحلى بنت في البنات إلا أنها كانت تعلم جيدًا أن ملامحها ليست بجذابة وخاصة أنها لم يكن لديها أي معجبين من الجنس الآخر..

ربما كان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعلها تشعر بقلة جمالها والذي ساعد على قلة ثقتها بنفسها..

لم يبد لها أي زميل من قبل اعجابه بها أثناء دراستها في الجامعة أو في مكان عملها..

ولم يرشحها أحد من أصدقاء والديها لأحد من أبنائه ولقد تزوج جميع صديقاتها وأنجبن وهي لم تحظَ بحبيب واحد وكان هذا أكثر شيء يؤلمها..

أما عن حياتها فكانت روتينية جدًّا تستيقظ وتذهب إلى عملها وعندما تعود إلى منزلها يكون هذا بمثابة إعلان بنهاية يومها حتى تبدأ يوم آخر من العمل والعودة مرة أخرى إلى المنزل.. لقد كانت وسادتها هي صديقتها الوحيدة حيث تستند إليها وهي تشاهد التلفاز أو عندما تقرأ كتابًا.. وكانت تحتضنها أثناء نومها وأحيانًا كانت تشكو لها همها وضيقها وتبكي عليها عندما تشعر بوحدتها..

لقد قررت أميرة أن تنعزل عن صديقات طفولتها لأن لم تعد هناك أشياء مشتركة بينهن وجميعهن أصبحن مشغولات بحياتهن مع أزواجهن وأطفالهن.

دخلت أميرة المقهي وجلست عند أول طاولة قابلتها وطلبت قهوة بالحليب وبدأت تطلع حولها..

كان المقهى يكاد يكون خاليًا إلا من ثلاث طاولات..

كان يجلس أمامها فتى وفتاة في أوائل العشرينيات يتجاذبون أطراف الحديث ويضحكون ويتلامسون وكان من السهل ملاحظة نظرات الحب والإعجاب بينهما فربما كانا حبيبين أو خطيبين..

وعلى يمينها كانت يجلس على الطاولة رجل وامرأة في منتصف الأربعينات.. وكانت تبدو على ملامحهما الجدية فربما كانا يتحدثان في أمر هام بخصوص أولادهما أو مشاكل حياتهما..

وعلى شمالها كان يجلس رجل وامرأة مسنين بجوار بعضهما يتأملان في الفراغ حولهما.. لا يتجاذبان أطراف الحديث ولا ينظران إلى بعضهما البعض ولكنهما كانا يشعران بالونس معًا حتى في صمتهما..

تنهدت أميرة تنهيدة عميقة من قلبها وانشغلت بقائمة الطعام أمامها وقامت بطلب طبق من البيض والقهوة..

أخرجت أميرة من حقيبتها كتابًا جديدًا كانت قد بدأت بقراءته يتحدث عن السلام النفسي..

وأثناء قراءتها سمعت صوتًا يأتي من أمامها يقول:

- صباح الخير

رفعت أميرة رأسها وردت متلعثمة: صباح النور

كان يقف أمامها رجل أربعيني انيق، ممشوق القوام، شعره بني كلون عينيه الواسعتين اللتين كانتا تنظرانإاليها بنظرات فرحة وابتسامة تعلو وجهه الجذاب.

اسمحيلي أعرفك بنفسي ثم استطرد قائلًا: أنا خالد رحيم، مهندس معماري..

توتـرت أمـيرة وسـألته في حـيرة: أيـوه اتفضـل أقـدر أسـاعد حضرتـك إزاي؟

قـال لهـا خالـد: أنـا كنـت قاعـد عـلى الترابيـزة ال هنـاك ولاحظت إنـك معكيـش حـد وهتفطـري لوحـدك وأنـا كـمان هافطـر لوحدي.. لـو ميضايقكيـش نقعـد نفطـر سـوا لأني حاسـس بالوحـدة.. أنـا مـش بعاكـس ومليـش أي غـرض تـاني غـير إننـا نتعـرف ونفطر سـوا..

شـعرت أمـيرة بمشـاعر متضاربـة، فهـي عـلى مـدار سـنوات عمرهـا لم تتحـدث إلى غربـاء مـن قبـل فشـعرت بعـدم راحـة ولكـن في نفس اللحظـة شـعرت بالسـعادة فهـي حقًـا تشـعر بوحـدة شـديدة وعندهـا احتيـاج جـارف للونـس..

وبـدون أن تفكـر أو أن تشـعر وجـدت نفسـها توافـق عـلى طلبـه وتسـمح لـه بالجلـوس..

وجـاء النـادل بطعامهـا وطلـب منـه خالـد نفـس إفطارهـا؛ طبـق بيـض وفنجـال مـن القهـوة وأضـاف عليـه زجاجـة مـن المـاء..

لم تـأكل أمـيرة فلقـد شـعرت بالإحـراج أن تأكلـه أمامـه واكتفـت بـشُرب فنجـان القهـوة.. تبـادلا أطـراف الحديـث وبـدأ كلٌّ منهـما يتحـدث عـن عملـه وروتـين يومـه وجـاء طعـام خالـد فبـدأوا بـالأكل سـويًا وزال خجـل أمـيرة..

حكـى لهـا عـن طرائـف كثـيرة حدثـت لـه في مواقـع العمـل وهـي حكـت لـه عـن طرائـف طفولتها..

مـرت ٣ سـاعات كالـبرق ولم يتوقفـا خلالهـم عـن الحديـث والضحـك حتـى سـموا صـوت الأذان.. فاعتـذر لهـا خالـد أنـه سـوف يذهـب لصـلاة الجمعـة وطلـب منهـا أن تنتظـره حتـى يـأتي..

انتهـت الصـلاة ولم يَعُـد خالـد، وانتظـرت سـاعة كاملـة بعـد انتهـاء الصـلاة ظنًـا منهـا أنـه علـقَ في زحـام المسـجد أو تقابـل مـع أحـدٍ مـن أصدقائـه وتبـادلا أطـراف الحديـث ممـا أدى إلى تأخـره.. ولكنهـا بعـد مـرور نصـف سـاعة أخـرى فقـدت الأمـل في عودتـه مـرة أخـرى وطلبـت مـن النـادل أن يـأتي لهـا بفاتـورة الحسـاب وشـعرت أنـه اسـتغلها لكـي تدفـع لـه ثمـن الطعـام وظهـرت عـلى وجههـا ابتسـامة سـاخرة. لقـد تمـت عمليـة نصـب عليهـا، جديـدة مـن نوعهـا.. وأشـفقت عـلى حالهـا ولكنهـا قـررت أن تنظـر للجانـب الإيجـابي بانهـا اسـتمتعت بالإفطـار كثـيرًا في صحبتـه وأنهـا كانـت حقًّـا تحتـاج للونـس..

ذهلـت أمـيرة عندمـا وجـدت أن ورقـة الحسـاب لا تحتـوي عـلى إفطـاره.. كان مكتـوب فيهـا ثمـن طبـق بيـض واحـد وقـدح واحـد مـن القهـوة..

ونـادت أمـيرة عـلى النـادل وسـألته: هـو فيـه غلـط في الفاتـورة ممكـن تراجعهـا تـاني؟

فنفـى النـادل وقـال لهـا: لا يـا افنـدم الفاتـورة سـليمة وهـو ده حسـاب الحاجـات الـلي حضرتـك طلبتيهـا..

فتسـاءلت مندفعـة: هـو الأسـتاذ الـلي كان معايـا دفـع حسـابه يعنـي؟

فتلفـت النـادل حولـه وقـال لهـا: هـو حضرتـك كان معاكـي حد؟ مـن سـاعة مـا حضرتـك دخلتـي لحـد مـا طلبتـي الحسـاب حضرتـك كنتـي قاعـدة لوحدك!!

ذعـرت أمـيرة وقالـت لـه: كان فيـه واحـد قعـد معايـا وطلـب ميـة وبيـض وقهـوة زيـي..

فنظـر إليهـا النـادل بشـفقة ثـم أخفـض عينـه ونظـر إلى الأرض وقـال: هـو يـا فنـدم مـع الأسـف ماكنـش فيـه حـد قاعـد عـلى الترابيـزة مـع حضرتـك ومحـدش طلـب حاجـة..

فتحـت أمـيرة حقيبتهـا بيـد مرتعشـة وأخرجـت نقـودًا كثـيرة وضعتهـا عـلى الطاولـة ثـم هرعـت مسرعـة إلى الخـارج لتركـب سـيارتها الحمـراء وتقودهـا بسرعـة جنونيـة حتـى وصلـت في لمـح البـصر إلى منزلهـا وقفـزت بداخـل فراشـها لكـي تختبـئ بداخلـه وتحتضـن وسـادتها كاتمـة أسرارهـا ودفنـت راسـها في حضـن صديقتهـا الوحيـدة الوسـادة وأجهشـت في بـكاء متواصـل حتـى نامـت مثـل الطفلـة الصغـيرة ودموعهـا عـلى وجههـا.

***

الطريق

بقلم: شيماء رسلان

كعـادتي يوميًّـا قبـل ذهـابي إلى عمـلي أقـوم بتوصيـل صغـيرتي إلى المدرسـة، وأحمـد الله أننـي قـد حفظـت طريقـي عـن ظهـر قلـب حتـى استطعت أن أمـشي فيـه بشـكل آلي مما يتيـح لعقـلي الفرصـة للتفكـير وملاحقـة مـا عـليّ إنجـازه اليـوم ومـا قـد فاتنـي بالأمـس في محاولـة بائسـة للإنجـاز.

وإذا بهـا تنظـر لي دون أن توجّـه عينيهـا إلى مبـاشرة وبصـوت خفيـض تحـاول بـه أن تعطـي لنفسـها ولعمرهـا حجـمًا أكـبر كـي أفهـم أنهـا تعاتبنـي:

– أتعلمين متى نامت صديقتي الصدوقة أول أمس؟

قـررت مما بـدا عليهـا مـن جديـة أن أركـز معهـا لدقائـق كـي تشـعر باهتمامـي، ووصلـت رسـالتي فعـلًا فقـررت بدورها أن تسـتمر علَّهـا تحصـل عـلى بعـض مـا يشـغل ذهنهـا في هـذه الفـترة وتنجـح في أن تقنعنـي أنهـا قـد كـبرت، كـبرت كثـيرًا وتريـد أن تنـال بعـض الحريـات.

– أتعلمـين يـا أمـي أنهـا قـد باتـت لمـدة أسـبوع كامـل في الصيـف عنـد خالتهـا؟

- عليكِ أيضًا أن تلاحظي أن والدة فلانة صديقتي الأخرى تركن بعيدًا عن بوابة المدرسة ولا تخاف عليها كثيرًا مثلك؟

- وإلى متى يا أمي ستصرين على إعطائي المأكولات التي تفضلينها أنت لي؟

وللأسف لم أستطع الابتعاد أكثر من هذا عن عالمي ((الحر)) المليء بالأرقام والمهام والحلم بإنهائها في الوقت لنبدأ من جديد؛ كـ «سيزيف» وهو يصعد الجبل يوميًّا بالصخرة ليلقيها وكأن هذه اللعنة لم تصبه وحده ولكننا نحن المرادون، ولكن سيزيف خطيئته الخديعة ولذلك تمت معاقبته، أما نحن فخدعنا أنفسنا بإرادتنا الحرة فتمت معاقبتنا بالمزيد من الحرية.

تصاعد الصراع بداخلي بين هذه الفكرة وبين رغبتي أن أمنحها ما قد يشعرها أنها كبرت وأنها مثلها مثلي.

تريد أن تتأخر في النوم.. عقلي يشرد:

أنا!!

أنا حين أقول لأحد متى نمت أمس

فأنا بذلك أريد أن أستعطفه لكي يخفف من وطأة أعبائي أكثر ما يجعلني سعيدة حين أنال قسطًا إضافيًّا من النوم ولو دقائق.

أنا!!

حين أقول تركت البيت أسبوعًا: فأنا بذلك إما خضت عراكًا فلا أستطيع الوجود في محيطه بعدها، أو أنني أنفذ مهمة شاقة.

أنا!!

يشغل بالي بشكل يومي أين سأركن السيارة، وقد يكلفني هذا دقائق إضافية من نومي، ولو قام بتوصيلي أحد إلى بوابة عملي، فسوف أعتبر هذا تضحية كبرى ودَين عليّ.

أنا قد ألغي فكرة أو ربما مشوارًا فقط بسبب أنني لن أستطيع الوصول وترك سيارتي بسهولة في هذا المكان.

أنا!!

أحلم ولو ليوم واحد أن أجد طعامي مجهزًا بحب.

أفقت ثانية على صوتها ينبهني:

- أمي! أريد أن أشعر أنني كبيرة مثلك..

كنا قد وصلنا فنظرت إليها وقلت لها في هدوء وثبات بالغين:

حبيبتي..

- ستنامين باكرًا..
- لا أستطيع تركك تغادرينني أكثر من ساعاتٍ..
- وسأوصلك يوميًّا حتى باب المدرسة..
- وسأظل أعد لكِ طعامك بيدي ما دمت قادرة..

أنا أحبك جدًّا...

طأطأت رأسها الصغير في شعور بالفشل، وأغلقت باب السيارة دون أن تنظر إليَّ، وتركتني أنا ومهامي وهي لا تدرك ما قلت لها..

***

الحب الكبير

بقلم: نهى مصطفى

كان يوم مهم أوي في حياته يمكن يكون ده أهم يوم اليوم اللي كان بيتمنى من الله إنه يعطيه العمر ويعيشه وبعد ما جهز نفسه وارتدى بدلته الجديدة ووقف أمام المراية وجاءت عينه على صورتها، صورة حبيبته وكل مشاعر الحب والحنين بداخله وافتكر أول يوم لقاء بينهم في الجامعة كان أحمد في السنة الثالثة من كلية التجارة وكانت هي ندى الجميلة الرقيقة اللي داخلة ألسن وتائهة في أول يوم جامعة وكان اللقا بينهم اللي دايمًا بيكون صدفة حلوة من القدر خطفت قلبه من أول لحظة وهي بتسأله عن مكان كُليّتها وهو كان الشاب الجميل المحترم اللي كان بيدرس وبيشتغل في نفس الوقت ومركز في أحلامه اللي بيسعى لتحقيقها ومافكرش في يوم إنه يرتبط ولا حتى بعد كده كان مهتم بإنه يعمل لنفسه مستقبل ووضع اجتماعي ثابت الأول بس دايمًا كده الحب الحقيقي بيجي صدفة وانت مش مستنيه وانت مشغول وبتجري في اتجاه تاني خالص يجي اللي يخلي قلبك يدق دقات جديدة خالص عليه اللي يخليك توقف للحظة وتوقف كل حاجة بتعملها وتغيَّر كل خططك وتغيَّر الطريق اللي انت ماشي فيه وتفكرياتري هو ده، وكان حقيقي هو ده اللي حس بيه أحمد

مع ندى وكانت أجمل قصة حب كان بيحكي عنها كل أهلهم وأصحابهم وكل اللي يعرفهم وتمت الخطوبة بعد تخرج أحمد من الجامعة وقبل دخوله للجيش وابتدوا يبنوا بيتهم وأحلامهم مع بعض. وبعد سنة من انتهاء أحمد من الجيش وتخرج ندى تم الزواج وكانت حياتهم جميلة وبسيطة وهادية كان بينهم تفاهم وحب ومودة حقيقي لأنهم كانوا واضحين جدًّا مع بعض من أول ما اتعرفوا لحد زواجهم ورزقهم ربنا ببنوته جميلة (سلمى) زودت بيتهم حب ودفا وقرب وكانت حياتهم ماشية عادي جدًا لحد مافي يوم من الأيام تعبت ندى تعبت أوي وبعد دكاترة وتحاليل كتير وصلوا لإصابتها بالمرض اللعين المرض اللي بيقلب الحياة رأسًا على عقب واتغير شكل حياتهم تمامًا وكان كل اللي بيعمله أحمد إنه مع ندى طول الوقت سواء كانت في المستشفى للعلاج أو في البيت كان معاها طول الوقت بيحاول يعمل كل حاجة تسعدها.

أو تخفف ألمها ماكانش قادر يشوف حبيبته بتدبل يوم عن يوم والمرض بيزيد عليها كان بيحاول يقويها ويقوّي نفسه معاها ويطمنها ويطمن نفسه إنها حاتقدر على المرض وحاترجع أحسن زي الأول، بس الوضع ما استمرش غير شهور وماتت ندى والحياة كلها وقفت بالنسبة لأحمد واصبح إنسان تاني كأنه روبوت مش حاسس أي حاجة في الدنيا بيرجع من الشغل يقفل حجرته عليه ويعيش مع الذكريات يفتكر كل حياته اللي عدت وكأنها كانت حلم جميل لحد ما والدته اتكلمت معاه بأنه لازم يساعد نفسه يخرج من كل اللي هو فيه وإن بنته محتاجاه وإنها تعبانة أوي ومحتاجة يكون معاها وفي اللحظة دي فاق أحمد على

كلام والدته وافتكر إنه من يوم وفاة ندى من ستة أشهر وهو بعيد عن سلمى ولا حتى بيلعب معاها ويتكلم معاها زي زمان ومعتمد على رعاية والدته ليها بس سلمى كانت محتاجاه وتعبها ده كان سببه نفسي فقد والدتها وهي عندها خمس سنين دلوقتي مش قادرة تستوعبه وده اللي اتكلم فيه الدكتور مع أحمد وإنه مهم يقرب من سلمى ويوصل لها معنى الموت بما يناسب سنها ويهتم بإعطائها الحنان والحب والاحتواء كان الدكتور مريحًا جدًّا بالنسبة لأحمد وكان حابب يتكلم معاه ويسمعه وشعر أحمد بأن حياته مهمة وإنه مسؤول عن سلمى ورسالته لسه مكملة وإنه يحاول يكون أحسن علشان اللي جاي من حياته ولأن ابنته تستاهل ده لأنها رزق من الله وجزء منه ومن ندى.

ومن اللحظة دي اتحولت حياة أحمد وكان محورها سلمى وحقيقي هو وصل إلى إنه هو اللي كان محتاج حضنها وحبها واتعودوا على شكل حياتهم الجديد مع بعض وكانت والدته ووالده بيساعدوه على رعاية سلمى وأصبح هو أفضل في شغله وكل وقت غير الشغل كان مع سلمى وأصبحوا مرتبطين ببعض أكتر كل حاجة كانوا بيعملوها مع بعض وأفتكر أول يوم مدرسة لما كان بيوصَّلها وقد إيه كان فرحان بيها وعدى عليه كل مراحل حياتهم مع بعض كان قريب منها في كل مراحل حياتها كانت علاقتهم جميلة ومميزة وقدِر أحمد يقوم بدور الأب كما يجب أن يكون في اللحظة دي دخلت عليه سلمى تستعجله لأن النهارده حفلة تخرُّجها من الجامعة وكان هو حاضن صورة ندى والدموع في عينه وكل الذكريات دي جاءت بخاطره في اليوم اللي كان حاسس فيه بالراحة والاطمئنان إنه قدِر يربي بنته ويفرح

بيهـا الـلي أصبحـت نسـخة مـن أمهـا وخـدت منـه صـورة مامتهـا وقبَّلتهـا وحضنتـه سـلمى الـلي كانـت بالنسـبة لـه الحـب الكبـير الـلي عـاش بيـه حياتـه بعـد مـا كانـت بتنتهـي مـع وفـاة حبيبتـه.

***

كل يوم ومنذ سنين.

بقلم: رنـا أبـوعمرة

القاهرة ٢٠٠٧

كل يـوم ومنـذ سـنين تسـتيقظ في تمـام السادسـة صباحًا، وابتسـامة رضـا عـلى شـفتيها ليغمـر المـكان مزيـج فريـد مـن حنـان الأم وعشـق الحبيبـة ووفـاء الزوجـة وكبريـاء المـرأة متوجًـا بتواضـع الملكـة التـي تعلـم أنهـا قديـرة عـلى حكـم مملكتهـا، مزيـج لـه عطـر يكفـي لأن يوقـظ قلـوب العـالم كلهـا، تتأمـل وجـه زوجهـا وكأنهـا لم تـرَه مـن عمـر وتظـل هكـذا حتـى يفتـح عينيـه ليكـون وجههـا أول مـا يبـدأ بـه يومـه.

فطالمـا أطربتهـا كلماتـه حـين يقـول لهـا إن وجههـا وجـه خـير وبركـة عليـه، فعاهـدت نفسـها ألا تحرمـه مـن هـذه البركـة التـي تعلم أنهـا لا تملـك منهـا سـوى البُشرى، ثـم تنهـض مـن فراشـها لتوقـظ صغيرهـا الـذي سـيرتدي زِي مدرسـته ويحمـل حقيبتـه ليأخـذه أبـوه مـن يديـه الصغيرتـين في لمسـة تمـلأ كيـان الصغـير طمأنينـة وأمانًـا، وتمـلأ كيانهـا أمـلًا وشـوقًا لانتظـار عودتـه مـن العمـل مصطحبًـا الصغـير بعـد انتهـاء يومـه الـدراسي.

تودعهـم مـن النافـذة المطلـة عـلى الحديقـة عـلى أمـل اللقـاء، وتلهـي الانتظـار باهتمامهـا بأصغـر التفاصيـل لتحافـظ عـلى مـكان

معيشتهم في أزهى صوره الذي يتحول بشذى شوقها إلى جنة لا تستحق سوى من يأملها، وبخطوات محسوبة تتزين بأجمل ما لديها من ثياب وتضع الرتوش الأخيرة على تصفيفة شعرها وهي تعدو إلى الباب لتفتحه.

وكأن الساعة تنتظر هذه اللحظة لتزف بدقاتها اللقاء المنشود، تستقبلهم بابتسامة البركة التي بدأ بها يومه ليولد يوم جديد كلما ابتسمت، فلا تهنأ بطعام بدونهما، لا تأكل بقدر ما تنظر إليهما وهما يجلسان معها على المائدة، لا تشبع عيناها من وجهيهما أبدًا، وبعد ذلك تشارك الصغير مذاكرة دروسه وتضحك وتلعب معه حتى يتسلل موعد نومه فتحكي له أجمل القصص.

ثم تعود لتجلس بجوار زوجها وهو يقرأ كتبه التي لا يمل منها أبدًا، تشرب معه القهوة وتذوِّب له قطعتي السكر في فنجانه التي تعلم أنه لا يريد أكثر منهما، وحين ينتهي تختبئ من هموم الدنيا بين يديه وتظل تناجيه وتتحدث إليه وتشكو له باكية وحشة الدنيا بدونه، ليمسح دموعها بيديه وتنصت بقلبها إلى صوته وهو يذكرها بحب رسمت ملامحهما أيامه، ويحكي لها عن عمر يتقاسمان أفراحه وغد يهزمان أهواله معًا، حتى تنام والأمان يسكنها لتوقظه في اليوم التالي على نفس الابتسامة.

ولكنها لم تكن منتبهة إلى أن هناك وجهًا ملائكيًّا لسيدة ترتدي دومًا الأبيض من الثياب تتبع تصرفاتها من وراء الزجاج منذ سنين، تحدِّث نفسها كل يوم بتلك الأسئلة دون أن تجد لها إجابة: ما أجمل ما علمتني إياه هذه المرأة من فنون الذكرى والوفاء، ولكن ترى هل ستظل هكذا وحيدة في هذا المكان تبتسم وتنتظر وتفتح الباب وتغلقه في مواعيد منتظمة

وتقرأ كتب الأطفال وتضحك وتبكي وتحرك الأكواب الفارغة وتتحدث إلى السكون بهذا الإخلاص والتفاني دون كللٍ؟ إلى متى ستمضي بها الحياة على هذا المنوال منذ الحادث المشئوم الذي رحل فيه حبيبها وزوجها مصطحبا ابنهما الذي طال انتظاره وهو في أحشائها في نزهة لا عودة منها؟

يا الله، كم تعلَّق قلبي بها وأنا أعلم أنها ستلحق يومًا بمن سبقوها في هذه الغرفة لتموت وحيدة في هذه المصحة..

***

بيت المجنونة

بقلم: حسن العربي

هائمـة في بحـار خيالها باحثـة عـن حقيقـة الكـون والحيـاة حالمـة تجـوب بفكرهـا دنياهـا الواهيـة. وحيـدة في عـالم لا يعـرف للنسـاء حقوقًـا كثـيرة، كانـت الماركيـزة كارلا نوبيـلي فيتالسـكي تعيـش حياتهـا في أحـد قصـور رومـا في رحـاب المـاضي العريـق والتاريـخ والحضـارة الرومانيـة وبـين قسـوة الحيـاة بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الأولى وعـلى مشـارف انـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة ولكونهـا سـيدة قـصر مـن سـلالة نبيلـة فلـم يكـن ينقصهـا المـال الـذي سـمح لهـا أن تقـضي أغلـب وقتهـا في التأمـل كـما كانـت تقـول أنهـا تقـوم بدراسـة فلسـفة الأديـان.

كانـت تقـضي أوقاتًـا كثـيرة في التأمـل والبحـث وهـي تجـوب أعـالي الجبـال في الجنـوب والشـمال بعيـدًا عـن رومـا حتـى وصلت إلى مشـارف مقاطعـة تيتشـينو السـويسرية في منطقـة تدعـى مينديريزوتـو حيـث كانـت تقـضي أوقاتًـا طويلـة عـلى قمـة جبل مونـت جينـاروزو وهنـاك أخـذت قـرارًا عجيبًـا عـلى قمـة هـذا الجبـل وهـو أن تبنـي لنفسـها كوخًـا صغـيرًا تمـضي فيـه أوقـاتَ تأمُّلهـا ومـا تبقـى لهـا مـن العمـر.

فتقدمـت بأغـرب طلـب إلى مسـؤولي المنطقـة الذيـن تـرددوا كثـيرًا

في إعطائها تصريح بالبناء وإيجار عشرة أمتار من قمة الجبل، ولكن في نهاية الأمر قاموا بإبرام عقد إيجار مدته في البداية خمسون عامًا ثم تراجعوا فجعلوه خمسة وعشرين عامًا على شريطة أن تستخدم الحجارة والأخشاب التي تحتاجها في البناء من نفس قمة الجبل والغابات من حوله.

هنا بدأت الماركيزة في بناء بيتها على أعلى قمة الجبل مع دهشة السكان الذين بدأوا يتهكمون عليها حتى أطلقوا على الكوخ لقبًا استمر على مدى السنين حتى يومنا الحاضر فقد أطلقوا عليه بيت المجنونة.

فهل كانت الماركيزة حقًّا مجنونة أما كانت في رحلة تأمل في نهاية حياتها أم كانت جاسوسة كما تقول إحدى الروايات حيث أنك من بيت المجنونة تستطيع أن ترى بوضوح عن طريق المنظار كلَّ المدن المحيطة وحتى يومنا هذا، فهل كانت حقًّا مجنونة أم جاسوسة أم متأملة في ماهية الحياة، لا أحد يعرف.

***

شموع الظلام

بقلم: حسن العربي

يحكى عن أربعة من الشموع تضيء في إحدى الغرف وتملأ المكان بنورها.

وقفت الأولى تنظر وتتحسس أخبار العالم من حولها ثم قررت أن تنطفئ وقالت:

أنا نور الحرية وقد رأيت أن العالم من حولي قد ساده الاستبداد ولم يعد لي مكان في هذا المكان بعد...

ثم انسحبت بأضوائها قليلًا فقليلًا حتى انطفأت تمامًا!

هنا تلتها رفيقتها فقالت:

- أنا نور الحب ولا أرى من حولي إلا ظلمة الكراهية بين الناس فلم يعد لي دور في هذا العالم أبدًا لأن أستمر فليكن ظلامًا في ظلام سأطفئ نفسي. ثم بدأت تنسحب رويدًا رويدًا حتى تلاشت عن الأنظار وانطفأ نورها.

لم تستطع شمعة نور السلام أن ترى ما يحدث حولها، وكيف أن رفيقاتها في الحياة يذهبن هكذا ويتركنها في عالم سواده يزداد حلكة يومًا بعد يوم فقالت في نفسها:

«إنه عالم بغيض لا أعيش فيه أبدًا، إن الناس يعشقون الحروب أكثر مما يحبون السلام، لم يعد لي مكان في هذا العالم وقد

آن الأوان أن أرحل، ثم تسللت هي الأخرى لتخرج وتنطفئ في هدوء، ورويدًا رويدًا أظلم نورها.

صارت الغرفة قاتمة الظلام بعد أن انطفأت كل الشموع من حولها ولم يتبقَّ إلا هي وحيدة تنظر من حولها.

فجأة تدخل الغرفة طفلة صغيرة ترى أن الأضواء قد انطفأت، وأن شمعة واحدة هي التي لم تنطفئ بعد وبين خوف وحيرة نظرت إليها الشمعة الأخيرة قائلة:

«لا تخافي فتاتي، أنت المستقبل وأنا لن أتركك وحيدة بل إنني سوف أقوم وأضيء كل الشموع التي انطفأت ليعود النور من حولك فأنا نور الأمل ونوري لن ينطفئ أبدًا!!!

***

جوندولا إلى مورانو

بقلم: حسن العربي

تجري بك الأيام وتلعب، تلهو بك الحياة وتذهب، ثم تنظر من حولك فلا تجد إلا ظلالًا من الماضي تحلق من فوقك، دخان يتلوى أمامك، ثم تجلس هناك بعيدًا وحيدًا على كرسي هزاز تنظر إلى السماء وهي تنتقل بك من وحشة الغروب إلى ظلمة الليل، أو أمام بحر تتمايع أمواجه، ويلتف من حولك هذا الدخان الصاعد من سيجارك أو من الغليون الذي أشعلته وتركته يرمي بسحابة في الهواء الطلق من حولك.

بعد أن كنت أنت الحياة وصانعًا للحدث إذا بك مفعول به تدور حوله الأحداث ولم يتبقَّ في جعبتك إلا أنهار الذكريات، على هامش الحياة، تلملم من قاع العقل ما تبقى له من أحداث قد ترسم على وجهك ابتسامة عريضة أحيانًا أو تترك في قلبك دقات حزينة كثيرًا.

هكذا تمر بك الأيام!

ظهرت فجأة ابتسامة على وجهها فأضاءت أنوارًا كانت قد اختفت منذ زمن بعيد وإذا بالطفلة أمامها ينشرح صدرها وتسألها بشغف شديد:

- جدتي جدتي! ما الذي أضاء وجهَك الجميل؟

احكـي لي جـدتي عـن هـذا الطيـف الـذي عـبر فـترك نـورًا عـلى وجهـك!

هنـا تحولـت الابتسـامة إلى ضحكـة جميلـة، ثـم نظـرت إليهـا نظـرة عميقـة وكأنهـا كانـت تنتظـر أن تـأتي تلـك اللحظـة التـي يسـألها فيهـا أحدهـم عـن حياتهـا التـي مـرت وعـن قطـار العمـر الـذي جـرى مسرعًـا، ثـم اعتدلـت في جلسـتها، لـتروي عـن تلـك الأيـام الخـوالي!

كنـت أسـمع عنهـا في الأسـاطير، قـرأت عنهـا كثـيرًا وكثـيرًا، وعـن قصـص الغـرام التـي تـدور حولهـا وعـن أمسـياتها الرائعـة، عـن هـذه المنـازل والأبنيـة التـي شـيدت في وسـط مياههـا، وهـذه الأزقـة والحـواري والممـرات الضيقـة تخطـف خيـال كل عابـر أو مغـوار.

روعـة الغـروب في ضواحيهـا، صـورة الجنـدولا التـي تخيلتهـا، وهـذا الجوندوليـار «المراكبـي»، الـذي يرتـدي قميصًـا بخطـوط زرقـاء وبيضـاء عريضـة وعـلى رأسـه قبعـة مـن الخـوص، أحـلام وأحـلام وخيـالات دارت بعقـلي كلـما سـمعت عنهـا، كانـت تعشـعش في مخيلتـي وأحببتهـا قبـل أن تطـأ قدمـاي أرضهـا.

ثـم جـاء هـذا الرجـل عريـض المنكبـين ممشـوق القـوام قمحـي اللـون تسـبقه ابتسـامته المطبوعـة عـلى شـفتيه، جـدك حبيبتـي!

جـاء يتقـدم.. يريـد أن يتزوجنـي، وكنـت لا أزال أعيـش بـين الحداثـة والأنوثـة كعصفـور هائـم في عـالم الخيـال، استهوتني طلعتـه وعشـقت ابتسـامته وعرفتـه مـن أول لحظـة، رفيقًـا لرحلتـي.

ثم تنهدت قليلًا وعاودت الحديث.

لكننـي قلـت لـه بحـزم شـديد: إن أردت الـزواج مني فعليـك أن تأخـذني إليهـا!!!

وقد كان.. فلم يمر العام إلا وكنت في صحبة جدك إلى فينيسيا، «البندقية» كما ندعوها لقضاء شهر العسل حبيبتي، فكان حقًّا شهرًا من أجمل الذكريات الحالمة، أشعلت قلبي حبًّا دافئًا لهذا الرجل الطيب، ورأيت بعيني وبصحبته أرض العشاق، مدينة الحب والجمال، ركبنا معًا هذا الشيء الذي يسمونه جوندولا وهو عبارة عن مركب رفيع طويل عليه شبه هودج يجلس عليه الأحبة، بينما يقوم المراكبي أو (الجوندليار) بالتجديف واقفًا، وهو يغني تلك الأنغام الإيطالية الحالمة.. تمضي الساعات في لحظة، لكنها تقبع هناك في ذاكرتك لا تنسيها أبدًا!

كانت الصغيرة تجلس وقد عشقت فينسيا مما سمعت، بل إنها بدأت تتخيل نفسها وهي تلعب هناك في أزقتها وحواريها الجميلة!

- أكملي جدتي، أكملي فقد اشتقت لأن أسمع حكيك الشيق.

هنا ابتسمت الجدة ابتسامة عريضة.. ثم همهمت بكلمات غريبة، وقالت:

- لقد أمضينا أربعين عامًا نتذكر ونتندر بواقعة حدثت لنا في هذه البلاد الجميلة ونضحك، ثم أسمع جدك وهو يروي من الذكريات ما حدث معنا في فينيسيا.

وتسمعينه وهو يقول: «لقد قضيت عمري كله ولم ينصب عليَّ أحد في العالم كله إلا هذا الإيطالي في جزيرة مورانو»، ثم يضحك واضحك وتمر بنا الأيام.

هنا يزداد اشتياق الطفلة لمعرفة الحدث فقد هامت بفينيسيا وحلمت بها وهي لا زالت تجلس عند قدم جدتها.

- أرجوكِ جدتي أكملي فقد أخذني الخيال إلى هناك.

استطردت الجدة لتكمل قائلة:

- في وسط المدينة يوجد ميدان كبير اسمه بياتسا سان ماركو في وسطه صرح عظيم كنيسة بنيت منذ زمن بعيد وفي هذه المدينة لا توجد إلا المراكب والجوندولات واللنشات الخاصة كوسيلة مواصلات بين البيوت بل وإلى الجزر الكثيرة المحيطة بها.

في هذا الميدان التقينا بسواح آخرين وجلسنا على أحد المقاهي الذي يدعى كافيه د الدودج يقال إنه أحد أقدم مقاهي العالم كله، هناك تجاذبنا أطراف الحديث وعرفنا منهم أن هناك جزيرة بديعة يمكننا أن نقضي بها يومًا بأكمله فهي ساحرة داخل مدينة السحر، بل إن بها أيضًا الكثير من صناع الزجاج الذين يقومون بعمل التحف البنور وأن هذه الجزيرة مشهورة عالميًّا بهذه الصناعة اليدوية العريقة.

بالفعل في اليوم التالي ركبنا الأتوبيس النهري الموصل إلى الجزيرة وحقًّا كم كانت أروع من الخيال، أثناء عودتنا زرنا أحد الصناع ورأيناه وهو ينفخ في الزجاج ويصنع بنفسه تلك التحف الجملة ويرص حوله من التحف التي قد صنعها مسبقًا!

أعجبني جدًّا طقمٌ من الفناجين وجلس جدك يفاصل في السعر حتى استقر نهائيًّا على خمسمائة ألف ليرة كانت وقتها مبلغًا ضخمًا يعادل ألف يورو تقريبًا بأسعار اليوم، إلا أن الطقم كان غاية في الجمال والروعة.

لم يكن معنا المبلغ فلم نكن مستعدين للمشتريات فقال جدك للبائع :

- سنحضر غدًا لشرائه.

لكن البائع قال أنا لا أحجز البضائع، إن أردت ادفع مئة ألف وأحجزه لك غدًا تأتي تأخذه!

وافق جدك ودفع العربون وتركنا الجزيرة وعدنا إلى الفندق، في طريق عودتنا إذا بجدك ينتفض وياهول ما رأى ورأيت، إنه نفس الطاقم معروض في إحدى الفاترينات دخلنا إذ به هو لا شك صناعة يدوية ومطبوع عليه ودمغة مورانو كل شيء يطابق إلا أن ثمنه خمسين ألف وليس خمسمئة ألف.

سأل جدك البائع هل هذا السعر صحيح

فأجابه بنعم.

تغير وجه جدك وفهم أن الرجل في الجزيرة إنما كان نصبا، ولكن للتأكد قررنا الذهاب في اليوم التالي بعد أن اشترى جدك هذا الطقم الذي ترينه في دولاب الفضية!

في اليوم التالي ذهب جدك إلى الجزيرة مرة أخرى لاستعادة المئة ألف ليرة، لكنه لم يجد الرجل بل وجد المكان مهجورًا أصلًا والذي كان بالأمس مكانًا يصنع فيه، وبه معروضات، تريه اليوم خاويًا تمامًا من أي شيء، عبثًا ذهب إلى البوليس وعمل محضرًا وكل اللازم ولكن تأكدنا فيما بعد أنها لعبة يلعبها بعض اللصوص للنصب على السواح ويمثلون هذه المسرحية ويأخذون العرابين ويختفون إلى أن يظهر سائح آخر في مكان آخر!!!

هكذا حبيبتي ظلت هذه الرواية تذكِّرنا بفنسيا مع سحرها وروعة جمالها، طيلة سنوات العمر. فاحذري حبيبتي لو ذهبت يومًا إلى إيطاليا فقصص النصب كثيرة.

ضحكت الطفلة وابتسمت الجدة ابتسامة ارتياح شديد فها هي اليوم قد أخرجت من مخزون حياتها قطعة أثرية، وأهدتها إلى ابنة ابنتها الحبيبة!

***

وِصال

بقلم: زينب خيري الحديدي

جلست تحتسي كوب الشاي مع لمسات الصباح العطرة، جال بخاطرها تلك الأيام حينما كانت تجلس بجوار عادل حينما يطالع جريدته الصباحية وهي تضفي مزيد من الحيوية إلى تلك الجلسة فقد كانت تتعامل معه كتلك الطفلة التي تستعرض كل طاقتها لتبهر والدها لكم تفتقد تلك الأيام تسارعت الأحداث في ذاكرتها حينما بدأت تحتل جانب العناد في أي حوار أو مشكلة تطرأ لم تكن حينها تلين مطلقًا فقط مزيد من العناد وحينما يدللها ويبذل ما بوسعه ليرضيها لم تكن تنتبه لتلك المحاولات كانت تتمسك بالمزيد من العناد ثم بعد أن يمر الموقف تجلس بمفردها وتبدأ في البكاء على وعدٍ منها وندم بألّا تكرر مثل تلك الأحداث ولكنها كانت تتفنن في العناد لم تجلس لتراقب لما تصنع كل تلك الشارات والضوضاء بحياتها ولكنها عزمت على السير بنفس الدرب بدأ عادل يتغيب بالكثير من الأعذار مخففًا لقاءه بها منعًا للمزيد من التوتر والمساحات وبدأت بهجه الحياة تنطفئ بينهما يومًا بعد يوم سقطت دمعة على وجنتيها حينما تذكرت تلك الأحداث ثم على شريط من الأحداث المتتابعة أمام عينيها فقد انفصلا ولكن لم يصلا إلى الطلاق فبالرغم

مـن تلـك المشـاكل لم يقـوى أحدهـم عـلى البـوح بتلـك الكلمـة. ذهـب عـادل للعيش ببيـت أحـد أصدقائـه في مدينـه أخـرى عـلَّ الأيـام تـداوي مـا حـدث أو ليفهـم أحدهـم لم وصـلا لتلـك الحالـة في البدايـة لم تلـقِ لذلـك بـالًا ولكنهـا كانـت مـن داخلهـا يعتصرهـا الألم فهـو لم يكـن زوجهـا بـل رفيـق دربهـا وصديقهـا ولم ينقطـع عـن محادثتهـا عـبر الهاتـف يوميًّـا ليطمئـن عليهـا ويسـألها عـن يومهـا كانـت تنتظـر تلـك المحادثـة كـ فتـاة تلتقـي حبيبهـا ليزيـد بينهـما الوصـال ثـم مـر أسـبوع وإذا بهـا تسـافر لتلـك البلـدة لتلتقـي بـه وحينـما رآهـا سـارع إلى ضمهـا بشـدة كمَـنْ عـاد إليـهِ حبيبـه بعـد بضـع سـنين بـكاء كل منهـما ولم تعـبر الكلـمات عـن مـا تخبئـهُ الأنفـس ولكنهـا أثـرت الصمـت مـع نـدم عـما صنعـت معـه ولكنـه لم يعاتبهـا وبـدأ حديثـه لعـلي لم أنتبـه لِمـا صـار مزاجـك حـادًا لتلـك الدرجـة وتركـت تلـك الفجـوة تتسـع بمـرور الأيـام ولم أصنـع مايداويهـا أو يخفـف مـن اتسـاعها فلتسـامحيني عـلى غفلتـي عنـك حبيبتـي تذكـرت تلـك الأيـام التـي كادت أن تـؤدي بعلاقاتهـم إلى طريـق لا عـودة منـه وتعاهـدا سـويًّا عـلى ألا يجعـلا الكلـمات تقـف أمـام مـا يعتـلي مشـاعرهما معًـا ثـم ذهبـت لتعـد وجبـة الغـذاء فعـادل عـلى وشـك العـودة مـن العمـل.

***

صراع العروش

بقلم: مؤمن راشد

أيقنت أنه حضر...

أعملت عقلي...

أعددت العدة...

لم يهمني ضعف حالتي الصحية، ولا العقارب التي أشارت إلى الساعات الأولى من الصباح...

إن الهدف بات واضحًا..

«يجب أن ينحسر دوره الإقليمي»

تسلحت بما خططت في ثوانٍ معدودة..

سميت الله وتوكلت على ربي..

دعت لي زوجتي والرعب قد ملأ عينيها..

وبعد 3 ساعات من المناورات ذهب...

نعم..

ذهب مثلما أتي..

ولم أدرِ كيف أتي وكيف ذهب؟!

ولكن أحداث القصة لم تنتهِ بعد

كان يجب أن أتفقد محيط مملكته لأزيل كل آثاره..

تلك المملكة التي اختار أن تكون أسفل عرشي الخاص...

أسفل مضجعي..

إنها الدونية!

ولكن لا تستغربها إذا كان عدوك..

هو فأر!

بالحجم المتوسط

***

الكائن الفضائي

بقلم: يمنا الغندور

آه أتصبب عرقًا، أحدق فيمن حولي، أرى الابتسامة تعلو وجوه الجميع لم أرَ هذا الكم من الأسنان من قبل، أحاول أن أتكلم أخشى أن أتلعثم، أخشى أن أصمت فيسمع من حولي دقات قلبي أبلع ريقي بصعوبة، لا يروق لي أبدًا أن أكون محط الأنظار لكل علاقه نجم ولست أنا هذا النجم.

أتذكر ذلك اليوم كنت أتمالك نفسي بصعوبة حتى لا أسأل رجل الأمن قليل الكلام بل منعدم الكلام القابع خلف مكتب في مدخل العمارة، سحقًّا للتطور أين حارس العقار الودود الثرثار الذي يعرف كل أخبار الجيران والذي سوف أستقي منه المعلومات عن من تأسرني دون أن أحرج نفسي وأتهم بالفضول. غدًا سوف أطالب برحيل رجل الأمن وتعيين بواب ودود يستقبلني بابتسامة دافئة.

وقفت يومها أمام المصعد كدت أتراجع خطوتين لأسأل رجل الأمن عن ساكني الشقة المجاورة لشقتي أين الزوج ووالد تلك العفريتة الصغيرة هل لي غريم هانئ بالدفء والحب من هذه الفاتنة هل هناك من يتمتع بكل ما أنا منه محروم. كنت أنوي تصنُّع الجدية سوف أقضب جبيني وسوف أسأل

رجل الأمن كأني مفتش مباحث وأستفهم عن أحوال السكان وما كدت أفعل ذلك حتى رأيتها لأول مرة، نعم هي لم أكن أعرف كيف تبدو لكن حدسي لا يكذب وزاد تأكدي تلك الصغيرة الجميلة الممسكة بيدها. رمقتني الصغيرة بنظرة متفحصة وحيَّتني الأم بابتسامة رقيقة خجولة، تلك إذًا رائحة الجنة لا بُد أن تكون هي ولا بُدَّ أن تكون تلك هي طلة الملائكة.

إنها صغيرة في السن لا بُد أنها تصغرني بخمسة عشر عامًا على الأقل، متى أنجبت هذه الطفلة؟ ربما هي أختها الكبيرة لكني أسمعها تنادي عليها بـ «ماما» ربما ليست هي، ربما هناك أم مسنة في البيت وهي من تصنع تلك العجائب في المطبخ. أيقظني من أفكاري وصول المصعد ومحاولة الصغيرة تمالُك نفسها من الضحك وضغط الأم على يدها الصغيرة وتلك النظرة في عيون الأمهات «ها عيب اسكتي»، زاد ارتباكي ووصلَتْ حرارتي واحد وأربعين وصلنا لنفس الطابق. أحاول أن أتحسس خطوات الخروج من المصعد أخشى أن يعثرني ارتباكي. تسألني: حضرتك جارنا هنا وتشير إلى شقتي.. حمد الله على السلامة، أنا مدام عالية، وتشير للصغيرة التي لا تزال تحاول أن تتماسك وألا تسقط على الأرض في نوبة ضحك: زينة بنتي، سلمى يا زينة.

أحاول أن أداعب شعر الصغيرة وتصنُّع ابتسامة لا تنم عن الارتباك أو الإعجاب. أظنني أنجح في تصنع الابتسامة: خالد شكري، وتجيب: أهلًا وسهلًا.

أفتح باب الشقة مرتبكا وتسقط سلسة المفاتيح مني، أدخل مسرعا وأدلف للمطبخ دون أن أضيء النور. علّي أسمع صوتها وما يريح قلبي، أخيرا تنفجر الصغيرة في الضحك.

عاليه: عيب كده كسفتيني قُدّام الراجل.

زينة: بس هو يدي على إيليان برضو يا ماما.

عاليه: صوتك عالي.

خالد: إيليان أنا أنا إيليان!

زينة: خلاص يا ماما طلع بني آدم مش إيليان أنا غيرت رأيي.

تبتعد أصواتهما، خالد: لا لا عودا أريد أن أسمع المزيد.

لا بأس لم يكن في ما يعيب ولم تفضحني لغة جسدي ولا عيناي، كانت تظنني كائن فضائي الحمد لله أنا مش إيليان. والأعظم أنها لا ترتدي دبلة.

استحوذت عاليه على حواسي رويدًا رويدًا، أذكر استنادي إلى طاولة المطبخ واستمتاعي بصوت غنائها بالتأكيد صوتها ليس أحلى الأصوات لكنه لليالٍ عديدة كان لوحدتي ونيسًا، حكاياتها مع الصغيرة واصطناعها الاندهاش والإعجاب من أبسط الحكايات التي ترويها زينة. تلك الروائح من مطبخها والتي تجرِّي ريقي وتصيبني بالجوع مهما كانت معدتي ممتلئة. أصبحت روائح الطعام وصوت غنائها وحكايات الصغيرة هوسًا يومي يلازمني. أميِّز الأيام بتقويم الوجبات، أربعاء الكيك هو يومي المفضل أشم رائحة الفانيليا وأكاد أشعر بحرارة الفرن من مطبخي. هجرت حجرة المعيشة وآثرت الجلوس في المطبخ. حاولت مرارًا رؤيتها من شباك المطبخ لكن تبًّا لذلك السلك المشدود والذي يحول بيني وبين رؤيتها بوضوح.

أظنني نظرت في المرآة ذلك اليوم اليوم ثلاثين مرة، مرآة الغرفة، مرآة الحمَّام زجاج دواليب المطبخ وشاشة المحمول المطفأة. أتأمل ملامحي كما لم أتاملها من قبل، عيناي أذناي،

أنفي. هل أشبه الكائنات الفضائية؟ ربما عيناي واسعتان رموشي طويلة بعض الشيء أنفي لا بأس بها، أذناي غريبتان بعض الشيء إذًا هي أذناي. لم أتفرس ملامحي هكذا منذ المراهقة لقد جننت بالتأكيد. نمت قريرَ العين تلك الليلة لرؤياها سأنام وأنا في قمة السعادة بعد أن اكتشافي أني أشبه الكائنات الفضائية نمت وبداخلي يقين غامض أنني يومًا ما لن أكون مجرد الجار ذي الملامح الفضائية.

تحتضن نجمتي يدي بعد أن احتضنتني عيناها وتحتضن زينة نجمتي الصغيرة يدي الأخرى تحتضنان يدي بعد أن احتضنا حياتي، وأعود من شرودي وذكرياتي لأرض الواقع وأقولها أخيرًا «وأنا قبلت زواجها».

***

لماذا أضعت الحب

بقلم / أمينه السباعي

«بكتب اسمك يا حبيبي ع الحور العتيق تكتب اسمي يا حبيبي ع رمل الطريق» هكذا تقول جارة القمر «فيروز» هذه الأغنية عميقة جدًّا - معناها - كيف أحب شخصًا لا يحبني ويستهين بحبي - كيف يدير لي ظهره.. وأنا.. أنا أرمي مشاعري تحت قدميه ولا يشعر بي، هو يجعلني هامشًا ممحوًا لا قيمة له.

ثم تقول الجارة: «وهديتني وردة - فرجيتها لصحابي خبيتها بكاتبي- زرعتها ع المخدة - هديتك مزهريه لا بتعتني فيها وما عدت تسقيها تا ضاعت الهدية». كيف أهتم بما تمنحني إياه من الصغائر والفتات، وأنت لا تهتم بما هو ذو قيمة وغالٍ جدًّا.. يحمل تقديرك الشديد مني فترميه بكل استهانة وعدم اعتناء.

«وتقولّي بتحبني ما بتعرف أديش - وليش إنت بتحبني ليش دخلك ليش» تعني لماذا لا تحبني ولا تعطي حبي قدره ومقداره ويهون عليك مشاعري وأهون عليك أنا.. إنني أستطيع أن أستهين بحبك وبك أنت شخصيًّا - كما تفعل أنت - قمة القسوة أن أحب أحدًا لا يليق به حبي ومشاعري وعطائي.

ويظل يا حبيبي خيال سعادتنا سويًّا يراودني.. كنت أتمنى أن يعقد بيني وبينك الود إلى الأبد.. ليس من مستوى حضرتك

حبي وعشقي الصافي والذي ليس له مثيل.. عشقي لك إنه كالماس غالي الثمن - كاللؤلؤ داخل المحارة يعانق الأسرار.. للأسف لم تعِها أنت بصدودك ولا مبالاتك.

أيعقل أن أنثر الماس واللؤلؤ تحت قدميك لتحطمه وتسحقه وتحرقه.. هذه خساره فادحة. تقول فيروز في نهاية الغنوة: «بكرة بتشتي الدني ع القصص المجرحة يبقي اسمك يا حبيبي واسمي بينمحي». لماذا أضعت الحب؟

لا نهاية لألمي.. لا نهاية لصفاء روحي رغم كل جروحي.. كيف لا تفكر في لحظةً ولا تعتبر أي اعتبار بغيابك تغيب روحي للأسف ويشتد حر وجمر القلب.. أبحث عنك في كل مكان لا أجد أماني وراحتي إلا في مجرد النظر إليك أو إحساسي بوجودك وسماع صوتك.. ما أردت أبدًا إضرارك أو إبعادك عن حياتك.. فتهون الروح لأجلك.

كل هذا الحب لكني لا أستطيع أن أتجاهلك كما تفعل أنت، وإن فتحت لي باب قلبك على مصراعيه ألف مرة لبادلتك التجاهل الذي يجعلك تقسم إنك لا تعرف مَن أكون وإني يا عزيزي أبهرت نفسي بي فما بالك بالآخرين؟ فلو قررت أنا أتجاهلك ويتحول كل هذا الحب لفعلت ذلك.

مَن أنا؟ أنا حور.. زرعت آمالي فوجدتُها تسكن القبور مع أنها لا يليق بها أن تبور.. وتسألني من أنا.. أنا اهتززت من داخلي.. أصبحت روحي كالمصفاة مليئة بالثقوب، ويصفي منها كل شيئًا جميلًا ويتبقى الوجع.

تدخلت في أمنياتي كل سبل الهلاك.. يا إلهي كيف هذا.. كيف تستنزف مشاعري وروحي هكذا، وسلكت دروب المستحيل.. فأبحرت بمركب من شمع وسط بحر من نار فقط لأرى

ابتسامتك على الشاطئ الآخر فذابت المركب وأصبحت أسبح في النار ولم أصل إلى أيّ مرفأ ولم أجد متكأ.. لم أجد ملاذًا إلا جنة عينيك التي أخذتني وأوصلتني للشاطئ الآخر.. حين وصلت ذابت كل حروقي وأوجاعي وذهبت في رحلة عميقة إلى أعماق عينيك.. عبرت دروب المستحيل إليك فأخذتني أمواج شوقك وعشقك بعيدًا.. بعيدًا فلم أدرِ مَن أنا أو أين أنا.

أخذني بقلبك وروحك عالم من الألوان والخيال عبقري الجمال.. ليس له وصف في جميع الأحوال ونسيت ما تعرضت له من جميع الأهوال.

الآن..

على باب حبك يا حبيبي يستأذن عمري بالدخول فمهما طواني اليأس سأظل أبحر في هذا العمق.. عمق روحك التائهة عني الموحدة مع روحي بذات الوقت.

ولا يهم كم أرى من العذاب ما دامت أشواقك تنتظرني فالحب هنا صار مكفولًا وقلبي بعشقك مأهولًا الخيال ها هنا محقق لا محالة.. مع الصدق مع الحب.. مع المشاعر المتدفقة حتمًا ستنكسر شراع الهموم.

كان هذا حلمًا رائعًا للأسف إنما الحقيقة تجاهُل وصدود.. أقع فأقوم وأنفض تراب أحزاني وأوجاعي فأنهض متألمة وأسير.. أحزن فأفرح.. أنتهي وأبدأ من جديد، ما الذي يدفع الإنسان إلى الانتحار.. كيف يكون حاله؟ مؤكد أنه يكون في قمة اليأس.. اليأس من الجرائم القلبية المميتة التي يرتكبها الإنسان في حق نفسه.

ليس كل منتحرٍ من ألقى بنفسه من فوق أحد الأبراج

فمات وانتهى أمره، بل هناك انتحار أقوى وأقسى من أن يؤذي الإنسان نفسه بآلة حادة.. بل يوجد ملايين المنتحرين ولكنهم على قيد الحياة. هو أن يوصل الإنسان نفسه للهلاك تدريجيًّا.. يموت بطيئًا يعيش ميتًا يائسًا.. يهمل الطعام والعلاج ويلقي بنفسه إلى التهلكة. مَن المسؤول عن إيصال إنسان لقمة اليأس.. يشعر بأن روحه تهالكت.

يجب أن يكون كل منا في حياته قويًا إلى الحد الذي يحول دون أن ينتحر الإنسان سواء أنهى حياته أم يعيش يائسًا وقانطًا من رحمة الله.

قلبي في قمة اليأس.. هل أنتحر.. أم أعيش منتحرة.. لا أعرف ولكن روح التفاؤل تشدني إلى الحياة.

رسالتي لكل البشر.. لا تنتحر.. فكِّر لماذا جعلك الله هنا.. فكر في حياتك وركز تفكيرك على أن تكون في الجنة.. حيث الخروج إلى السعة.. لكن اجعل حياتك كلها نورًا.. فكر لماذا منع عنك الله الشيء الذي تتمناه.. اقرأ سورة الكهف وتعلم منها ومن قصصها.. فما كان القرآن نورًا إلا لأنه يهدي به حين نطبقه ونتعلم منه لننجو.

حين يسيطر عليك اليأس وتصبح في قمة التعب.. وتكون فكرة الانتحار شاغلة لك اصرف تفكيرك وانظر إلى مدّ البصر لترى الدنيا من حولك، ألقِ بنفسك على باب الله لا تلقِ بنفسك من مكان عالٍ منتحرًا اذهب ملبيًا إلى الله والتمس عفوه.

الأسود لا يليق بي

بقلم: أمينة السباعي

لا أحب اللون الأسود.. لا أحب ارتداءه.. فحين يتوفى عزيز لي أو أحد المعارف والأقارب لا أطيق لبس الأسود أبدًا.. حين توفى أحد أقاربي وتحدث إليَّ مديري في عملي.. وقال لي لمَ لا ترتدين الأسود فقلت له - الحزن بالقلب - وترقرقت عيناي بالدموع.. أشعر أنني عند الحزن الشديد أنه تحبس الدموع داخلي ويظل وجع كبير يؤلمني.

الآن توفي مديري هذا وتذكرت حديثه معي حين وفاته وأصبح الألم ألمين أو عدة آلام لا نهاية لها فالناس أصبح عندهم كل شيء عاديًا - يرون الموت أمامهم ولا يهتز لهم خاطر يمرون بالموت وبالدفن وبالأحداث والحوادث مرور الكرام ولا يقفون وقفة واحدة مع النفس بل يظلون يتشاحنون ويختلفون على الميراث وينسون من لقي ربه.

لا أحب ارتداء الأسود مطلقًا.. ليس معنى هذا أني لا أحزن ولا يؤثر فيَّ فراق الأحبة لكني أرى أن حزني في قلبي عميق جدًا يفوق كل مظاهر الحزن، ولا يعبر عنه لبس الأسود.

ارتداء الأسود يشعرني بالتعب، تمقته روحي مقتًا.. يشعرني

بالتعب الداخلي.. لا أحب اليأس والقنوت.. أحب الأمل.. وكل قدر يحدث في الحياة هو قضاء الله لا مفر منه أبدًا.

اسمي «ماسة» - أسماني أبي - رحمة الله عليه- بهذا الاسم قال: أسميتها ماسة حتى تظل تلمع ولا تنطفئ أبدًا.. فهي لمعة حياتي وشمس نورِها يشرق على أرجاء الكون فيطفئ كل أهازيج الحزن ويجعل روحي تزهر «هكذا روي لي أبي وأكدت أمي»، وبالفعل هذه روحي - صرت اسمًا على مسمى كما يقولون روحي روح التفاؤل حتى في أوج أحزاني أتفاءل.

أذكر أنه منذ سنوات.. ذات يوم كنت في قمة الحزن لأني لا أرى لي هدفًا معينًا ولم أحقق شيئًا من أحلامي فأنا كنت أحلم أن أصبح مذيعه، وقد حالت الظروف دون تحقيق هذا الحلم، أحبطني أعداء النجاح ولم يحفزوني.. وحدثت عدة مشكلات عند اتمامي الشهادة الاعداديه فلم أحصل على مجموع اللذي يتيح لي فرصة الالتحاق بالثانويه العامه وكلية الإعلام.. جلست أفكر ليلًا في هذا اليوم في حالي وهمومي ففكرت أن أسمع الراديو كي أصرف انتباهي عن التفكير والحزن.. فلفت انتباهي برنامج اسمه «رعب ع القهوة».. شدني أسلوب المذيع وكلامه.. كان يروي قصة سيدة كانت من أجمل النساء، وكانت متزوجة ولديها خمسة أبناء.. مرَّ الزمان، وتوفي زوجها وأصيبت بمرض نادر جعل كل ملامحها وجسدها يتضخمان بشكل غير طبيعي، وأصبح وجهها مشوهًا وملامحها متغيره تمامًا.. فحزنت كثيرًا واكتأبت، ولكن أطفالها الصغار ليس لهم سواها.. يريدون أن يحصلوا على متطلبات الحياه.. فقررت أن تبحث عن عمل لكي تتمكن من الإنفاق عليهم فبحثت وبحثت كثيرًا لم يقبلها أحد إلا سيرك..

كل مـا عليهـا أن تفعلـه تجلـس عـلى مـسرح السـيرك فينظـر إليهـا الجمهـور ويضحـك.. قمـة الألم بالنسـبة لهـا لكنهـا تحملـت ذلـك الألم لأجـل أبنائهـا.. لكـي تطعمهـم. كـبر أبناؤهـا ووصلـوا لأعـلى المناصـب وهـي مـا زالـت تعمـل في السـيرك حتـى توفيـت عـلى حالتهـا أمـام الجمهـور.. هـذا مـا أتذكـره مـن القصـة، لكـن هـذه القصـة فيهـا حكمـة عميقـه جـدًّا. هـذه القصـة تدعـو إلى الأمـل.. وغـيرت كل تفكـيري.. جعلتنـي أتفـاءل برغـم مـا فيهـا مـن ألم، فمهمـا أثـر الحـزن عليـك وغـيَّر حتـى في ملامحـك لا تستسـلم للمـوت واذهـب للحيـاة وللأمـل.

حدثـت نفسي عـن مقـدم البرنامـج فعرفـت اسـمه « أحمـد يونـس » ثـم بعـد هـذه القصـة انتقـل إلى قصـة رعـب، لم أكـن أحـب قصـص الرعـب لكنـي أكملـت الحلقـه لأن مقـدم البرنامـج أسـلوبه شـيق وإلقـاءه ممتـع.

تحـول إعجـابي بشـخصة إلى شـغف، وأخـذت أنتقـل إلى جميـع برامجـه مـن رعـب «ع القهـوة» إلى «كلام معلمـين» إلى «صباحـك ومطرحـك». أسـتيقظ كل صبـاح مـن أجـل أن أسـمع برنامجـه الـذي يبعـث في روحـي الأمـل ويعطينـي الدفعـة لمواصلـة حيـاتي.. ليكـون يومـي جميـلًا وأذهـب إلى عمـلي وأنتـصر عـلى كل المتاعـب والمشـاكل التـي أواجههـا.. أحمـد يونـس شـكَّل وجـداني.. جميـل جـدًّا أن يصبح أملـك وتفاؤلـك مفتاحهـم شـخص رائـع، كـما تعلمـت مـن أسـلوبه وطريقتـه في العمـل الإذاعـي.

تغـيرت حيـاتي.. وأصبحـت أسـير أمـوري بـكل هـدوء.. بالرغـم مـن أني لم ألتقِـه يومًـا، لكنـي أود أن ألتقيـه وجهًـا لوجـه حتـى أشـكره عـلى تأثـيره في حيـاتي، وذات يـومٍ أعلـن أنـه سـيقيم حفـل توقيـع لتوقيـع إحـدى رواياتـه في قهـوةً المعلـم يونـس.. سـعدت

كثيرًا وكان أهم وأجمل يوم في حياتي، وذهبت وقابلته وتحدثت إليه ووقع الرواية لي والتقطنا الصور، وتركته وجلست بعيدًا.. جلست أفكر في أسلوبي معه - هل كان باردًا ولماذا أحسست بهذا - هل أنا قابلتُه ببرود وليس بشغف.. فأنا لم أروِ له كلمة واحدة مما كنت أنويه أخذتني الربكة ولم أستطع الكلام.. كنت أريد أن أذهب له مجددًا وأسترسل في الكلام لكني لم أستطع ولم أملك الجرأة مرة أخرى لأذهب له، ومضيت وأنا أريد البقاء لكني مضيت..

مرت أيام وإذا بي وأنا أتصفح الفيس بوك أرى إعلانًا عن ورشة لإعداد المذيعين ولا يشترط المؤهل فبكل حماس حجزت في هذه الورشة وتعلمت أشياءً كثيرة في الإذاعة والإلقاء والصحافة، وتم تصميم بوستر لي عن أولى حلقاتي على راديو أون لاين.. يا الله أشعر بحلمي يتحقق.

أعددت برنامج يحمل اسمه «الدنيا حلوة» وكان أول ضيوفي صديقة عزيزة على قلبي اسمها «جميلة» والشخص اللذي يحبها واسمه «أحمد». استهللت الحلقة بالترحيب بهم، وبدأ أحمد بالكلام وقال «أحبها جدًا.. لكنني أخطأت بحقها.. حين قمت بفعل مشكلة، وحينها قالت.. لن أستأمنك على نفسي إلا أن تصلح ما فعلته، فصممت على الخطأ وخسرتها ثم دفعني العناد لأتزوج غيرها ولكني لم أنسَها بعد» فقالت جميلة: «إنني توجعت كثيرًا من فراقه، ولو كانوا يعرفونك حقًّا لعرفوا أن تغيرك هذا لم يأتِ من فراغ.. لعلموا أنكِ متعبة جدًا، وأنكِ مررتِ بظروف كان ثمنها غاليًا من نفسك، لكنهم يعرفون فقط أنك أصبحتي إنسانة أخرى ويعرفون كيف يستنكرون ذلك

منكِ ويلومونك عليه باحتراف.. هذا ما يعرفونه فقط هذا ما ختمت به رواية لي - وهو حقيقة ما أشعر به».

واستمر البرنامج نصف ساعة وأنا مملؤة بالفخر والسعادة وأنا أشعر بالنجاح فقد توصلنا على الهواء لأن تصافى أحمد وجميلة وسط أجواء من الغناء في برنامجي، وإذا بي أفاجأ بأن عدة مجلات وجرائد كتبت عن حلقة برنامجي حتى وصلت أخباري لأحمد يونس.. وأتصل بي معد برنامجه يدعوني لاستضافة أحمد يونس لي في صباحك ومطرحك لأتحدث كيف وصلت لتحقيق حلمي.

الآن...

الأسود لا يليق بي فعلًا، وتليق بي ألوان الفرح والسعادة، أودُّ أن أقول لكم إنه شعورك تجاه الشيء يتحقق - إن غلفته بالاكتئاب والقلق تغلف لك بالسقوط والفشل.. وإن غلفته بالنجاح والأمل.. تغلف لك بالسعادة والإشراق والنجاح.

أردت من رسالتي هذه أن أبث الأمل داخلك فأنا أريدك حيًّا يا صديقي وأريدك بخير - أريد أن أبث روح الأمل عبر أثير الحياة.

***

بسطة يد

بقلم: رهام فرغل

كانت الصغيره ذات التسع زهرات تتلوي تحت يد أمها في محاولة يائسه لتضفير شعرها...تتلوي ذات اليمين وذات اليسار بسرعة وعنف غير مبررين فقد كان الوقت مازال باكرا على ميعاد المدرسة،كانت تشعر بالألم الجارف في كل بصيلة من رأسها ولكنها...تعودت...تعودت أن لاتبوح..بفرحها بحزنها بإستيائها..

فقد اعتبرت أن ألم (تضفير شعرها) ما هو إلا ألمًا بسيطًا لا يضاهي ألمها الداخلي والذي لم يحدث وإن أخبرت به أحدًا من قبل..لأن ببساطه لا أحد يهتم؛ فهي تذهب إلى مدرستها في صمت وتعود في صمت وتقضي يومها بدون سؤال عما فعلت أو لم تفعل...

فقد اعتادت ألم التجريح والتهكم المتواصل من كل من حولها..من أقارب ومدرسين حتى أقرانها بالمدرسة لم يرحموها من بضع طعنات لها مفعول المباضع على نياط قلبها الصغير الذي لم يعد يحتمل المزيد.. فكان ملجأها إلى راحة يدها فقد كانت تضم راحة يدها قابضةً عليها بكل ما تملك من قوة ولا تبسطها أبدًا حتى وهي تغط في سبات عميق غارقةً في أشد أحلامها تفاؤلًا.. وكأنها تشد عضدها بنفسها ولنفسها.. لم تستطع

أن تترجـم بعقلهـا الصغـير سـببًا لما تفعلـه سـوى أنـه يطمئنهـا وكأنـه ونيسـها حيـث لا ونيـس، أمانهـا حيـث لا أمـان..كان أصدقائهـا في الفصـل يتهكمـون عـلى شـعرها شـديد التجعـد ولونهـا شـديد السـمار ونحافتهـا المفرطـة... وكان كلـما ازداد التهكـم ازدادت راحـة يدهـا انقباضًـا.. حتـى جـاء يـوم كانـت تجلـس فيـه في الفصـل وإذا بإحـدى زميـلات الدراسـة تدخـل عليهـم «حليقـة الـرأس» شـاحبة الوجـه تعـاني مـن هـزال واضـح.. يـا إلهـي إنهـا «هنـا» وكان لهـا الكثـير مـن نصيـب اسـمها فقـد كانـت تتمتـع بـكل مـا حرمـت هـي منـه؛ الشـعر الذهبـي المنسـدل، بيـاض البـشرة، تـراص أبيـض متفـرد لأسـنانها، شـعبية مـن قبـل مدرسـيها وأقرانهـا وكانـت هـي الملقبـة بملكـة جمـال المدرسـة.. وإذا بـكل هـذا ينهـار، فقـد لحـق بهـا المـرض اللعيـن والـذي يفـسر غيابهـا الطويـل عـن المدرسـة، وبـدأ تراشـق الانتهـاكات ينتقـل منهـا إلى «هنـا» فاتجهـت كل التعليقـات المتنمـرة والتـي كانـت تتلقفهـا تذهـب إلى «هنـا» فـإذا بالدفـة الصغيرة لتفكيرهـا المحـدود والـذي لم يـع مـن الدنيـا الإ القليـل يسـتنتج أن العلـة.. «بهـم».. بجملـة بريئـة تبـزغ مـن بـين ثنايـا خلايـا عقلهـا غـير المكتمـل: «الله، همـا الـلي وحشـين مـش أنـا»..فلـم يكـن لهـا مـن ترجمـة سـوى أن العيـب بهـا، فـما كان لهـا مـن ردة فعـل إلا انفـراج أسـاريرها الطفوليـة والتـي كانـت دائمـة الانقبـاض تمامًـا كراحـة يدهـا.

ارتسـمت شـبه ابتسـامة خفيـة عـلى مبسـمها الصغـير والتـي لازمتهـا ذهابًـا إلى بيتهـا وإنهـاء لواجباتهـا المعتـادة وعندمـا حـل الليـل نامـت بنفـس الابتسـامة الخفيـة وللطـف الأقـدار كانـت تلـك الليلـة هـي ليلتهـا الأولى التـي تنامهـا وهـي... «باسـطة يدهـا».

***

الفهرس

هل لي من رجوع؟ ٥
المنحة ١٩
يا حلاوة الدنيا ٢٣
شراب زوجي ٢٥
الكمين ٢٨
.... ٦٧
صعود ٦٨
عكس التيار ٧١
مرارة التخلي ٧٥
طلب صداقة ٧٨
رفاهية الأحلام ٨١
السلم ٨٤
أحببت قلبًا ٩٠
لحظة جنون ٩٣
ملهاش كتالوج ٩٦
بصلة وثومة ١٠١
ليلة في القصر ١٠٥
على ظهر التذكرة ١٠٨
جواب وفنجان شاي! ١١١
الأحلام المؤجلة ١١٦

المُلِح على الناس طلبًا للصدقة والإحسان........ ١٢٢
بركـة يـا ست........ ١٢٦
أرواح طيبة........ ١٣٠
البومة التي استيقظت صباحًا........ ١٣٥
خُطى الغد........ ١٤١
رحمة........ ١٤٣
الميراث الملعونِ........ ١٤٧
من أول نظرة........ ١٥٧
رجل بلا حلم........ ١٦٠
حفلة سينما........ ١٦٣
لكن معها قلب........ ١٦٦
اختلاس........ ١٦٩
الحلم........ ١٧١
التجربة........ ١٧٣
قلبك النور........ ١٨٣
تخاريف يوجي........ ١٨٦
جحا والسندباد........ ١٩٧
الهروب.. من شُرفتي ف ميلان........ ٢٠١
حكايات أعوام الوباء........ ٢٠٤
استعادة روح........ ٢١٠
كانت تشبهني........ ٢٢٥
لن أسألك البقاء........ ٢٢٩
من لندن........ ٢٣١
أرواح تأبى الرحيل........ ٢٣٤
كريمة المهندسة واللقاء مع عمرو........ ٢٣٧

الباب الحديدي ٢٤٠
وفاة سامية ٢٤٣
صديقي عدنان ٢٤٥
أنا لست جميلة.. ٢٤٧
عفريتي ٢٦٢
بعد الفراق ٢٦٩
كلمات الحظ.. ٢٧١
وسط الدايرة.. ٢٧٣
الخوف من المجهول ٢٧٧
حنين.. ٢٨٠
حب النفس بين الإيجو والسلام الداخلي ٢٨٥
الأحلام المؤجلة. أو الصديقة الوحيدة. أو وحدة امرأة.. ٢٩٢
الطريق ٢٩٨
الحب الكبير.. ٣٠١
كل يوم ومنذ سنين. ٣٠٥
بيت المجنونة ٣٠٨
شموع الظلام ٣١٠
جوندولا إلى مورانو ٣١٢
وِصال ٣١٧
صراع العروش.. ٣١٩
الكائن الفضائي ٣٢١
لماذا أضعت الحب ٣٢٥
الأسود لا يليق بي.. ٣٢٩
بسطة يد.. ٣٣٤